# الخبر بالبرهان والدليل على أن النبي يعقوب غير إسرائيل

القرآن الكريم

يعقوب

و

إسرائيل

الحديث الشريف

عقيدة يهودية مزيفة دخلت الثقافة الإسلامية

العهد القديم

التوراة السامرية

أقوال التلمود

وثائق إيبلا

العهد الجديد

إنجيل برنابا

مخطوطات قمران

تاريخ الفراعنة

سويد الأحمدي

مع حشد من شهادات الباحثين والعلماء

استند المؤلف في هذا الكتاب إلى أدلة من القرآن الكريم وكتب الأحاديث ( الستة ومسند الإمام أحمد ) ، ففحص الآيات ، ودقق في الأحاديث ، ثم جمع أدلة وشهادات أضافها إلى بحثه من التوراة السامرية ، وانجيل برنابا ، وكذلك ما يسمى الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ، ومما كتب عن التلمود ، ثم ما كتبه كل من الدارسين والباحثين والمؤرخين والعلماء في التاريخ والآثار. من موضوعات الكتاب :

قابيل وهابيل - قابيل وشيث في المصادر الإسلامية - بنو قابيل وبنو شيث - إدريس - نوح - الذين آمنوا مع نوح - إسرائيل يعقوب - مواقف من اسم إسرائيل - السبط واليهود الذين هادوا في اللغة العربية - الإسلام وانشقاق اليهود والنصرانية عزرا اليهود بولس النصارى - أدلة القرآن الكريم على أن يعقوب غير إسرائيل - نهاية بني إسرائيل - آية وإشكالية حل الإشكالية عند ابن كثير - أدلة الحديث الشريف - أدلة التوراة السامرية - أدلة العهد القديم - أدلة إنجيل برنابا أدلة العهد الجديد - أدلة التلمود - أدلة مخطوطات قمران ( البحر الميت ) - أدلة وثائق إيبلا - أدلة التاريخ المصري مصر وبنو إسرائيل - ست والهكسوس - التاريخ والسامريون تحليل لمدلولات لغوية - شهادات الباحثين والمؤرخين وعلماء الآثار - إسترائيل الاسم والمعنى والأصل - الشجرة الملعونة في القرآن . بإيجاز : ( بعد قراءة هذا البحث المهم جدا جدا) نفهم عن بني إسرائيل أنهم ليسوا من ذرية نوح، وليس لهم أي علاقة بذرية إبراهيم أو يعقوب، فنفهم - بالتالي - سبب إفسادهم في الأرض، فهم من ذرية محددة من بين جميع البشر والشعوب من ذرية أخرى.

AL - AWA'EL

# الخبر
# بالبُرهان والدَّليل في أنَّ
# النَّبيِ يعقُوب غير إسرائيل

الكتاب : الخبر بالبُرهان والدّليل
في أنَّ النّبي يعقُوب غير إسرائيل
تاليف : سُويد الأحمدي

الحُقُوق
جميعها محفوظة للنَّاشر

النَّاشر : الأوائل للنَّشر والتَّوزيع
سُوريَّة . دمشق الإدارة : ص . ب3397
هــاتــف : 00963112233013
فــاكس : 00963112460063
البريد الإلكتروني : alawael@scs-net.org
التَّوزيع : دمشق ص . ب1018
البريد الإلكتروني: alawael@daralawael.com
جــــوّال : 0096393418181
0096393411550
موقع الدّار على الإنتــرنت :
www.daralawael.com

قرؤوا فوصلوا
لنقرأ حتَّى نصل

الطّبعة الأولى
شباط 2006م

الأوائل

تصميم الغلاف : علا خلوصي
الإشــراف الفنّي : يــزن يعقــوب
التّدقيق والمُراجعة : إسماعيل الكردي

سُويد الأحمدي

# الخبر
# بالبُرهان والدّليل في أنّ النّبي يعقُوب غير إسرائيل

الأوائل

2006

قال تعالى:

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

**(التوبة 105)**

"إنّي رأيتُ أنّه لا يكتب أحد كتاباً في يومه إلّا قال في غده: لو غُيّر هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يُستحسن، ولو قُدّم هذا لكان أجمل. وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النّقص على جملة البشر".

**العماد الأصفهاني**

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

# الفهرس


| | |
|---|---|
| مُقدِّمة | 9 |
| مع الاعتذار | 11 |
| تعريفات | 14 |
| التّوراة السّامريّة: | 14 |
| إنجيل برنابا: | 14 |
| الكتاب المُقدَّس: | 16 |
| تنبيه | 17 |
| قابيل وهابيل | 19 |
| قابيل وشيث في المصادر الإسلاميّة | 21 |
| بنو قابيل وبنو شيث | 23 |
| إدريس | 28 |
| هل إدريس في عمود نسب الرّسول مُحَمَّد ﷺ؟ | 31 |
| نُوح عليه السّلام | 35 |
| الذين آمنوا مع نُوح | 42 |
| ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ | 48 |
| إسرائيل | 52 |
| 1ـ هل يجوز لإسرائيل أنْ يُحرِّم على نفسه أيَّ شيء؟! | 52 |
| (I) هل يجوز لإسرائيل أنْ يُحرِّم؟ | 52 |
| 2ـ ماذا حرَّم إسرائيل؟ | 56 |
| القول الأوَّل: وهُو تحريم العُرُوق: | 57 |
| القول الثّاني: وهُو تحريم لُحوم الإبل وألبانها: | 58 |
| مُلاحـظة: | 59 |
| 3ـ ماذا قال ﷺ في تحريم إسرائيل: | 59 |
| إسرائيل عند ابن عبّاس | 62 |
| إسرائيل ويعقوب | 63 |
| مواقف من اسم إسرائيل | 71 |
| السّبط واليهُود الذين هادوا في اللُّغة العَرَبيّة | 73 |
| الإسلام وانشقاق اليهُوديّة والنّصرانيّة | 76 |

عزرا اليهود وبولس النّصارى 78
1 ـ عزرا: 78
2 ـ بولس: 79
أدلّة القرآن الكريم 80
الدّليل الأوّل: 80
الدّليل الثّاني: 82
الدّليل الثّالث: 91
الدّليل الرّابع: 93
الدّليل الخامس: 100
الدّليل السّادس: 100
النّقطة الأولى: 101
النّقطة الثّانية: 103
الدّليل السّابع: 105
نهاية بني إسرائيل 106
آية وإشكاليّة 110
حلّ الإشكاليّة عند ابن كثير 113
أدلة الحديث الشّريف 114
الدّليل الأوّل: 114
الدّليل الثّاني: 115
الدّليل الثّالث: 116
أدلة التّوراة السّامريّة 117
أدلة العهد القديم 121
الدّليل الأوّل: 121
الدّليل الثّاني: 121
الدّليل الثّالث: 122
أدلة إنجيل برنابا 123
الدّليل الأوّل: 123
الدّليل الثّاني: 124
الدّليل الثّالث: 125

| | |
|---|---|
| أدلّة العهد الجديد | 126 |
| الدّليل الأوّل: | 126 |
| الدّليل الثّاني: | 127 |
| الدّليل الثّالث: | 127 |
| أدلّة التّلمود | 128 |
| الدّليل الأوّل: | 128 |
| الدّليل الثّاني: | 129 |
| الدّليل الثّالث: | 130 |
| الدّليل الرّابع: | 131 |
| أدلّة مخطوطات قمران . البحر الميّت | 132 |
| أدلّة وثائق إيبلا | 134 |
| أدلّة التّاريخ المصري | 136 |
| مصر وبنو إسرائيل | 138 |
| ست والهكسوس | 145 |
| نبذة عن تاريخ الهكسوس | 147 |
| معاصرة الأنبياء لفترة حُكم الهكسوس | 148 |
| مَنْ هُم الهكسوس؟ | 153 |
| التّاريخ والسّامريّون | 167 |
| تحليل لمدلولات لغويّة | 172 |
| التّسمية الأولى: لقب يُوسُف عليه السّلام: | 172 |
| التّسمية الثّانية: اسم مُوسى عليه السّلام: | 172 |
| شهادات الباحثين والمؤرّخين وعُلماء الآثار | 176 |
| إسرائيل الاسم والمعنى والأصل | 202 |
| الشّجرة الملعونة في القرآن | 204 |
| الخاتمة | 217 |
| المصادر والمراجع | 219 |

# تنويهٌ هامٌّ

من أجل تواصُل أكثر مع السَّادة القُرَّاء ، فقد خَصَّصْنَا آخر (16) صفحة من هذا الكتاب لمنشورات الدَّار ؛ حيثُ يجد السَّادة القُرَّاء قائمة بمنشورات الدَّار ، ولمحة إلى كُلِّ كتاب أصدرتْهُ الدَّار .

هذه القائمة تُعطي انطباعاً عامَّاً عمَّا تنشُرُهُ الدَّار من آراء ، كما تُعطي لمحةً عامَّةً إلى الخطِّ الذي تنتهجُه الدَّار ، وهذا - بلا شَكٍّ - سيجعل التَّواصُل أسرع وأقرب وأصدق.

فنرجُو من السَّادة القُرَّاء قراءة هذه الصَّفحات بتأنٍّ وتدبُّر ، ونرجُو مُراسلتنا بمُلاحظاتكُم واستفساراتكُم عن الكُتُب التي تنشُرُها دارُ الأوائل .

بسم الله الرحمن الرحيم

# مُقدِّمة

قال رسول الله: "مَنْ كتم علماً ممَّا ينفع اللهُ به أمر النَّاس، أمر الـدِّين، ألجمـه الله يـوم القيامـة بلجام من النَّار" [1]. وممَّا قاله ﷺ ـ وهُو يخطـب ـ: "ألا، لا يمـنعنَّ رجـلاً، هيبـة النَّـاس، أنْ يقـول بحقّ، إذا علمه" [2]، كما قال ﷺ أيضاً: "لا يُحقِّر أحدكم نفسه"، قالوا: يا رسـول الله؛ كيـف يُحقِّـر أحدنا نفسه؟ قال: "يرى أمراً، لله عليه فيه مقال، ثُمَّ لا يقول فيـه. فيقـول الله ـ عـزَّ وجـلَّ ـ لـه يـوم القيامـة: مـا منعـك أنْ تقـول في كـذا وكـذا؟ فيقـول: خـشية النَّـاس. فيقـول: فإيَّـاي كُنـت أحـقّ أنْ تخشى" [3].

من هذا المنطلق بدأت كتابة هذا البحث. وكان الأمر في البداية عندما التحقت بكُلِّيَّـة اللُّغـات والتَّرجمة في جامعة الملك سُعُود قسم اللُّغة العبريَّة [4]. وكان سبب الالتحاق ليس حُبَّاً في اللُّغة العبريَّة ذاتها، ولكنْ؛ حُبَّاً وشغفاً في الاطِّلاع على ثقافة اللُّغة العبريَّة من حيثُ الثَّقافة المرتبطـة بهـا مـن جهـة الدِّيانة أو التَّاريخ أو السِّياسة، وهي من أغنى اللُّغات في هذا المجال. وكُنتُ أقرأ كُلَّ ما يقع بين يـدَيَّ من كُتُب ومجلَّات وصُحُف، ثُمَّ تطوَّر الأمر، فأصبحتُ أُتابع ذلك، وانتهى بي الأمر في مُحاولة البحث والتَّنقيب عن كُلِّ ما يدور في فلك المواضيع السَّابقة. وبعد هذا الاطِّلاع؛ عرفتُ مـا هُـو معنـى اسـم إسرائيل، فلم أقنع، ولم أقتنع، فبحثتُ وسألتُ، وناقشتُ، فوجـدتُ أنَّـه هُنـاك إجابـة واحـدة. فلـم

---

(1) موسوعة الحديث: ابن ماجه، كتاب الطَّهارة (1)، باب (24)، مَنْ سُئل عن علم، فكتمه، رَقْم (265).

(2) موسوعة الحديث: ابن ماجه، كتاب الفتن (36)، باب (20)، الأمر بالمعروف والنَّهي عن المُنكر، رَقْم (4007).

(3) موسوعة الحديث: ابن ماجه، كتاب الفتن (36)، باب (20)، الأمر بالمعروف والنَّهي عن المُنكر، رَقْم (4008).

(4) وقد أمر رسول الله ـ ﷺ ـ زيد بن ثابت بتعلُّم لُغة اليهُود (العبريَّة)، روى ذلك التِّرمذي وأحمد وأبوداود والبُخاري، (اليهُـود في السُّنَّة المُطهَّرة، ص 609).

أستسغ هذا الأمر. فبدأتُ مهمَّة مُكثَّفة ومُركَّزة في عمليَّة البحث والاستقصاء، فكانت هُناك مُلاحظات وإشارات مبدئيَّة مُشجِّعة، فتعمَّقتُ أكثر، مُحاولاً سبغ أغوار هذا الموضوع. وفي نهاية الأمر؛ استطعتُ الوُصُول والحُصُول على معلومات هي في وُجهة نظري مُوفَّقة وهامَّة جدَّاً.

وبعدما توافرت الأدلَّة العديدة، وبعد استقرائها، والتَّدقيق فيها، وفحصها، كانت هُناك نتيجة واحدة، تُؤكِّد أمراً واحداً، وتصبُّ في سند نظريَّة واحدة، سنتعرَّف إليها في نهاية هذا البحث.

وأُحبُّ أنْ أقول إنَّ هذه الفَرَضيَّة أو النَّظريَّة أو الحقيقة التي تجلَّتْ، وانكشفتْ، وظهرتْ، فإنْ كانت صحيحة، فهي من الله عزَّ وجلَّ، وإنْ كانت خاطئة، فهي من أنفسنا: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَ ﴾ (النساء 79) ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ (يوسف 53). وأنا أعلم أنَّ مُجرَّد الحديث في أمر مسألة تُعدُّ من المُسلَّمات أمر محظور، فما بالكَ في عمليَّة بحث ومُناقشة هذه المُسلَّمة! ففي الأمر صُعُوبة ومزالق خطيرة وكثيرة وكبيرة.

في هذا البحث، استندتُ إلى أدلَّة من القُرآن الكريم، وهُو المرجع الأوَّل والأخير، وكذلك إلى كُتُب الأحاديث (الكُتُب السِّتَّة ومسند الإمام أحمد)، ففحصتُ الآيات، ودقَّقتُ في الأحاديث، وهذا ما كان المُهمّ في المقام الأوَّل. فإنَّ موضوع إسرائيل ويعقُوب - عليه السَّلام - تناوله كثيرون من عدَّة نواح، فكان اهتمامي - بشكل خاصّ - ناحية التَّأصيل الإسلامي، كما حشدتُ الكثير من الأدلَّة والشَّهادات التي لم أر غالبيَّتها في أيِّ بحث سابق أو دراسة ناقشت هذا الموضوع، فكُلُّ ما عرفتُهُ هُو دليلان: واحد من التَّوراة والآخر من الإنجيل. أمَّا ما جمعتُهُ من أدلَّة وشهادات "نُضيفها على أدلَّة القُرآن والسُّنَّة؛ فهي من التَّوراة السَّامريَّة وإنجيل برنابا، وكذلك ما يُسمَّى (الكتاب المُقدَّس) بعهدَيْه القديم والجديد، وأيضاً ما كُتبَ عن التَّلمود، ثُمَّ ما كتبه كُلٌّ من الدَّارسين والباحثين والمُؤرِّخين والعُلماء في التَّاريخ أو الآثار.

إنَّ هذا البحث أخذ مجهُوداً ووقتاً كبيرَيْن، وفي النِّهاية؛ أُحبُّ أنْ أستذكر قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ ﴾ (البقرة 286).

# مع الاعتذار

عند انسكاب حبر القلم على ورق البحث، ومع بدء كتابته ووضع تصوُّراته المبدئيَّة، كان هُناك سُؤال يلحّ إلحاحاً يفرض ويطرح نفسه بشدَّة، ألا وهُو: هل من المعقول أنَّ ما تمَّ التوصُّل إليه ـ بعد عناء البحث في المراجع وتعب التّدقيق في الأدلَّة وتجربة عمليَّة البحث والاستقصاء والتّنقيب المُمتعة ـ صحيحاً؟ فكانت الإجابة الأوَّليَّة هي: ولمَ لا يكون صحيحاً؟! ولمَ لا يكون معقولاً؟! فإنِّي لم أستشهد بسوى كلام الله جلَّ جلاله، وسُنَّة نبيِّه عليه الصّلاة والسّلام، مع جُملة من الأدلَّة الواضحة ثابتة الدّلالة، مع ذكْر مصادرها. ومن ثمَّ؛ أتى السُّؤال الأكبر والأعظم من سابقه وهُو: هل من المعقول أو من المقبول أنْ يكون رأيي صحيحاً، ورأي غيري ممَّنْ سبقني خطأ؟ ولأنِّي آدمي من البشر من جسد وروح، فقد تنازعتني الأفكار والخواطر مع بعض الهواجس والوساوس فيما بين العقل والنّفس، فكان عزائي وأملي الوحيد أنْ تأتي الإجابة من مكان خارجي غير ذاتي؛ أي أنْ يُبدي شخص ذو مكانة علميَّة وتاريخيَّة رأيه في الموضوع، ويحسم القضيَّة، وأنْ يكون قوله هُو المُحدّد للإجابة عن السّؤالَيْن معاً.

وأُحبُّ أنْ أسوق وأستشهد ببعض ممَّا قاله عبد الرّحمن الكواكبي لما له علاقة بمُرادنا؛ حيثُ قال في أحد مآثره: (والنّاظر المُدقِّق في تاريخ الإسلام، يجد للمُستبدِّين من الخُلفاء والمُلوك الأوَّلين والعُلماء المُنافقين أفعالاً مُريعة في إطفاء نُور العلم، ويجد أنَّهم طالما أرادوا أنْ يُطفئوا نُور الله، ولكنْ؛ أبى الله إلَّا أنْ يُتمَّ نُوره، فحفظ للمُسلمين كتابه الكريم، الذي هُو شمس العُلُوم وكنز العلم من أنْ تمسَّه يد التّحريف، وهي إحدى مُعجزاته؛ لأنَّه قال فيه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (الحجر 9).

فما مسَّه المُنافقون إلَّا بالتّأويل، وهذا ـ أيضاً ـ من مُعجزاته، لأنَّه أخبر عن ذلك بقوله: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ ﴾ (آل عمران 7).

وإنّي أُمثّل للمُطالعين ما فعله الاستبداد في العلم والإسلام، بما حجر على العُلماء والحكماء، من أنْ يفسّروا قسمَيْ الآلاء والأخلاق من القُرآن تفسيراً مُدقّقاً، لأنّهم كانوا يخافون مخالفة رأي السّلف القاصرين في العلم، فيُكفّرون، فيُقتَلُون. وهذه مسألة إعجاز القُرآن، وهي أهمُّ مسألة في الدِّين، لم يقدروا أنْ يوفوها حقّها من البحث [1]، واقتصروا على ما قاله بعض السّلف من أنّها هي فصاحته وبلاغته وإخباره عن أنَّ الرّوم﴿ مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴾ (الرُّوم3).

وأعتقد اعتقاداً جازماً يقيناً أنَّ القُرآن الكريم به ما لم يُؤخذ منه إلّا القليل والقليل جدّاً فقط، وأُضيف أنّه لولا هذا الاعتقاد لاقتصر المُسلمون على أوّل كتاب تفسير تمَّ تأليفه، ولما تجرّأ مَنْ أتى من بعدُ على الكتابة في التّفسير، ولكنْ؛ لأنَّ المُفسّرين هُم بشر، وكلامهم كلام بشر، فليس بقُرآن ولا سُنّة، فإنّهم قد يُصيبون، وقد يخطئون في بعض القضايا، وما كان وصف الكواكبي لعُلماء السّلف بقُصور العلم مقصوداً به الإساءة، بل كان المقصود به هاتَيْن النّقطتَيْن واللّتَيْن على قدر من الأهميّة: الأُولى: أنَّ ثقافة المُفسّر وما بلغه وما اطّلع عليه من كُتُب العلم، وكذلك الفترة التّاريخيّة التي عاش فيها تُؤثّر على فَهْمه للآيات وتفسيرها، فعلى سبيل المثال؛ مَنْ اطّلع من المُفسّرين على كُتُب أهل الكتاب أورد كثيراً ممّا يُسمَّى الإسرائيليّات، وفسّر ـ في ضوئها ـ بعض الآيات والسّور. والثّانية: أنّه قد تستجدُّ أُمُور وأشياء بعد المُفسّرين نظراً على العلم والمُكتشفات، فظهرت تفسيرات للقُرآن تُسمَّى الإعجاز العلمي. فالقُرآن هُو القُرآن من عصر نُزُوله حتّى الآن، لكنَّ الاختلاف كان في التّفسير في ضوء إنجازات العلم ومواكبة التّفسير لهذه العُلُوم.

وممّا سبق فإنّي أتصوّر وأعتقد أنَّ إجابات قارئ البحث لا تخرج عن الثّلاث النّقاط التالية:

1- الاقتناع بنتيجة البحث مع وضع هامش الأخطاء التي قد أقع فيها، سواءً في إيجاد الأدلّة، أو طريقة البحث، أو الاسترسال، أو عرض بعض النّقاط، أو تفسير معنى أحد المضامين، أو شرحها، وإلى ما لذلك من أُمُور قد تحدث، فالكمال لله وحده فقط، ولكُلِّ شيء إذا ما تمَّ نقصان.

---

(1) يقصد الإعجاز العلمي في القُرآن.

2- عدم الاقتناع بنتيجة البحث، ولكنْ؛ لا بأس من بحث الموضوع، ومناقشته، وبأنه ليس هُناك محظور في ذلك، وبأنَّ هُناك مساحة قابلة للأخذ والرَّدِّ الموضوعيَّيْن، وأن القضيَّة صالحة للنّظر، ومن المحتمل الوصول إلى نتيجة مقنعة.

3- عدم الاقتناع بالبحث جملة وتفصيلاً، وعلى هذا ـ أيضاً ـ يوجد هُناك محظور شرعي في مَسِّ هذه القضيَّة، ولا يجوز الدّخول بها، وأنّها من المُحرَّمات، والقضيَّة برُمَّتها غير قابلة للنّقاش، وأنّها قد حُسِمَتْ، وانتهتْ سلفاً ، مع وُجود الأدلَّة التي تناقض وتُفنِّد أدلَّة البحث، وأنَّ هذه الأدلَّة معتبرة، يمكن الاستشهاد بها، والرَّدّ على نقاط البحث.

وفي النّهاية؛ ما كان هذا البحث إلَّا للبحث عن الحقيقة، ومهما كانت هذه الحقيقة والنّتيجة، سواء كان الحقّ معي، أو ضدِّي، فإنِّي أؤمن به، فإنْ كان الحقّ معي، وأنَّ هذا البحث يستحقُّ النّظر فإنِّي أعدُّ هذا مُساهمة في تغيير بعض المفاهيم، وإعادة النّظر في بعض الأشياء، وإنْ كان الحقُّ ضدِّي، فإنِّي أتراجع عمّا خطَّت يداي، وأُقدِّم اعتذاري سلفاً.

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

# تعريفات

## التّوراة السّامريّة:

هي أسفار مُوسى الخمسة، والسّامريُّون لا يعترفون بباقي القوانين العبريّة، ولا بالتقاليد الفرّيسيَّة، وهي مُقدَّسة عند السّامريّين، وهي غير الأسفار التي يُقدِّسها غيرهم من الطّوائف اليهُوديَّة والنّصرانيَّة، فهم لا يعترفون إلّا بأسفار مُوسى الخمسة، التي تتكوَّن من (سفر التكوين، الخُرُوج، اللاَّويّين، العدد، التّثنيَّة).

ولا يؤمنون بالأسفار التي عند اليهُود والنّصارى، وعدم إيمان السّامريّين بتلك الأسفار جاء لعدم إيمانهم بنُبُوَّة الأنبياء الذين جاءوا بها، ذلك أنَّ النُّبُوَّة عندهم خُتمتْ بمُوسى عليه السّلام؛ حيثُ لا يُجوِّزون النُّبُوَّة بعده، ولذلك؛ يعدُّون أسفار أولئك الأنبياء نُصُوصاً من صُنع بشر عاديّين، ومجموعة مُضلِّلين، وليست أسفاراً لأنبياء مُرسلين. [1]

## إنجيل برنابا:

برنابا هُو أحد الحواريّين الاثنَيْ عشر كما ذكر هُو في إنجيله في الفصل 14: (برنابا ومتَّى العشار)، إلّا أنَّ الأناجيل الثّلاثة حذفت اسمه، ووضعت مكانه تُوما:

ففي متَّى، إصحاح 10 (تُوما ومتَّى العشّار).

وفي مَرْقُص إصحاح 3، ولُوقا إصحاح 6 (متَّى وتُوما).

عَثَرَ على إنجيله سنة 1709م باللُّغة الإيطاليَّة أحد مُستشاري ملك بروسيا؛ واسمه كريمر. وانتقلت النّسخة سنة 1738م إلى البلاط الملكي بفييّنا. وفي أوائل القرن 18، وُجدت نُسخة إسبانيَّة

---

(1) عن السّامريّين، إياد الصّاحب، ص112، 113.

ترجمها المُستشرق سابل إلى الإنجليزيَّة، كما عَثَرَ راهب اسمه فرامينو على نسخة في مكتبة البابا سكتس الخامس في أواخر القرن 16.

وفي سنة 492م، أصدر البابا جلاسيوس أمراً بتحريم قراءة بعض الكُتُب على المسيحيِّين؛ ومنها إنجيل برنابا. ونظراً لأنَّ بُولُس يُكثر من ذِكْر اسم برنابا في أعمال الرُّسُل. فقد حَكَمَ بعض المجامع المسيحيَّة بتحديد قراءة كتاب أعمال الرُّسُل، ثُمَّ عادت مجامع أُخرى، وأباحت قراءته.

ويختلف إنجيل برنابا عن بقيَّة الأناجيل في أربع مسائل مُهمَّة:

أ ـ المسيح إنسان أرسله الله ربّ العالمين، مثله كمثل مُوسى وإبراهيم.

ب ـ المسيح لم يُصلَب، وإنَّما صُلب يهُود الاسخربوطي، الذي أُلقي عليه شبه المسيح.

جـ ـ الذَّبيح هُو إسماعيل، وليس إسحاق.

د ـ مسيا هُو مُحمَّد، وليس هُو يسوع. (1)

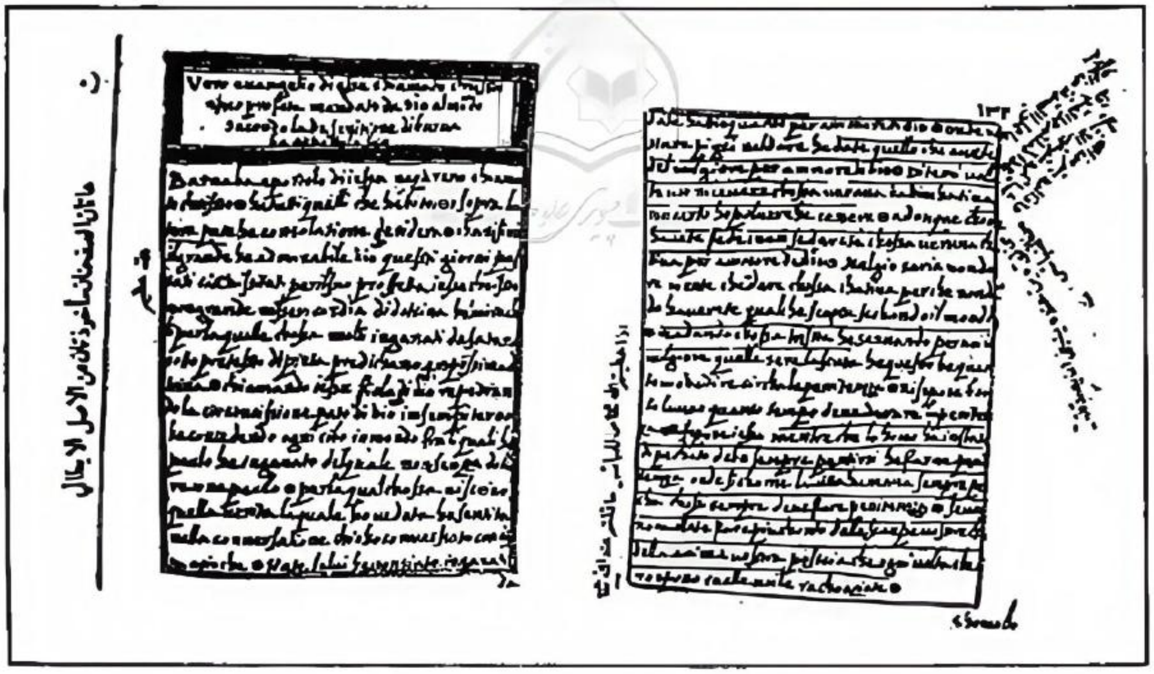

شكل (1): عن إنجيل برنابا، ترجمة خليل سعادة

(1) الوثيقة الرَّسمية لإنجيل برنابا، ص 10.

## الكتاب المُقدَّس:

وهُــو مكــوَّن مــن العهــدَيْن القــديم والجديــد، العهــد القــديم؛ ويــؤمن بــه اليهُــود فقــط، أمَّا النَّصارى؛ فيؤمنون بالعهدَيْن كلَيْهما.

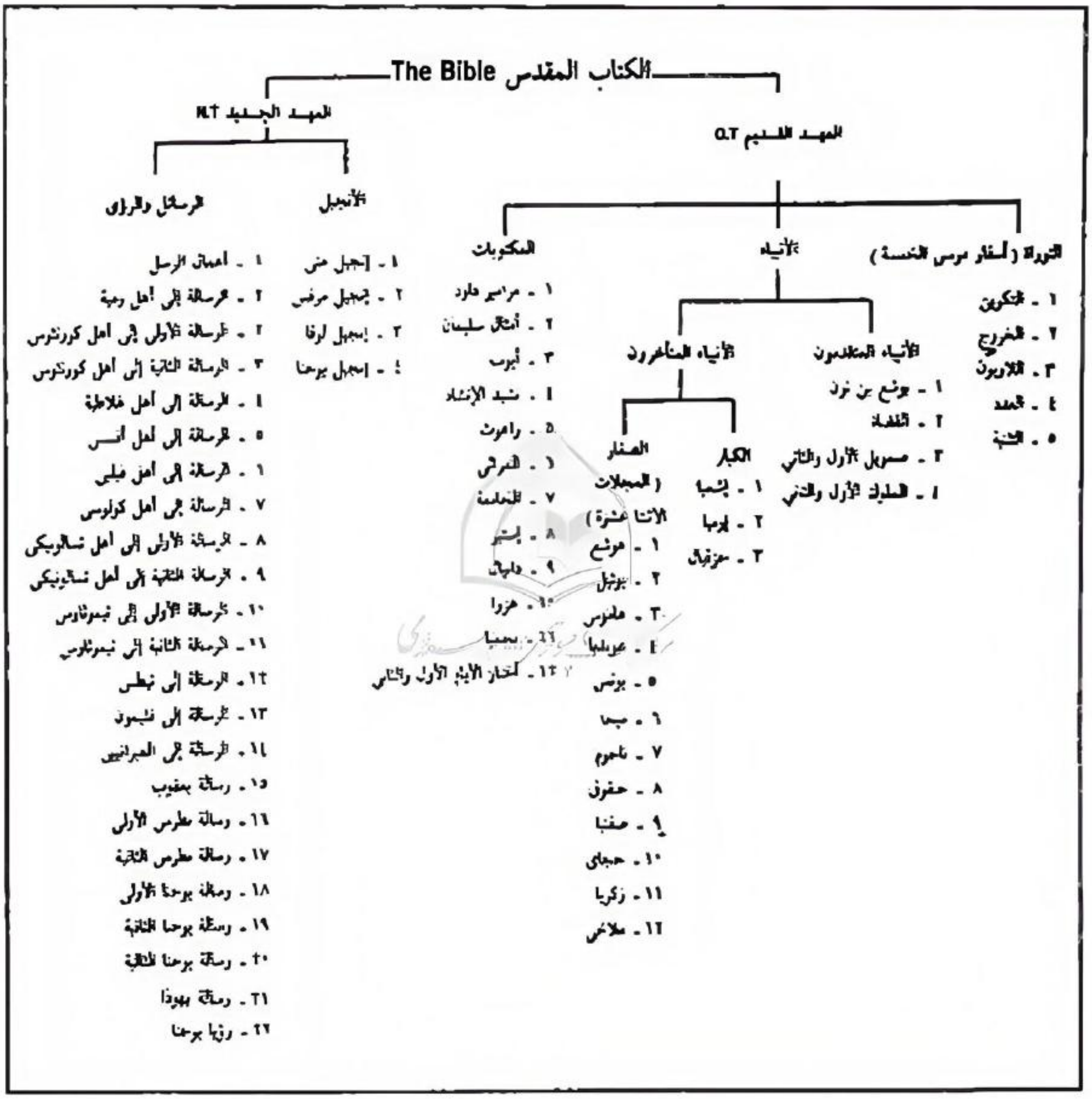


شكل (2): عن مدخل إلى اللُّغة العبريَّة، محمود أحمد حسن ا لمراغي

# تنبيه

قبل البدء في نقاش الموضوع الرّئيس؛ كان لابُدَّ من وضع ترتيب معيَّن، حتَّى يتسنَّى إدراك الموضوع كاملاً من جميع جوانبه، لأنَّه متداخل ومتشابك، وحتى لا ندخل في متاهة أو في شبكة لا بداية لها ولا نهاية مثل بيت العنكبوت، ثُمَّ نحاول فيها بعد الفصل بين النّقاط المتداخلة ، ارتضينا هذا التّرتيب، والذي يُعدُّ مقبولاً من ناحية التّرتيب الزّمني، أو حتَّى من ناحية إفادة البحث. لذلك ننصح بعدم تخطِّي هذا التّسلسل والتّرتيب؛ لكي يُفهَم البحث فَهْماً جيِّداً، ويصبح في الإمكان ـ في النّهاية ـ إبداء أيّ رأي إزاء أيّ نقطة؛ سواء بالسّلب، أو بالإيجاب، أو أيّ نقدٍ هادفٍ، وحتَّى لا ندع مجالاً لإصدار أحكام مُسبقة؛ بالاقتناع كانت أم بالإدانة والاستنكار.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

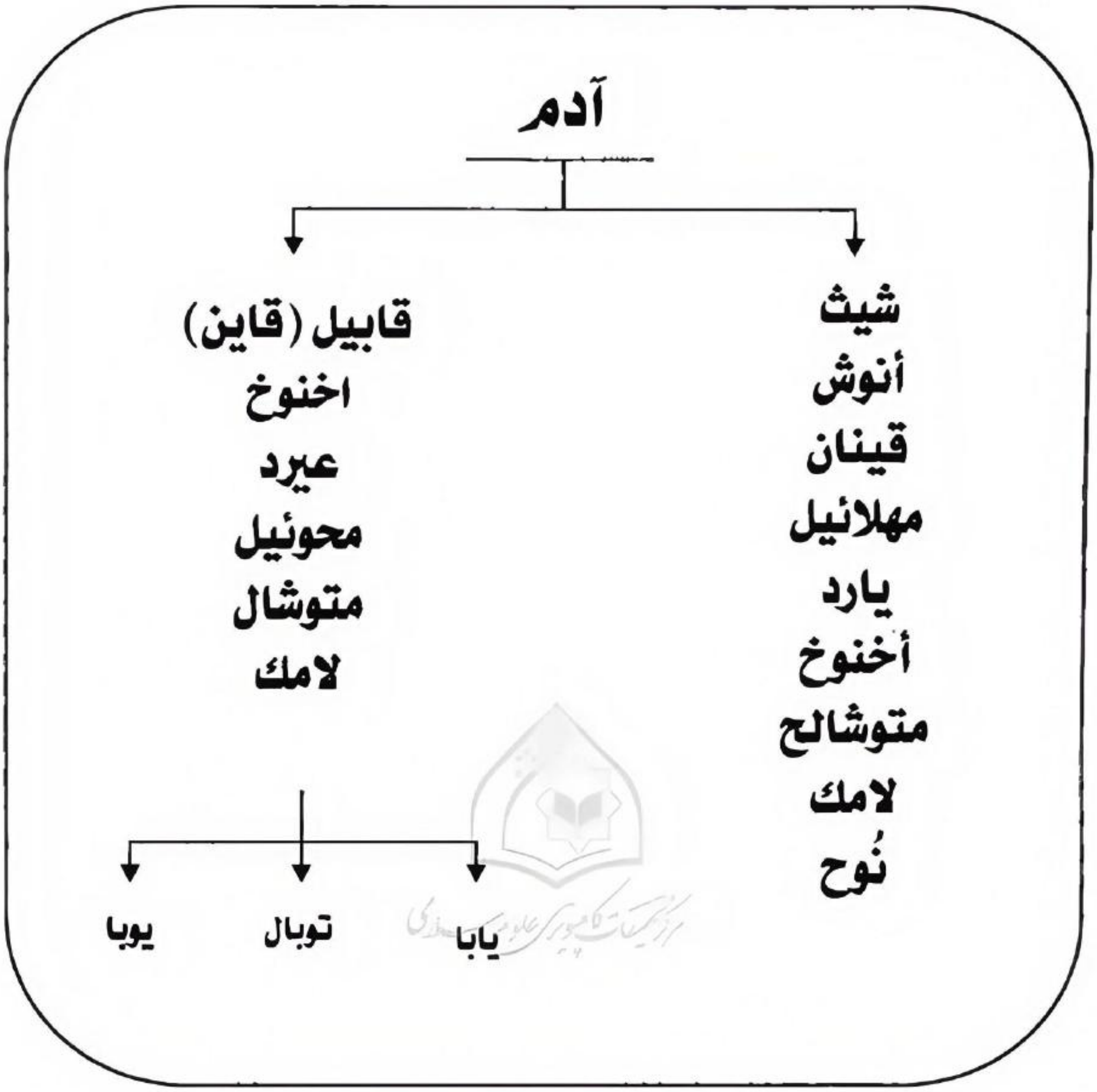


شكل (3): هُناك شبه إجماع على شجرة النَسب هذه بين رجال التَاريخ من المُسلمين، وكذلك عند أهل الكتاب، والاختلاف الكبير بينهم هُو ـ فقط ـ في ضبط الأسماء

# قابيل وهابيل

﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٢٧ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٨ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٩ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٣٠ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾ (المائدة 27-31).

أوّل مَنْ وُلد على الأرض قابيل وهابيل، وفَعَلَ قابيل فعلته، وقام بأوّل جريمة على الأرض. وقد وردت قصّتها ـ أيضاً ـ في التّوراة، وعُرف قابيل باسم قايين:

العهد القديم: التكوين 1 ، إصحاح 4:

1 عرف آدم حوّاء امرأته، فحبلتْ، وولدتْ قايين. وقالت: اقتنيتُ رجلاً من عند الرَّبّ. 2 ثُمّ عادتْ، فولدتْ أخاه هابيل. وكان هابيل راعياً للغنم، وكان قايين عاملاً في الأرض. 3 وحدث من بعد أيّام أنَّ قايين قدَّم من أثمار الأرض قرباناً للرَّبّ. 4 وقدَّم هابيل ـ أيضاً ـ من أبكار غنمه، ومن سمانها. فنظر الرَّبُّ إلى هابيل وقُربانه. 5 ولكنْ؛ إلى قايين وقُربانه لم ينظر. فاغتاظ قايين جدّاً، وسقط وجهه. 6 فقال الرَّبُّ لقايين: لماذا اغتظتَ، وسقط وجهكَ؟! 7 إنْ أحسنتَ أفلا رفع؟!. وإنْ لم تُحسن فعند الباب خطيَّة رابضة، وإليكَ اشتياقها، وأنت تسود عليها.

8 وكلَّم قايين هابيل أخاه، وحدث إذْ كان في الحقل أنَّ قايين قام على قابيل أخيه، وقتله. 9 فقال الرّبّ لقايين: أين هابيل أخوك؟ فقال: لا أعلم. أحارسٌ

أنا لأخي؟!. 10 فقال: ماذا فعلتَ؟ صوت دم أخيك صارخ إليّ من الأرض. 11 فالآن ملعون أنت من الأرض التي فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يدك. 12 متى عملت الأرض لا تعود تعطيك قوّتها. تائهاً وهارباً تكون في الأرض. 13 فقال للرّبّ: ذنبي أعظم من أنْ يُحتمَل. 14 إنَّكَ قد طردتّني اليوم من وجه الأرض، ومن وجهك أختفي، وأكون تائهاً وهارباً في الأرض. فيكون كلُّ مَنْ وجدني يقتلني. 15 فقال له الرَّبُّ: لذلك كلُّ مَنْ يقتل قايين، فسبعة أضعاف يُنتقَم منه. وجعل الرّبُّ لقايين علامة لكي لا يقتله كلُّ مَنْ وجده... 16 فخرج قايين من لدن الرّبّ، وسكن في أرض نود شرقي عدن... 35 وعرف آدم امرأته أيضاً. فولدت ابناً، ودعت اسمه شيثاً.

وورد مثل هذا السّياق في التّوراة السّامريّة (التّكوين / 6). وبعد أنْ قام قابيل بارتكاب جريمته فعل أشياء أُخرى.

# قابيل وشيث في المصادر الإسلاميَّة

قابيل: الطّبري ذكر أنَّ قابيل لمَّا قتل هابيل، وهرب من أبيه آدم إلى اليمن، أتاه إبليس، فقال له: إنَّ هابيل إنَّما قُبل قُربانه، وأكلته النّار؛ لأنّه كان يخدم النّار، ويعبدها، فانصبْ أنت ناراً تكون لك ولعقبك. فبنى بيت نار، فهُو أوّل مَنْ نصب النّار، وعبدها.[1] وقد كرَّر ذلك ابن الأثير حرفيّاً.[2] كما أنَّ ابن الجوزي أورد مثلهم.[3] وأضاف ابن كثير حديثاً عن الرّسول ﷺ "لا تقتل نفس ظلماً إلاَّ كان على ابن آدم الأوّل كفل من دمها؛ لأنّه أوّل مَنْ سنَّ القتل". رواه الجماعة سوى أبي داود.[4] وبعد موت هابيل وهب الله لآدم وحوَّاء شيث.

شيث: أورد الطّبري عن ابن إسحاق.... ذُرِّيَّة آدم كلُّهم جُهلَتْ أنسابهم، وانقطع نسلهم إلاَّ ما كان من شيث بن آدم، فمنه كان النّسل، وأنساب النّاس اليوم كلّهم إليه، دون أبيه آدم، فهُو أبو البشر، إلاَّ ما كان من أبيه وإخوته ممَّنْ لم يترك عقباً.[5] وعن أبي ذرّ الغفاري قال: قال لي رسول الله ﷺ: "يا أبا ذر؛ أربعة -يعني من الرّسل- سريانيُّون: آدم وشيث ونُوح وأخنوخ".[6] ويقول ابن كثير: معنى شيث هبة الله، وسمَّياه بذلك (آدم وحوَّاء) لأنَّهما رُزقاه بعد أنْ قُتل هابيل. قال أبو ذرٍّ في حديثه عن رسول الله ﷺ: إنَّ الله أنزل مائة صحيفة وأربع صحف، على شيث خمسين صحيفة. قال مُحَمَّد بن إسحاق: ولمَّا حضرت آدمَ الوفاةُ عهد إلى ابنه شيث، وعلَّمه ساعات اللّيل والنّهار، وعلَّمه عبارات تلك السّاعات، وأعلمه بوقوع الطّوفان بعد ذلك. قال: ويُقال إنَّ أنساب بني آدم كلَّها تنتهي إلى شيث، وسائر أولاد

---

(1) تاريخ الطبري، مُجلَّد (1)، ص 104.

(2) الكامل في التّاريخ، مُجلَّد (1)، ص48.

(3) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مُجلَّد (1)، ص229.

(4) البداية والنهاية، مُجلَّد (1)، ص87.

(5) تاريخ الطبري، مُجلَّد (1)، ص104.

(6) تاريخ الطبري، مُجلَّد (1)، ص107.

آدم غيره انقرضوا، وبادوا. والله أعلم [1] أمّا ابن الأثير؛ فيذكر أنّه كـان وصّي آدم في مخلّفيـه بعـد مـضيه لسبيله، وما أنزل الله عليه من الصّحف. وقيل: إنّه لم يزل مقيماً بمكّة يحجُّ، ويعتمر إلى أنْ مات، وإنّه كان جمع ما أنزل عليه وعلى أبيه آدم من الصّحف، وعمل بها، وأنّه بنى الكعبة بالحجـارة والطّـين [2]. ويقـول ابن الجوزي: رُوينا عن النّبي ﷺ "أنزل على شيث خمسون صحيفة"، وأنّه كان نبيّاً، وإلى شيث أنـساب بني آدم كلّهم اليوم، وذلك أنْ نسل سائر بني آدم غير نـسل شيث انقرضوا. ولم يـزل شـيث مقـيماً بمكّـة يحجُّ، ويعتمر، وجمع ما أنزل عليه من الصّحف إلى صحف أبيه آدم، فعمل بها [3]، ويُضيف الحاج مُحَمَّـد وصفي: وكان نبيّاً بنصّ الحديث الذي رواه ابن حبان في صحيحه عن أبي ذرٍّ مرفوعاً [4].

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(1) البداية والنهاية، مُجلّد (1)، ص91.

(2) الكامل في التّاريخ، مُجلّد (1)، ص47.

(3) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مُجلّد (1)، ص229.

(4) الارتباط الزّمني والعقائدي بين الأنبياء، ص49.

# بنو قابيل وبنو شيث

قال الطّبري: إنَّ غير ابن إسحاق من أهل العلم بالتوراة ذكر أنَّ الذي اتَّخذ الملاهي من ولد قايين رجل يُقال له توبال، اتَّخذ في زمن مهلائيل بن قينان آلات اللّهو من المزامير والطّبول والعيدان والطّنابير والمعازف، فانهمك ولد قايين في اللهو، وتناهى خبرهم إلى مَنْ بالجبل من نسل شيث،...، ونزلوا إلى ولد قايين، فأُعجبوا بما رأوا منهم...، فتسلّلوا ينزلون عن الجبل، ورأوا اللهو، فأعجبهم، ووافقوا نساء من ولد قايين متسرِّعات إليهم، وصرنَ معهم، وانهمكوا في الطّغيان، وفشت الفاشحة، وشُرب الخمر...، وهذا القول غير بعيد عن الحقّ، وذلك أنّه قول قد روي عن جماعة من سلف عُلماء أُمّة نبينا ﷺ نحو منه، وإنْ لم يكونوا بيّنوا زمان مَنْ حدث ذلك في ملكه، سوى ذكرهم أنَّ ذلك كان فيما بين آدم ونُوح ﷺ. ويُضيف الطّبري عن ابن عبّاس أنّه تلا هذه الآية ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ (الأحزاب 33).

قال: كانت فيما بين نُوح وإدريس، وكانت ألف سنة، وإنَّ بطنَيْن من ولد آدم، كان أحدهما يسكن السّهل، والآخر يسكن الجبل، وكان رجال الجبال صباحاً، وفي النّساء دمامة، وكان نساء السّهل صباحاً، وفي الرّجال دمامة، وإنَّ إبليس أتى رجلاً من أهل السّهل في صورة غلام، فآجر نفسه منه، وكان يخدمه، واتَّخذ إبليس ـ لعنه الله ـ شيئاً مثل الذي يزمّر فيه الدّعاء، فجاء فيه بصوت لم يسمع النّاس مثله، فبلغ ذلك مَنْ حولهم، فتنابعوهم، يسمعون إليه، واتَّخذوا عيداً يجتمعون إليه في السّنة، فتتبرّج النّساء للرجال، قال: وينزل الرّجال لهنَّ. وإنَّ رجلاً من أهل الجبل هجم عليهم وهم في عيدهم ذلك، فرأى النّساء وصباحتهنَّ، فأتى أصحابه، فأخبرهم بذلك، فتحوَّلوا إليهم، فنزلوا إليهم، فنزلوا عليهنَّ، فظهرت الفاحشة فيهنَّ، فهو قول الله عزَّ وجلَّ ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ (الأحزاب 33).

وممّا ذكره الطّبري أيضاً: رأى آدم فيهم الزّنا وشُرب الخمر والفساد، فأوصى ألاَّ يُناكح بنو شيث بني قابيل، فجعل بنو شيث آدم في مغارة، وجعلوا عليه حافظاً، لا يقربه أحد من بني قابيل، وكان الذين يأتونه ويستغفر لهم من بني شيث، فقال: مائة من بني شيث صباح: لو نظرنا إلى ما فعل

بنو عمّنا ! يعنون بني قابيل. فهبطت المائة إلى نساء صباح من بني قابيل، فاحتبس النّساء الرّجال، ثُمَّ مكثوا ما شاء الله. ثُمَّ قال مائة آخرون: لو نظرنا ما فعل إخواننا ! فهبطوا من الجبل إليهم، فاحتبسهم النّساء. ثُمَّ هبط بنو شيث كلّهم، فجاءت المعصية، وتناكحوا، واختلطوا، وكثر بنو قابيل حتّى ملأوا الأرض، وهم الذين غرقوا أيّام نُوح.[1]

وقد ذكر ابن الأثير مثل ما ذكره الطّبري حرفيّاً.[2]

أمّا ابن الجوزي؛ فقد قال: قيل إنَّ بعض أولاد قابيل اتّخذ آلات اللّهو من المزامير والطّبول والعيدان والطّنابير والمعازف، فانهمك ولد قابيل في اللّهو، فذهب إليهم قوم من أولاد شيث، ثُمَّ نزل آخرون، وفشت الفواحش، وشُرب الخمر، ثُمَّ يُضيف عن ابن عبّاس قال: في زمن يرد عبدت الأصنام.. وعن ابن عبّاس قال: كان بنو شيث يأتون جنب آدم في المغارة، فيعظّمونه، ويترحّمون عليه، فقال رجل من بني قابيل: إنَّ لبني شيث دوراً يدورون حوله، ويعظّمونه، وليس لكم شيء، فنحتوا لهم صنماً، فكان أوَّل مَنْ عملها... كما قال ابن الجوزي أيضاً: وأخبرني أبي، قال: كان ودّ وسواع ويغوث ويعوق ونسر قوماً صالحين، فماتوا في شهر، فجزع عليهم أهاليهم وأقاربهم، فقال رجل من بني قابيل: يا قوم؛ هل لكم أنَّ أعمل لكم خمسة أصنام على صورهم، غير أنّي لا أقدر أنْ أجعل فيها أرواحاً، قالوا: نعم، فَنَحَتَ لهم خمسة أصنام على صورهم، ونصبها لهم، وكان الرّجل يأتي أخاه وعمّه وابن عمّه ليُعظّمه، ويسعى حوله، حتّى ذهب ذلك القرن الأوّل، وعملت على عهد يرد بن مهلائيل، ثُمَّ جاء قرن آخر، فعظّموهم أشدّ من تعظيم القرن الأوَّل، ثُمَّ جاء من بعدهم القرن الثّالث، فقالوا: ما عظَّم أوَّلونا هؤلاء إلاّ وهم يرجون شفاعتهم عند الله، فعبدوهم، وعظم أمرهم، واشتدَّ كُفرهم، فبعث الله إليهم إدريس، فدعاهم، ولم يزل أمرهم يشتدُّ، حتّى بعث نُوحاً، وجاء الطّوفان[3]، فأهبط الماء هذه الأصنام من أرض إلى أرض، حتّى قذفها إلى أرض جدَّة، وقال ابن الجوزي: الصّحيح أنَّ هذه الأصنام الخمسة عُملَتْ بعد نُوح.. فيجوز أنْ يكونوا عملوها اتّباعاً لفعل قُدمائهم.[4]

---

(1) تاريخ الطّبري، ص 104، 105.

(2) الكامل في التّاريخ، ص 48، 49.

(3) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ص230، 231، 232.

(4) ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ۝ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ۝ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ (نوح 21ـ23).

أمّا قصّة بني قابيل وبني شيث؛ فقد وردت في التّوراة على النّحو التالي:

التّوراة السّامريّة: التّكوين، إصحاح 4

21... يوبال وهُو كان أوّل مَنْ قبض على قيثار وعود. 22... توبال قين صقل كلّ مخروط من نحاس وحديد....

العهد القديم: التّكوين، إصحاح 4

21... يوبال الذي كان أباً لكلّ ضارب بالعود والمزمار. 22... توبال قايين الضّارب كلّ آلة من نحاس وحديد...

وقصّة إغواء بني قابيل لبني شيث نجدها في التّوراة، مع كثير من التّحريف، وشيء من الرّمزيّة في فكّ رموزها.

التّوراة السّامريّة: التّكوين، إصحاح 6

1 وكان لمّا ابتداء النّاس للكثرة على وجه الأرض وبنات ولدن لهم. 2 نظر بنو السّلاطين بنات النّاس؛ إذْ هُم حسان هنّ. فأخذوا لهم نسوة من كلّ ما اختاروا. 3 وقال الله: لا ينعدم فيضي في الإنسان أبداً؛ بسبب أنّه بشر، بل تكون أيّامه مئة وعشرين سنة. 4 والجبابرة كانوا في الأرض في تلك الأيّام. وأيضاً؛ بعد ذلك دخل بنو السّلاطين إلى بنات النّاس، فولدنَ لهم. هُم الجبابرة الذي من العالم ذوي الاسم.
5 ونظر الله أنْ كثرتْ سيّئات الإنسان في الأرض.. 6 وتواجد الله لما صنع النّاس في الأرض. واشتدّ على خصيصه. 7 وقال الله: أَمْحى النّاس الذين خلقتُ من على وجه الأرض. من إنسان على بهيمة إلى دبيب إلى طير السّماء؛ إذْ تواجدت لما صنعتهم. 7 ونُوح وجد حظّاً عند الله.

العهد القديم: التكوين، إصحاح 6

1 وحدث لمّا ابتدأ النّاس يكثرون على الأرض، وولد لهم بنات. 2 أبناء الله رأوا بنات النّاس أنّهن حسنات. فاتّخذوا لأنفسهم نساء من كلّ ما اختاروا. 3 فقال

الرّبّ: لا يدين روحي في الإنسان إلى الأبد. لزيغانه هُو بشر، وتكون أيّامه مئة وعشرين سنة. 4 كان في الأرض طغاة في تلك الأيّام. وبعد ذلك - أيضاً - إذْ دخل بنو الله على بنات النّاس، وولدنَ لهم أولاداً. هؤلاء هُم الجبابرة الذين مُنْذُ الدّهر ذوو ا سم. ورأى الرّب أنَّ شر الإنسان قد كثر في الأرض. وأنَّ كلّ تصوُّر أفكار قلبه إنَّما هُو شرّير كلّ يوم. 6 فحزن الرّبُّ أنّه عمل الإنسان في الأرض. وتأسّف في قلبه. 7 فقال الرّبُّ: أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقتُهُ. الإنسان مع بهائم ودبّابات وطيور السّماء. لأنّي حزنتُ أنّي عملتُهُم. 8 أمّا نُوح؛ فوجد نعمة في عينَي الرّبّ.

ولأنَّ هذا المجال ليس مجال نقد التّوراة، فإن التّحريفات والإضافات أوضح من نور الشّمس في وقت الظّهيرة. وما يهمُّنا في هذا الموضوع هُو تفسير الفقرات السّابقة، فيقول المُؤرِّخ أوروسيوس: لمّا بلغ آدم من العمر مائتَيْن وثلاثين سنة وُلد له شيث أخلفه الله لهما بهابيل، اسم شيث الثّالث؛ لأنّه منه انبعث النّسل الطّاهر الذي قيل لهم أولياء الله [1]. فأولياء الله و(أبناء الله) المقصود بهم في الفقرات السّابقة هُم بنو شيث.

وفي تفسير آخر كتبها شخص من أهل الكتاب توافق وكذلك تطابق ما ورد في المصادر الإسلاميَّة، فقد ذكر ابن العبري: شيث ابن آدم يُقال إنّه أوّل مَنْ ابتدع الكتابة وشقّ ولده إلى الحياة السّعيدة التي كانت لأبوَيْه في الجنّة، فانقطعوا إلى جبل حرمون، متعكفين على العبادة والنّسك والعفّة لا يطورون بجنبه النّساء. فسُمُّوا بذلك بنو ألوهيم؛ أيْ الإله.. في سنة أربعين ليرد هبط بنو ألوهيم من جبل حرمون متآيسين (يائسين) من العود إلى الفردوس، ورغبوا في النّساء، فلم يزوِّجهم دور قرابتهم، مستخفِّين لهم. فاختطبهم قوم قاين، باذلين لهم بناتهم، فنحكوهنَّ، فولدنَ جبابرة مُبرِّزين في الحرب والغارات. وقيل إنَّ بنات الله قاين اخترعنَ آلات الملاهي زامرات بها، لذلك تُسمِّي السّريانيَّة اللّحن قِينه بالكسر، وتُسمِّي العَرَب الأَمَةَ المغنيَّة قَينه بالفتح... [2]

---

(1) تاريخ العالم، ص82.

(2) تاريخ مختصر الدّول، ص 11، 12.

وتقول شادية توفيق حافظ: "رُزق قايين بذُرِّيَّة كانوا أشراراً، هُم الذين يدعوهم الكتاب المقدَّس (بني النّاس)". [1]

من العرض السّابق عرفنا أنَّ قابيل وبني قابيل هُم أصل البلاء:

1- قابيل أوَّل مَنْ عصى، وقام بأوَّل جريمة في الأرض بقتله هابيل.

2- قابيل أوَّل مَنْ طُرد من رحمة الله.

3- قابيل أوَّل مَنْ عبد النّار.

4- بنو قابيل أوَّل مَنْ اتَّخذ المعازف والمزامير واللّهو.

5- بنو قابيل أوَّل مَنْ صنع الأصنام، وأوَّل مَنْ عبدها.

6- بنات قابيل أوَّل مَنْ تبرَّج، وأغوى بني شيث.

7- بنو قابيل سبب غرق الأرض بطوفان نُوح.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

---

(1) دراسات سريانيّة، الفصل الثّاني، ص60.

# إدريــس

قال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ۝ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾. (مريم 56-57)إدريس ـ عليه السّلام ـ كان نبيّاً فيما بين آدم ونُوح عليهما السّلام. وذكـر الطّبري عـن ابن إسحاق: أخنوخ هُو إدريس النّبي، وكان أوّل من بني آدم أعطي النّبوّة ـ فيما زعم ابن إسحاق ـ وخطّ بالقلم، وقال غيره من أهل التّوراة: ولد ليرد أخنوخ ـ وهُو إدريس ـ هُو أوّل مَنْ خطّ بعد آدم، وجاهد في سبيل الله، وقطع الثّياب، وخاطها، وأوّل مَنْ سبى من ولد قابيل، فاسترقّ منهم، ودعا أخنوخ قومه، ووعظهم، وأمرهم بطاعة الله عزّ وجلّ، ومعصيّة الشّيطان، وألاّ يُلابسوا ولد قابيل، فلم يقبلوا منه، وكانت العصابة بعد العصابة من ولد شيث تنزل إلى ولد قابين. قال: وفي التّوراة: إنّ الله ـ تبارك وتعالى ـ رفع إدريس. وأضاف الطّبري عن أبي ذرّ الغفاري قال: قال لي رسول الله ﷺ: "يا أبا ذرّ أربعة ـ يعني من الرّسل ـ سريانيُّون: آدم وشيث ونُوح وأخنوخ، وهُو أوّل مَنْ خطّ بالقلم، وأنزل الله ـ تعالى ـ على أخنوخ ثلاثين صحيفة". [1] أمّا ابن كثير؛ فقد قال: هُو خنوخ هذا، وهُو في عمود نسب رسول الله ﷺ على ما ذكره غير واحد من عُلماء النّسب. وكان أوّل بني آدم أعطي النّبوّة بعد آدم وشيث عليهما السّلام[2]. قال ابن الجوزي: اسمه خنوخ... وإنّما قيل له إدريس لأنّه أوّل مَنْ درس الوحي المكتوب. وعن ابن عبّاس قال: إنّ أوّل بني بعد آدم إدريس عليه السّلام وهُو خنوخ،....، وقال عُلماء السّير: نبأ الله إدريس في حياة آدم، وأنزل الله عليه ثلاثين صحيفة، فدعا قومه، ووعظهم، وأمرهم بطاعة الله، ومخالفة الشّياطين، وأنْ لا يلامسوا أولاد قابيل، فخالفوا، فجاهدهم، وسبى منهم، واسترقّ، وهُو أوّل مَنْ خطّ بالقلم، وقطع الثّياب، وخاطها، ورفع إدريس. [3] أمّا ابن الأثير؛ فلم يخرج عمّا قبل. [4]

---

(1) تاريخ الطّبري، ص 106، 107.

(2) البداية والنهاية، ص 92.

(3) المنتظم في الملوك والأمم، ص223، 224.

(4) الكامل في التّاريخ، ص 50.

وأمّا من العُلماء المتأخِّرين؛ فقد قال عبد الوهاب النّجّار عن إدريس: اسمه في التّوراة العبريّة (خنوخ)، وفي التّرجمة العَرَبيّة (أخنوخ)، ولمّا كبر إدريس آتاه الله النُّبوَّة، فنهى المفسدين من بني آدم عن مخالفتهم شريعة آدم وشيث، فأطاعه أقلُّهم، وخالفه جُلُّهم... وهُو أوّل مَنْ استخرج الحكمة، وعلَّم النُّجُوم... وزعم جماعة من العُلماء أنَّ جميع العُلُوم ظهرت قبل الطّوفان، وإنّما صدرت عن هرمس الأوّل السّاكن بصعيد مصر الأعلى، وهُو الذي يُسمّيه العبرانيُّون: خنوخ.. وهُو إدريس النّبي... وقالوا: إنّه أوّل مَنْ أنذر بالطّوفان، ورأى أنَّ آفة سماويّة تلتحق الأرض من الماء والنّار. (1)

إدريس ـ عليه السّلام ـ عُرف في التّوراة السّامريّة باسم حنوك، وفي العهد القديم أخنوخ، لكنَّ السّؤال هُنا هُو أنّه هُناك شخصان يحملان هذا الاسم: الأوّل ابن قابيل، والثّاني ابن يارد من نسل شيث، فأيّهما هُو إدريس:

1 ـ أخنوخ (حنوك) الذي يُنسَب إلى قابيل:

التّوراة السّامريّة: التّكوين، إصحاح 4

17 ونال قاين زوجته، وولدت حنوك.

العهد القديم: التّكوين،إصحاح 4

17 فعرف قاين امرأته، فحبلت، وولدت حنوك.

النُّسخة الإنجليزيّة من العهد القديم **GENESIS Chapter 4**

**17 Cain and his wife had ason and named him Enoch**

وفي النّسخة العبريّة من العهد القديم (التّناخ):

**בראשית פרק ד**

**17וַיֵּדַע קַיִן אֶת־אִשְׁתּוֹ וַתַּהַר וַתֵּלֶד אֶת־חֲנוֹךְ**

2ـ أخنوخ (حنوك) الذي من نسل شيث:

التّوراة السّامريّة: التّكوين، إصحاح 5

---

(1) قَصَص الأنبياء، ص45 إلى 52.

18 وعاش يرد اثنتَيْن وستِّين سنة، وأولد حنوك.. 24 وسلك حنوك في طاعة الله، وفقد إذْ تولَّته الملائكة.

العهد القديم: التكوين، إصحاح 5

18 وعاش يارد مئة واثنتَيْن وستِّين سنة، وولد أخنوخ... 24 وسار أخنوخ مع الله، ولم يوجد؛ لأن الله أخذه. (1)

وفي النُّسخة الإنجليزيَّة من العهد القديم: **GENESIS Chapter5**

**18 whin Jared was 162. he had a son , Enoch 24 He spent his Life in fellowsip with God , and then he disaappeared , because God took him away.**

وفي النُّسخة العبريَّة من العهد القديم (التّناخ):

**בראשית פרק ה**

**18 וַיְחִי־יֶרֶד שְׁתַּיִם וְשִׁשִּׁים שָׁנָה וּמְאַת שָׁנָה וַיּוֹלֶד אֶת־חֲנוֹךְ .... 24 וַיִּתְהַלֵּךְ חֲנוֹךְ אֶת־הָאֱלֹהִים וְאֵינֶנּוּ כִּי־לָקַחת אתוֹ אֱלֹהִים**

وقد وردت ثلاثة أحاديث مُطوَّلة في صحيح البُخاري، وكذلك مسند الإمام أحمد عن الإسراء كلّها تتّفق في المعنى المدلول دُون اللّفظ؛ وهي:

[1] أحاديث البُخاري: كتاب الصّلاة (8) باب (1) كيف فُرضت الصّلاة في الإسراء، رَقْم 349، وفي كتاب بدء الخلق (59) باب (6) ذِكْر الملائكة، رَقْم 3207، وفي كتاب مناقب الأنصار (63) باب (4) المعراج، رَقْم 3887.

[2] أحاديث الإمام أحمد: في مسنده. أرقام الأحاديث 17987، 1798، 17989.

ونقتطف من حديث الإسراء في مسند الإمام كنموذج؛ وهُو برَقْم 17989:

عن أنس بن مالك أنَّ مالك بن صعصعة حدَّثه، أنَّ نبي الله ﷺ حدَّثهم عن ليلة أُسري به... فانطلق بي جبريل حتَّى أُتى بي السّماء الدُّنيا، فاستفتح، فقيل: مَنْ هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومَنْ

(1) التّرجمة العَرَبيَّة فقط فرّقتْ بين الأوّل والثّاني في ضبط الاسم، فالأوّل حنوك، والثّاني أخنوخ، وهذا لا نجده في غير التّرجمة العَرَبيَّة.

معك؟ قال: مُحَمَّد، قيل: أو قد أُرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، ونعم المجيء جاء، قال: ففتح، فلمّا خلصت، فإذا فيها آدم عليه السّلام، فقال: مرحباً بالابن الصّالح والنّبي الصّالح.. فلمّا خلصت، فإذا يحيى وعيسى وهما ابنا خالة، فقال: هذا يحيى وعيسى، فسلّم عليهما، قال: فسلّمتُ، فردّا السّلام، ثُمَّ قالا: مرحباً بالأخ الصّالح والنّبي الصّالح.. فلمّا خلصت، فإذا يُوسُف عليه السّلام، قال: هذا يُوسُف، فسلّم عليه، قال: فسلّمتُ عليه، فردَّ السّلام، وقال: مرحباً بالأخ الصّالح والنّبي الصّالح.... فلمّا خلصت، قال: فإذا إدريس عليه السّلام، قال: هذا إدريس، فسلّم عليه، فسلمتُ عليه، فردَّ السّلام، ثُمَّ قال: مرحباً بالأخ الصّالح والنّبي الصّالح.. فلـمّا خلصت، فإذا هارون عليه السّلام، قال: هذا هارون، فسلّم عليه ، قال: فسلّمتُ عليه، قال: فردَّ السّلام، ثُمَّ قال: مرحباً بالأخ الصّالح والنّبي الصّالح... فلمّا خلصت، فإذا أنا بمُوسى عليه السّلام، قال: هذا مُوسى، فسلّم عليه، فسلّمتُ عليه، فردَّ السّلام، ثُمَّ قال: مرحباً بالابن الصّالح والنّبي الصّالح...".

عُرف إدريس بأنّه أخنوخ الذي من نسل شيث؛ قال ابن كثير: هُو خنوخ هذا، وهُو في عمود نُسب رسول الله ﷺ على ما ذكره غير واحد من عُلماء النّسب. [1] ويُضيف على ذلك الحاجّ مُحَمَّد وصفي، ويُلاحظ أنَّ القول بأنَّ إدريس هُو أخنوخ، سببه أنَّ ما وُصف به أخنوخ في العهد القديم من أنَّه سار مع الله بعدما ولد متوشالح، وأنَّه: (لم يُوجد؛ لأنَّ الله أخذه)، ومُقابلة هذا الوصف مع قوله تعالى عن إدريس: ﴿ وَرَفَعْنَـٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ (مريم 57).

فلفظ: (سار أخنوخ مع الله) استنتج منه أنَّ أخنوخ كان نبيّاً، وهُو ما يتّفق مع نُبوّة إدريس في القُرآن، ولفظ (لأنَّ الله أخذه) استنتج تطبيقه على إدريس من قوله تعالى:﴿ وَرَفَعْنَـٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾(مريم 57) [2].

## هل إدريس في عمود نسب الرّسول مُحَمَّد ﷺ؟

المقصود في هذا هُو: هل إدريس من نسل شيث ، وهُو جَدٌّ لنُوح؛ لأن الرّسول ﷺ من ذُرّيّة نُوح؛ أيْ من نسل شيث؟ فهُناك قول بأنَّ إدريس ـ عليه السّلام ـ في عمود نسب الرّسول ﷺ، وهذا

(1) البداية والنّهاية، ص92.

(2) الارتباط الزّمن والعقائدي بين الأنبياء والرُّسُل، ص53، 54.

ما يذكره عُلماء النّسب والتّاريخ، وعلى سبيل المثال ذكر ابن كثير: "أنَّ قول البُخاري عن ابن مسعود وابن عبَّاس اللَّذَيْن يقولان إنَّه ليس في عمود نسبه؛ لأنَّه في حديث الزّهري عن أنس في الإسراء أنّه لمَّا مرّ به عليه السّلام قال له: مرحباً بالأخ الصّالح والنّبي الصّالح، ولم يقلْ كما قال آدم وإبراهيم: مرحباً بالنّبي الصّالح والابن الصّالح، قالوا: فلو كان في عمود نسبة لقال له كما قالا له". فيردّ على هذا القول ابن كثير بقوله: "بأنَّ هذا لا يدلُّ ولابُدَّ؛ لأنَّه قد لا يكون الرّاوي حفظه جيِّداً، أو لعلَّه قاله على سبيل الهضم والتّواضع، ولم ينتصب له في مقام الأُبُوَّة كما انتصب لآدم أبي البشر وإبراهيم الذي هُو خليل الرّحمن، وأكبر أُولي العزم بعد مُحَمَّد صلوات الله عليهم أجمعين. [1]

إنَّ قول البُخاري عن ابن مسعود وابن عبَّاس يستند على دليل قوي، وذلك بحسب الحديث الشّريف، لكنَّ ابن كثير كان عنده حكَم ورُؤية، ورأي سبق، وهُو أنْ إدريس في عمود نسب الرّسول ﷺ، لذلك حاول تأويل النَّصّ، فمرَّة قال بأنَّه قد يكون الرّاوي لم يحفظه جيِّداً، وهذا القول لو طُبِّق على الأحاديث لما تبقى من السُّنَّة شيء، وفي المرَّة الثّانية قال: لعلَّه قال ذلك هضماً وتواضعاً، وهذا ما ليس عليه دليل.

في الجدول التّالي ما ذُكر في حديث الإسراء عن ما قاله الأنبياء للرّسول ﷺ، عن البُخاري ومسند الإمام أحمد:

| البُخاري | كتاب 8 باب 1 حديث 349 |
|---|---|
| آدم | مرحباً بالنّبي الصّالح والابن الصّالح |
| إدريس | مرحباً بالنّبي الصّالح والأخ الصّالح |
| مُوسى | مرحباً بالنّبي الصّالح والأخ الصّالح |
| عيسى | مرحباً بالأخ الصّالح والنّبي الصّالح |
| إبراهيم | مرحباً بالنّبي الصّالح والابن الصّالح |

(1) البداية والنهاية، ص93.

| البُخاري | كتاب 59 باب 6 حديث 3207 | مسند الإمام أحمد حديث 17987 |
|---|---|---|
| آدم | مرحباً بك من ابن ونبي | مرحباً بك من ابن ونبي |
| عيسى ويحيى | مرحباً بك من أخ ونبي | مرحباً بك من أخ ونبي |
| يُوسُف | مرحباً بك من أخ ونبي | مرحباً بك من أخ ونبي |
| إدريس | مرحباً بك من أخ ونبي | مرحباً بك من أخ ونبي |
| هارون | مرحباً بك من أخ ونبي | مرحباً بك من أخ ونبي |
| مُوسى | مرحباً بك من أخ ونبي | مرحباً بك من أخ ونبي |
| إبراهيم | مرحباً بك من ابن ونبي | مرحباً بك من ابن ونبي |
| البُخاري | كتاب 63 باب 42 حديث 3887 | مسند الإمام أحمد حديث 17989 |
| آدم | مرحباً بالابن الصّالح والنّبي الصّالح | مرحباً بالابن الصّالح والنّبي الصّالح |
| عيسى ويحيى | مرحباً بالأخ الصّالح والنّبي الصّالح | مرحباً بالأخ الصّالح والنّبي الصّالح |
| يُوسُف | مرحباً بالأخ الصّالح والنّبي الصّالح | مرحباً بالأخ الصّالح والنّبي الصّالح |
| إدريس | مرحباً بالأخ الصّالح والنّبي الصّالح | مرحباً بالأخ الصّالح والنّبي الصّالح |
| هارون | مرحباً بالأخ الصّالح والنّبي الصّالح | مرحباً بالأخ الصّالح والنّبي الصّالح |
| مُوسى | مرحباً بالأخ الصّالح والنّبي الصّالح | مرحباً بالأخ الصّالح والنّبي الصّالح |
| إبراهيم | مرحباً بالابن الصّالح والنّبي الصّالح | مرحباً بالابن الصّالح والنّبي الصّالح |

من العرض السّابق نستدلُ بأنّ إدريس (أخنوخ) ليس في عمود نسب النّبي مُحَمّد ، فلم يتبقّ لنا إلّا أنْ يكون إدريس هُو أخنوخ الآخر الذي ليس من بني شيث، بل من بني قابيل، ومن المعروف أيضاً أنّ النّبي يُبعث إلى قوم فاسقين ، فهل كان بعث إدريس عليه السّلام (أخنوخ) إلى بني شيث الصّالحين؟ أم أنّه بُعث إلى بني قابيل الفاسقين؟! وهذه شجرة نسب للأنبياء الذين ورد ذكرهم في الجدول السّابق عن حديث الإسراء:

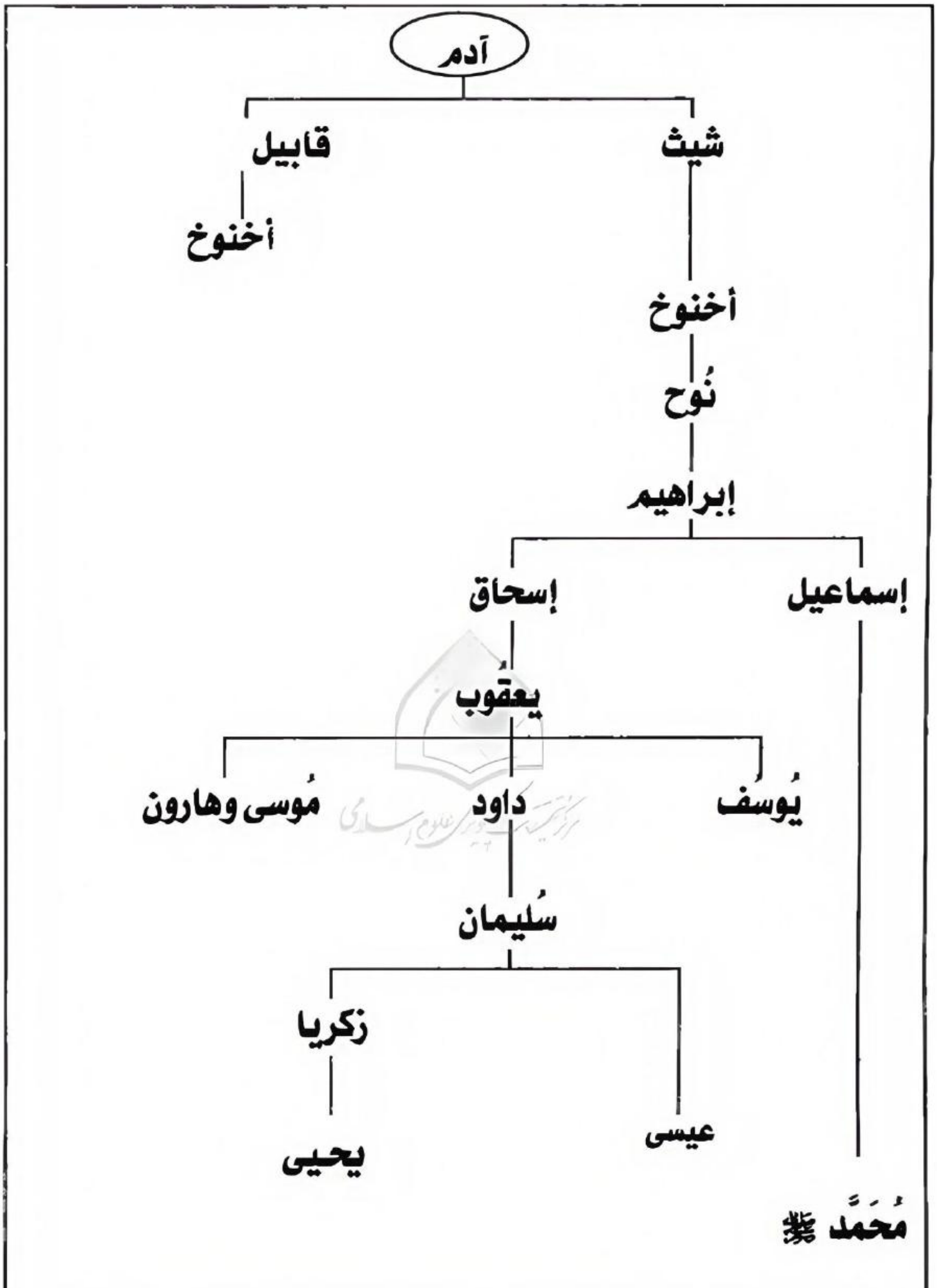


شكل (4): الأنبياء الوارد ذكْرهم في حديث الإسراء وعلاقتهم بالنّبي مُحَمَّد ﷺ

# نُوح عليه السّلام

بُعث نُوح ـ عليه السّلام ـ بعد أنْ فسد بني آدم، وبعد أنْ اتّبع بنو شيث الصّالحون طُرُق بني قابيل في الفساد. ولم يستجب له إلّا قليل من المُؤمنين، فأغرق الله قوم نُوح، ولم ينجُ معه إلّا قليل. وقد أثبت القُرآن الكريم أنّه هُناك مَنْ آمن مع نُوح، وركب معه في السّفينة:

1- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٥) أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٢٦) فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (٢٧) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ (٢٨) وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۚ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ إِنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٩) وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣٠) وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا ۖ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ (٣١)... وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦) وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (٣٧)... حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ [1] الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ ۚ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (٤٠) ۞ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا

---

(1) المقصود امرأته وابنه:

1 - ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ﴾ (التحريم 10).

2- ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ (هود 42-43).

وَمُرْسَاهَا ۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (41) ...قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (هود 25-48).

2- قال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (105) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (106) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (107) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (108) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (109) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (110) ۞ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ (111) قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (112) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ (113) وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ (114) إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (115) قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ (116)... فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (119) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ (120) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (الشعراء 105-121)

3- قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ (23) ...فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ۙ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۖ إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (27) فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (المؤمنون 23-28).

4- قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (59)... فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴾ (الأعراف 59-64).

5- قال تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ (71)... فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۖ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴾ (يونس 71-73).

6- قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (14) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ (العنكبوت 14-15).

هذه الآيات الكريمة تدلُّ ـ بشكل قاطع ـ على أنّه هُناك مَنْ آمن مع نُوح، وركب معه في السّفينة، بينما التّوراة تجحد وتنفي وتُنكر أنَّ هُناك مُؤمنين مع نُوح، وتذكر بأنّه لم يصعد إلى السّفينة أحد سوى نُوح وأبنائه الثّلاثة (سام، حام، يافث) وزوجاتهم:

التّوراة السّامريَّة: التّكوين:

| التّكرار | الإصحاح | الفقـرة |
|---|---|---|
| 1 | 6 | 18... وتدخل السّفينة أنت وبنوك وزوجتك ونسوة بنيك معك |
| 2 | 7 | 1 وقال الله لنُوح: ادخل أنت وكُلّ آلك إلى السّفينة |
| 3 | 7 | 7 فدخل نُوح وبنوه وزوجته ونساء بنيه معه إلى السّفينة |
| 4 | 7 | 13 في جرم اليوم؛ دخل نُوح وسام وحام ويافث بنو نُوح وزوجته وثلاث نسوة بنيه معهم إلى السّفينة |
| 5 | 7 | 23... وبقي خُصُوصاً نُوح ومَنْ معه في السّفينة |
| 6 | 8 | 16 اخرج من السّفينة أنت وزوجتك وبنوك ونسوة بنيك معك |
| 7 | 9 | 18 وكانوا بنو نُوح الخارجون من السّفينة سام وحام ويافث |

العهد القديم: التّكوين:

| التّكرار | الإصحاح | الفقـرة |
|---|---|---|
| 1 | 6 | 18... فتدخل الفلك أنت وبنوك وامرأتك ونساء بنيك معك |
| 2 | 7 | 1 وقال الرّب لنُوح: ادخل أنت وجميع بيتك إلى الفلك |
| 3 | 7 | 7 فدخل نُوح وبنوه وامرأته ونساء بنيه معه إلى الفلك |
| 4 | 7 | 13... دخل نُوح وسام وحام ويافث بنو نُوح وامرأته، وثلاث نساء بنيه معهم إلى الفلك |
| 5 | 7 | 23 وتبقى نُوح والذين معه في الفلك فقط |
| 6 | 8 | 16 اخرج من الفلك أنت وامرأتك وبنوك ونساء بنيك معك |
| 7 | 9 | 18 وكان بنو نُوح الذين خرجوا من الفلك ساماً وحاماً ويافث |

من هذا نجد أنَّ نُسَّاخ التّوراة حرَّفوا في قصَّة نُوح عليه السّلام، وأخفوا أنّه هُناك مَنْ آمن معـه وركب السّفينة، وورد هذا في سبع فقرات ، بينما ورد عكس ذلك في القُرآن الكريم بالعددنفسه.

وقد أشار حسن الباش إلى هذا الفَرْق بين التّوراة والقُـرآن؛ حيـثُ قـال في فقـرة عـن التّـوراة ".... قصَّة الطّوفان وإقامة عهد الله مع نُوح وأبنائه وامرأته ونساء أولاده.. ".

وفي فقرَتَيْن عن القُرآن الكريم "... إيمان القلَّة من النّاس بما أُوحي إلى نُوح دُون تحديد لأولاده أو غيرهم.. إخبار الله لنُوح بأنَّ مَنْ حملهم معه سيكون فيهم الصّالح والكافر" [1].

| التّكرار | السُّورة | الآية |
|---|---|---|
| 1 | هُود | ﴿ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (هُود 40) |
| 2 | هُود | ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (هُود 48) |
| 3 | الشُّعراء | ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴾ (الشُّعراء 119). |
| 4 | المُؤمنون | ﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ ﴾ (المُؤمنون 28) |
| 5 | الأعراف | ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ﴾ (الأعراف 64) |
| 6 | يُونُس | ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ ﴾ (يُونُس 73) |
| 7 | العنكبوت | ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ ﴾ (العنكبوت 15) |

ما جمعناه سابقاً يدلُّ على شيء واحد؛ وهُو ما نُؤكِّد عليه ألا وهُو نفي التّوراة وُجود مُؤمنين مع نُوح، بينما ردَّ القُرآن الكريم على هذا القول، وكذَّبه، وكان الـرَّدُّ في سـبع مواضـع عـلى غـرار الـسّبع فقرات التي وردت في التّوراة ، والسُّؤال المهمُّ والذي يفرض نفسه فرضـاً هُـو لمـاذا أخفـت التّـوراة

(1) القُرآن والتّوراة أين يتّفقان وأين يفترقان، ص101.

وُجُود مُؤمنين مع نُوح عليه السّلام، الكُلُّ يعرف أنَّ إخفاء التّوراة مَنْ هُو الذّبيح (إسماعيل)، وجعله إسحاق، كان لكي يتحوَّل الوعد إلى يعقُوب، لكنْ أنْ تُخفي أنَّه هُناك مَنْ ركب السّفينة مع نُوح فهـذا سُؤال نتعرَّف إلى إجابته لاحقاً.

أمّا عن عدد هؤلاء المُؤمنين؛ فقد قال ابن كثير: عن ابن عبَّاس كانوا ثمانين نفساً مع نسائهم (1)(1) وعن كعب الأحبار: كانوا اثنَيْن وسبعين نفساً. وقيل: كانوا عشرة. وقيل: إنَّما كانوا نُوحاً وبنيه الثّلاثة وكنائنه الأربع بامرأة "يام" [الابن الذي غرق] الذي انخزل، وانعزل، وسلك عن طريق النّجاة، فما عدل إذْ عدل. وهذا القول فيه مُخالفة لظاهر الآية، بل هي نصٌّ في أنّه قد ركب معه من غير أهله طائفة ممَّنْ آمن به، كما قال: ﴿ نَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الشّعراء 118)، وقيل كانوا سبعة[2]، ولم نجد في مصادر أهل الكتاب ما يُؤكّد نجاة مُؤمنين مع نُوح سوى مصدر واحد وهُو إنجيل برنابا، وقد ذكر رَقْماً مُشابهاً لما ذكره ابن عبَّاس إذا أضفنا أبناء نُوح الثّلاثة، ولكنَّه لم يُحدِّد الرّجال أو النّساء:

إنجيل برنابا الفصل 114

> 7 فبسبب الشّهوة أتى الطّوفان، حتّى أنَّ العالم هلك أمام رحمة الله، ولم ينجُ إلّا نُوح وثلاثة وثمانون شخصاً بشريّاً فقط.

هؤلاء الذين نجوا قال الله تعالى فيهم: ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (هُود 48)،ففي هذه الآية يتوعَّد سُبحانه وتعالى بالعذاب جُزءاً ممَّنْ ركب مع نُوح في السّفينة، فما سبَّب هذا التّوعُّد؟ وهل ينطبق عليهم قوله تعالى:

1- ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ (العنكبوت 65).

2 - ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴾ بني إسرائيل (الإسراء 67).

---

(1) البداية والنهاية، ص 104.

(2) البداية والنهاية، 104،105.

3 ـــــ ﴿ إِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾ (لقمان 32).

4 ـ ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ (الأنعام63-64).

5 ـ ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَـٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (يونس 22-23).

6ـ ﴿ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾ (النحل 53-54).

ومثل هذا المعنى ورد في العهد القديم:

مزامير داود مزمور 107

23 النَّازلون إلى البحر في السُّفُن العـاملون عمـلاً في الميـاه الكثـير. 24 هُـم رأوا أعمال الرَّبِّ وعجائبه في العُمق. 25 أمر، فأهاج ريحاً عاصفة، فرفعت أمواجه. 26 يصعدون إلى السَّماوات، يهبطـون إلى الأعـماق. ذابـت أنفـسهم بالـشَّقاء. 27 يتمايلون ويترنَّحون مثل السَّكران، وكُلّ حكمتهم ابتُلعت. 28 فيصرخون إلى الرَّبِّ في ضيقتهم، ومن شدائدهم يُخلِّصهم. 29 يُهدِّئ العاصفة، فتسكن أمواجهـا. 30 فيفرحون؛ لأنَّهم هدؤوا، فيهديهم إلى المرفأ الذي يُريدونه. 31 فليحمدوا الرَّبَّ علـى رحمته وعجائبه لبني آدم.

دَعْ هذه الآيات والفقرات جانباً، فأعتقد جازماً بأنَّها لا تخصُّ مَنْ آمن مع نُوح، فقد وصفهم الله تعالى بالإيمان في عدَّة آيات، وعلى سبيل المثال هذه الآية ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ (هود 36)، ولكي نفهم قوله تعالى: ﴿وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (هود 48)، يجب أنْ نقرأ قوله تعالى:

﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ﴾ (يونس 73) ففي هذه الآية يُبيِّن لنا تعالى بأنَّه كان للمُؤمنين الذين نجوا مع نُوح خلائف؛ أيْ ذُرِّيَّات، وهذا هُو مدلول لفظه أُمم في الآية السّابقة، فيتمّ تفسير الآية بالمعنى العامّ التّالي: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (هود 48)، ففي هذه الآية بركة على (1) نُوح، (2) جُزء ممَّنْ ركب مع نُوح وذُرِّيَّتهم ، (3) الجُزء الآخر؛ فقد توعَّد الله ـ تعالى ـ ذُرِّيَّتهم، وذلك بأنَّه سوف يُمتِّعهم حتَّى حين، ثُمَّ يمسّهم بالعذاب الأليم.

ويأتي السُّؤال هُنا: مَنْ هُم الذين من ذُرِّيَّة مَنْ آمن مع نُوح، وتوعَّدهم الله بالعذاب؟ وهل القُرآن الكريم لم يذكر لنا خَبَرَهُم ووَصْفَهُم وقَصَصهم ومتاعهم وعذابهم؟!

# الذين آمنوا مع نُوح

نُوح ـ عليه السّلام ـ ينتسب إلى شيث، وذلك حسب المصادر الإسلاميَّة، ومصادر أهل الكتاب. وحين بُعث كان هُناك بنو شيث وبنو قابيل، وذلك ـ أيضاً ـ حسب المصادر الإسلاميَّة ومصادر أهل الكتاب. وقال الله تعالى بأنَّ هُناك مَنْ آمن معه، فهل هؤلاء المُؤمنون من ذُرِّيَّة شيث، أم من ذُرِّيَّة قابيل؟ هذا ما سنعرفه من خلال الآيات التّالية:

1ـ قال تعالى: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾.... وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾..... قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (هود 27-48).

2 ـ قال تعالى: ﴿ ۞ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴾ (الشعراء 111-116).

هذه الآيات من قصَّة نُوح تُعدُّ من القَصَص التّاريخيّة في القُرآن الكريم، وليس لها سبب نُزُول يُمكّننا من معرفة الحَيثيّات المُحيطة بها لكي نتعرَّف إلى مَنْ آمن مع نُوح، لكنّنا نجد آية في القُرآن الكريم يُخاطب الله ـ تعالى ـ فيها الرّسول مُحمّد ﷺ، ويأمره بأنْ يقول ما قاله نُوح عليه السّلام، وهي: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ۝ وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ۝ وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ۝ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ (الأنعام 50-52).

ويُمكننا المُقارنة بين ما قاله نُوح عليه السّلام وما أمر الله به مُحمّداً ﷺ:

1- قال تعالى على لسان نُوح عليه السّلام، وأمر الله ـ تعالى ـ مُحمّداً ﷺ بالتّالي: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الأنعام 50).

2- كما قال الله ـ تعالى ـ على لسان نُوح عليه السّلام: ﴿ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ... وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (هود 29-30)، ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (الشّعراء 114) وأمر الله ـ تعالى ـ مُحمّداً: ﴿ وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم... وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (الأنعام 52).

من هذه المُقارنة نستطيع فَهم مُجريات الأحداث المُحيطة بالآيات، ونتعرَّف إلى المُؤمنين هؤلاء، وذلك بالرُّجُوع إلى أسباب النُّزُول في القُرآن الكريم:

أ ـ يذكر خالد آل عقدة في تفسير آيات سُورة الأنعام:

1ـ أخرج مُسلم: كتاب فضائل الصّحابة (44)، باب (5) في فضائل سعد بن أبي وقّاص، عن سعد قال: كُنّا عند النّبيّ ﷺ ستّة نفر، فقال المُشركون للنبي : اطردْ هؤلاء، لا يجترئون علينا. وكُنتُ أنا، وابن مسعود، ورجل من هذيل، وبلال، ورجلان لستُ أُسمّيهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أنْ يقع، فحدَّث نفسه، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾[1] (الأنعام 52).

2 ـ أخرج ابن ماجه: كتاب الزُّهد (37) باب مُجالسة الفُقراء: عن خباب في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ (الأنعام 52).

قال: جاء الأقرع بن حابس التّميمي، وعيينة بن حصن الفزاري، فوجدوا رسول الله ﷺ مع صهيب وبلال وعمّار وخباب قاعداً في ناس من الضُّعفاء من المُؤمنين: فلمّا رأوهم حول النّبيّ ﷺ حقّروهم، فأتوه، فخلوا به، وقالوا: إنّا نُريد أنْ تجعل لنا منكَ مجلساً تعرف لنا به العَرَب فضلنا ، فإنَّ وُفود العَرَب تأتيكَ، فنستحي أنّا ترانا العَرَب مع هذه الأعبد ، فإذا نحنُ جئناكَ، فأَقِمْهُم عنكَ، إذا نحنُ فرغنا، فاقعدْ معهم إنْ شئتَ.

قال: "نعم"، قالوا: فاكتبْ لنا عليكَ كتاباً ، قال: فدعا بصحيفة، ودعا عليّاً ليكتب، ونحنُ قُعُود في ناحية، فنزل جبرائيل ـ عليه السّلام ـ فقال: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ثُمَّ ذكر الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن، فقال:

﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ (الأنعام 53).

ثُمَّ قال ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ (الأنعام 54).

---

(1) جامع التّفسير، ص 652.

قال: فدنونا منه حتَّى وضعنا رُكبنا على رُكبته، وكان رسول الله ﷺ يجلس معنا. (1)

ب ـ ويذكر ابن خليفة عليوي في الجُزء الثّاني من جامع النُّقُول في أسباب النُّزُول:

وكذا روى أحمد وابن جرير والطّبراني. وعبارة الخازن: جاء الأقرع بن حابس التّميمي وعتبة بن حصين الفزاري ـ وفي أبي السُّعُود: وعيينة ـ وعبَّاس بن مرداس: وهُم المُؤلّفة قُلُوبهم. فوجدوا النّبيّ ﷺ جالساً مع ناس من ضُعفاء المُؤمنين كعمَّار بن ياسر وصهيب وبلال، فلمَّا رأوهم حوله حقَّروهم، وقالوا: يا رسول الله: لو جلستَ في صدر المجلس، وأبعدتَ عنكَ هؤلاء، ورائحة جبابهم ـ وكانت عليه جُبب من صُوف لها رائحة كريهة لمُداومة لبسها لعدم غيرها ـ لجالسناكَ، وأخذنا عنكَ، فقال النّبيّ: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشّعراء 114).

قالوا: فإنَّا نُحبُّ أنْ تجعل لنا منكَ مجلساً تعرف به العَرَب فضلنا، فإنَّ وُفُود العَرَب تأتيكَ، فنستحي أنْ ترانا مع هؤلاء الأعبد، فإذا نحنُ جئناكَ، فَأَقِمْهُم عنَّا، فإذا نحنُ فرغنا، فاقعدْ معهم إنْ شئتَ. قال: "نعم"، قالوا: فاكتبْ لنا عليكَ بذلك، فأتى بالصّحيفة، ودعا عليّاً ليكتبَ، فنزل جبريل بقوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ ...﴾ الآية. فألقى رسول الله ﷺ الصّحيفة، ثُمَّ دعانا، وهُو يقول: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ فكُنَّا نقعد معه، وإذا أراد أنْ يقوم قام وتركنا، فأنزل الله: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ ......﴾ (الكهف 28) الآية. فكان يقعد معنا بعد ذلك، وندنو منه حتَّى كادت رُكبنا تمسُّ رُكبته، فإذا بلغ السّاعة التي يُريد أنْ يقوم فيها قُمنا وتركناه حتَّى يقوم ـ وقال لنا: الحمدُ لله الذي لم يُمِتْني حتَّى أمرني أنْ أصبر نفسي مع قوم من أُمَّتي، معكم المحيا ومعكم المهات". (2)

جـ ـ ويذكر السّيوطي في أسباب النُّزُول:

1ـ روى ابن حبان والحاكم عن سعد بن أبي وقَّاص قال: لقد نزلت هذه الآية في ستَّة: أنا وعبد الله بن مسعود وأربعة، قالوا لرسول الله : اطردْهم، فإنَّا نستحي أنْ نكون تبعاً لكَ كهؤلاء، فوقع في نفس النّبيّ ﷺ ما شاء الله، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ إلى قوله ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

---

(1) جامع التّفسير، ص 653.

(2) جامع النُّقُول في أسباب النُّزُول، الجُزء الثّاني، ص 14، 15.

2ـ وروى أحمد والطّبراني وابن أبي حاتم عن مسعود قال: مرَّ الملأ من قُرَيْش على رسول الله ﷺ وعنده خباب بن الأرت وصهيب وبلال وعمّار، فقالوا: يا مُحَمَّد؛ أ رضيت بهؤلاء؟ أ هؤلاء مَنَّ الله عليهم من بيننا؟ لو طردتَ هؤلاء لاتَّبعناكَ، فأنزل الله فيهم القُرآن ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ ﴾ إلى قوله ﴿ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ (الأنعام 51-55).

3ـ وأخرج ابن جرير عن عكرمة قال: جاء عتبة بن ربيعة ومطعم بن عدي والحارث بن نوفل في أشراف بني عبد مناف من أهل الكُفر إلى أبي طالب، فقالوا: لو أنَّ ابن أخيكَ يطرد عنه هؤلاء الأعبد كان أعظم في صُدُورنا، وأَطْوَع له عندنا، وأدنى لاتِّباعنا إيَّاه، فكلَّم أبو طالب النّبيّ ، فقال عمر بن الخطَّاب: لو فعلتَ ذلك حتَّى ننظر ما الذي يُريدون، فأنزل الله تعالى ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم ﴾ إلى قوله ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ وكانوا بلالاً وعمّار بن ياسر وسالماً مولى أبي حذيفة وصالحاً مولى أسيد وابن مسعود والمقداد بن عبد الله وواقد بن عبد الله الحنظلي وأشباههم، فأقبل عُمر، فاعتذر من مقالته، فنزل: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ (الأنعام 54)

4ـ وفي أسباب نُزُول قوله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾(الكهف 28)، أخرج ابن مردويه من طريق جُويبر عن الضَّحَّاك عن ابن عبَّاس في قوله: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا ﴾ قال: نزلت في أُميَّة ابن خلف الجمحي، وذلك أنَّه دعا النّبيّ ﷺ إلى أمر كرهه الله: من طَرْد الفُقراء عنه، وتقريب صناديد أهل مكَّة، فنزلتْ. وأخرج عن أبي هُريرة قال: دخل عيينة بن حسن على النّبيّ ﷺ وعنده سلمان، فقال عيينة: إذا نحنُ أتيناكَ، فَأَخرِجْ هذا، وأَدْخِلْنَا، فنزلتْ.

من هذه التّفسيرات نجد أنّه هُناك من قُرَيْش مَنْ طلب من الرّسول ﷺ أنْ يطرد بعض المُؤمنين الذين معه، وهم في هذا يُجارون قوم نُوح ويُشابهونهم ﴿ ۞ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴾(الشّعراء 111) ﴿ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا ﴾ (هُود 27)، وكان هؤلاء المُؤمنون الذي عند مُحَمَّد من أمثال بلال الحبشي وصهيب الرّومي و (سلمان الفارسي) وبعض العبيد والموالي وكذلك مجموعة من الفُقراء والضُّعفاء قد طلب كُفَّار قُرَيْش طَرْدهم. ونعلم من هذا التّفسير بأنّه كان مع الرّسول ﷺ بعض الغُرباء عن قُرَيْش في النّسب، وعند إجراء مُقارنة بقصَّة نُوح عليه السّلام نجد أنَّ قوم نُوح من بني شيث طلبوا منه طرد

هؤلاء الغُرباء ، فهل كان هؤلاء الغُرباء إلّا من بني قابيل، فإنّه لا يُوجد غيرهم؟ وهذا احتمال قويّ وكبير؛ حيثُ قال نُوح ـ عليه السّلام ـ مُدافعاً عن مَنْ آمن معه، وقال تعالى: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (هود 31)، وقال تعالى: ﴿ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴾ (الشعراء 112-113).

فإنّ نُوحاً من نسل شيث، فقومه من بني شيث، ونعود نؤكّد هذه النّقطة، وهي طلب بني شيث طَرْد غُرباء، وهم يزدرونهم ويحتقرونهم، كما فعل كُفّار قُرَيْش. فهل كان هؤلاء من بني قابيل؟ نعم؛ هذا ما يؤكّده المعنى العامّ للآيات. وسيأتي لاحقاً ما يُؤكّد هذا، ويُثبته.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

# ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ۝ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ۝ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾ (الصافات 75-77) في تفسير هذه الآيات هُناك إجماع من جميع المفسّرين على شيء واحد؛ وهُو أنّ جميع البشر هُم من ذُرِّيَّة نُوح عليه السّلام، وأنّه لم يتبقّ من النّسل إلّا ذُرِّيَّته، وأنا أوافق هذا الرّأي، لكنْ؛ هُناك مساحة قابلة للنّقاش، وذلك مع وُجُود آية أُخرى قال تعالى فيها: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَـٰهُمْ خَلَـٰٓئِفَ ﴾ (يونس 73)، فنجد في هذه الآية أنّ الله ـ تعالى ـ جعل نُوحاً وَمَنْ آمن معه خلائف، والسّؤال: ما هُو مدلول لفظة خلائف في اللُّغة العَرَبيَّة: الخَلَف: الولد مُطلقاً / الولد الصّالح / الذُّرِّيَّة: وما جاء بعده. يُقال " هُم كرام خلفاً من سلف"؛ أيْ متوارثون الكرامة أبناءً عن آباء.[1] ويقول الشّوكاني: الخلائف جمع خليفة، والمعنى: أنّه ـ سُبحانه ـ جعلهم خلائف يسكنون في الأرض[2]، ويذكر ابن كثير: وجعلناهم خلائف؛ أيْ في الأرض[3] ونُحبُّ أنْ نضيف آية تفسّر معنى خلائف؛ وهي قوله تعالى: ﴿ قِيلَ يَـٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَـٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَـٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (هُود 48)، يقول الشّوكاني في تفسيره لهذه الآية ﴿ قِيلَ يَـٰنُوحُ ٱهْبِطْ ﴾ أيْ:

انزلْ من السّفينة إلى الأرض، أو من الجبل المنخفض من الأرض، فقد بلعت الأرض ماءها، وجفّت ﴿ بِسَلَـٰمٍ مِّنَّا ﴾؛ أيْ: بسلامة وأمن، وقيل: بتحيَّة ﴿ بَرَكَـٰتٍ ﴾؛ أيْ: نعم ثابتة، مشتقّ من بُرُوك الجمل، وهُو ثُبُوته، ومنه البركة لثُبُوت الماء فيها، وفي هذا الخطاب له دليل على قبول توبته ومغفرة زلّته ﴿ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ﴾؛ أيْ: ناشئة ممّنْ معك، وهم المُتشعّبون من ذُرِّيَّة مَنْ كان معه في

---

(1) المُنجد في اللُّغة والأعلام، ص192.

(2) فتح القدير، ص749.

(3) تفسير ابن كثير، ص387.

السّفينة، وقيل: أراد مَنْ في السّفينة، فإنّهم أُمم مُختلفة، وأنواع مُتباينة. قيل: أراد الله ـ سُبحانه وتعالى ـ بهؤلاء الأمم الذين كانوا معه مَنْ صار مُؤمناً من ذُرِّيَّتهم، وأراد بقوله ﴿ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ مَنْ صار كافراً من ذُرِّيَّتهم إلى يوم القيامة. [1]

أمّا ابن كثير؛ فقد ذكر: يُخبر ـ تعالى ـ عما قيل لنُوح ـ عليه السّلام ـ حين أرست السّفينة على الجودي من السّلام عليه وعلى مَن معه من المُؤمنين، وعلى كلّ مُؤمن من ذُرِّيَّته إلى يوم القيامة، كما قال مُحمَّد بن كعب: دخل في هذا السّلام كلّ مُؤمن ومُؤمنة إلى يوم القيامة، وكذلك في العذاب والمتاع كلّ كافر وكافرة إلى يوم القيامة [2]. هذان التّفسيران للآية نفسها، وهما نموذجان على التّفسير، فالشّوكاني ذكر "ناشئة ممَّنْ معك، وهم من ذُرِّيَّة مَنْ كان معه في السّفينة"، وقال: "قيل: أراد الله ـ سُبحانه وتعالى ـ بهؤلاء الأمم الذين كانوا معه مَنْ صار مُؤمناً من ذُرِّيَّتهم"؛ أيْ أنّه يُؤيِّد نظريَّة أنّه كان هُناك ذُرِّيَّة ممَّنْ كان مع نُوح في السّفينة، بينما ابن كثير يقول: "يُخبرنا ـ تعالى ـ عمَّا قيل لنُوح... ومَنْ معه من المُؤمنين، وعلى كلّ مُؤمن من ذُرِّيَّته (المقصود نُوح) إلى يوم القيامة" وهُو ـ هُنا ـ يُؤكِّد بأنّه ليس هُناك ذُرِّيَّة غير ذُرِّيَّة نُوح، وأعتقد أنّه استند في ذلك على قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾(الصّافات 77)، ومن بين التّفسيرَيْن نجد أنَّ كلام الشّوكاني هُو المُقنع، ولكنْ؛ إنَّ كان يقصد بـ "فإنّهم أمم مُختلفة وأنواع متباينة"؛ أيْ الحيوانات التي كانت في السّفينة، فالرّدُّ هُو قوله تعالى: ﴿وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، فالعذاب ـ كما هُو معروف ـ لا يكون للحيوانات والدّواب، إنّما للإنسان وحده، والكافر منه ، وبما أنَّ الآية تتحدَّث عن نُوح ومَنْ معه، فالتقسيم يكون الآتي:

1- بركة على نُوح.
2- بركة على جُزء ممَّنْ معه.
3- الوعد على الجُزء الآخر بالمتاع، ثُمَّ بالعذاب الأليم.

1ـ بركة على نُوح: هذه البركة كانت خاصَّة بنُوح عليه السّلام، ولم تشمل ذُرِّيَّته، فهي مخصوصة به، وأمّا بشأن ذُرِّيَّته؛ لم تذكر الآية عنهم شيئاً.

---

(1) فتح القدير، ص 777، 778.

(2) تفسير ابن كثير، ص 408.

2ـ بركة على جُزء ممَّنْ معه: وهذه البركة شملت جُزءاً من المُؤمنين الذين ركبوا مع السّفينة، وتشمل ذُرِّيَّتهم، فقد قال تعالى: إنَّ لهم ذُرِّيَّات ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَـٰهُمْ خَلَـٰٓئِفَ ﴾ ، وقوله تعالى:﴿ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ﴾ ؛ أيْ بركة على جُزء ممَّنْ معك، وعلى أمم من ذُرِّيَّتهم، فلفظة أُمم تدلُّ على الكثرة، بينما ابن عبَّاس وإنجيل برنابا ذكرا أنَّ عدد المُؤمنين بضع وثمانون رجلاً.

3ـ الوعد للجُزء الآخر بالمتاع، ثُمَّ بالعذاب الأليم: في هذا الجُزء من الآية يذكر لنا تعالى بأنَّه سيكون هُناك ذُرِّيَّة لجُزء ممَّنْ ركب مع نُوح في السّفينة، وهذه الذُّرِّيَّة سوف يُمتِّعها الله ـ سُبحانه وتعالى ـ إلى حين، ثُمَّ يمسّهم العذاب الأليم، ولم يُباركهم الله تعالى ﴿ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

لكنَّ التّفسير السّابق هل يتناقض مع آية أُخرى؛ أي هل يتناقض قوله تعالى﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَـٰهُمْ خَلَـٰٓئِفَ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ قِيلَ يَـٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَـٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَـٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ مع قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾ ؟ والمقصود هُو: هل يُناقض وُجُود ذُرِّيَّة لمَنْ حُمل مع نُوح في السّفينة، مع أنَّ الذُّرِّيَّة الباقيَة هي ذُرِّيَّة نُوح فقط. قد يكون هذا يبدو شكلاً مُتعارضاً، ولكنْ؛ في الحقيقة ليس هُناك أيُّ تعارض، فإنَّ الله ذكر أنَّه كان هُناك ذريَّات أُخرى غير ذُرِّيَّة نُوح كانت سابقاً في الأرض، لكنَّ هذه الذُّرِّيَّة قُطع نسلها، وانقرضت في وقت من الأوقات، وعند نُزُول القُرآن الكريم على مُحمَّد ﷺ لم يتبقَّ سوى ذُرِّيَّة نُوح.

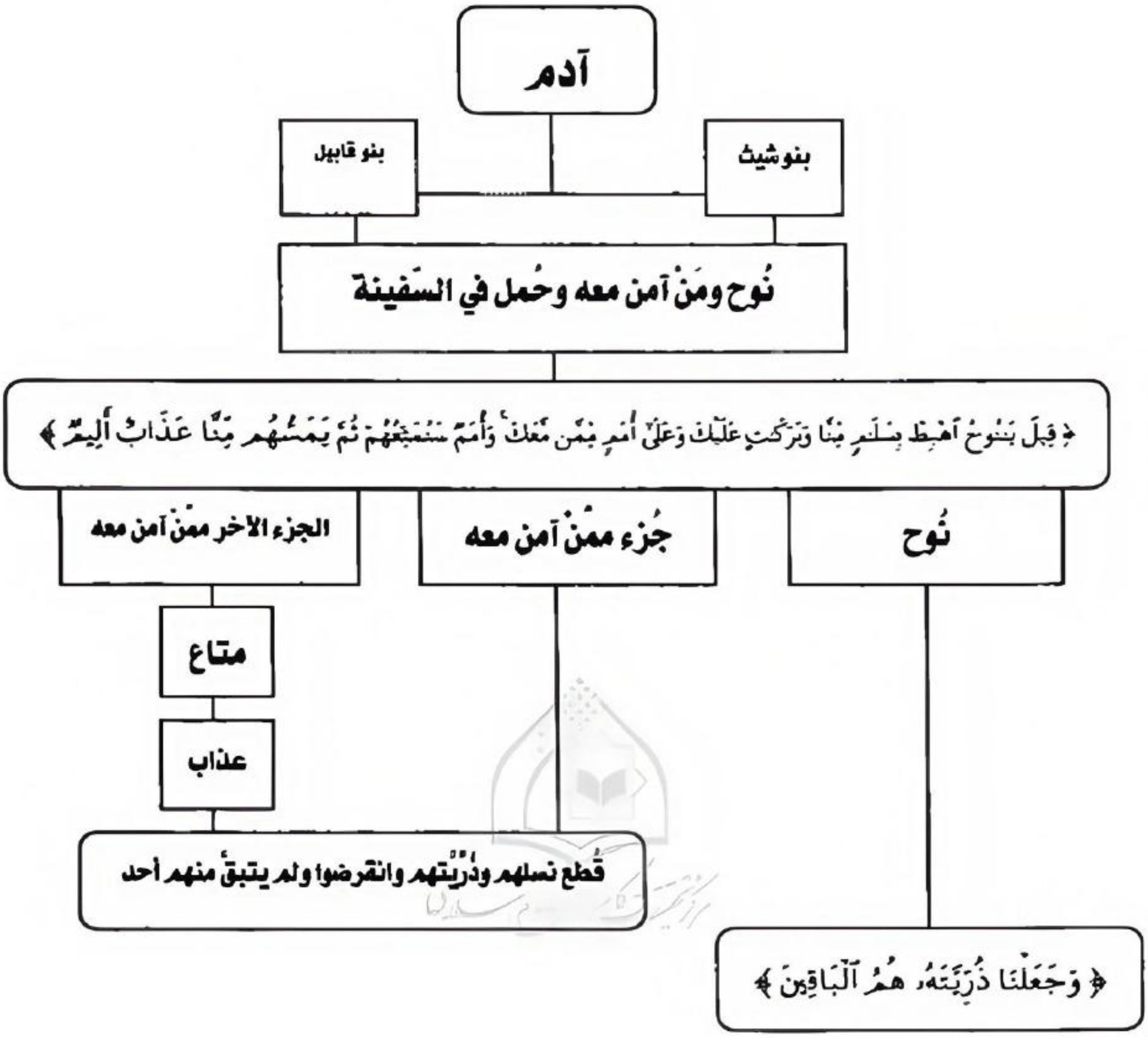

آدم
بنو شيث
بنو قابيل
نُوح ومَنْ آمن معه وحُمل في السَّفينة
﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾
نُوح
جُزء ممَّنْ آمن معه
الجزء الآخر ممَّنْ آمن معه
متاع
عذاب
قُطع نسلهم وذُرِّيّتهم وانقرضوا ولم يتبقَّ منهم أحد
﴿ وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ ﴾

# إسرائيل

## ١ـ هل يجوز لإسرائيل أنْ يُحرِّم على نفسه أيَّ شيء؟!

قال تعالى: ﴿ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۚ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾(آل عمران 93).

سنقوم بتفسير هذه الآية من خلال ثلاث محاور:

1- هل يجوز لإسرائيل أنْ يُحرِّم على نفسه أيَّ شيء؟!

2- ماذا حرَّم إسرائيل؟!

3- ماذا قال ﷺ في هذا التحريم؟

### (1) هل يجوز لإسرائيل أنْ يُحرِّم؟

أ- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ (المائدة 87).

وقال تعالى: ﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ (الأعراف 32).

* ورد في موسوعة الحديث:

ـ الترمذي كتاب تفسير القرآن (44) باب (5) سورة المائدة رقم (3054):

عن ابن عبَّاس: أنَّ رجلاً أتى النّبيّ ، فقال: يا رسول الله، إنّي إذا أصبتُ اللّحم انتشرت للنّساء، وأخذتني شهوتي، فحرَّمتُ عليَّ اللّحم، فأنزل الله الآية....

ـ البُخاري كتاب التّفسير (65) باب (يا أيُّها الذّين آمنوا لا تُحرِّموا.... رَقْم (4615)

عن عبد الله ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: كُنَّا نغزو مع النّبيّ ﷺ وليس معنا نساء، فقلنا: ألا نختصي؟ فنهانا عن ذلك، فرخَّص لنا بعد ذلك أنْ نتزوَّج المرأة بالثّوب، ثُمَّ قرأ: الآية...

وهكذا ورد في كتاب النّكاح (67) باب (6) تزوّج المعسر... حديث رَقْم (5071).

كتاب النّكاح (67) باب (8) ما يكره من التّبتّل... حديث رَقْم (5075).

* ورد في أسباب النُّزُول عن السّيوطي: أخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عبَّاس أنَّ رجالاً من الصّحابة منهم عثمان بن مظعون حرَّموا النّسا واللّحم على أنفسهم، وأخذوا الشّفار ليقطعوا مذاكيرهم، لكي تنقطع الشّهوة عنهم، ويتفرَّغوا للعبادة، فنزلت.

ـ وأخرج ابن عساكر في تاريخه من طريق السّدي الصّغير، عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عبَّاس قال: فنزلت هذه الآية في رهط من الصّحابة منهم: أبو بكر ومُحَمَّد وعلي وابن مسعود وعثمان بن مظعون والمقداد بن الأسود وسالم مولى أبي حذيفة، توافقوا أنْ يجبّوا أنفسهم، ويعتزلوا النّساء، ولا يأكلوا لحماً ولا دسماً، ويلبسوا المسوح، ولا يأكلوا من الطّعام إلّا قوتاً، وأنْ يسيحوا في الأرض كهيئة الرّهبان، فنزلت.

ـ وروى ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم أنَّ عبد الله بن رواحة أضافه ضيف من أهله وهُو عند النّبي ، ثُمَّ رجع إلى أهله، فوجدهم لم يُطعموا ضيفه انتظاراً له، فقال لامرأته: حبست ضيفي من أجلي ! هُو حرام عليّ، فقالت امرأته: هُو عليّ حرام، فقال الضّيف: هُو عليّ حرام، فلمَّا رأى ذلك وضع يده، وقال: كُلُوا باسم الله، ثُمَّ ذهب إلى النّبيّ ، فذكر الّذي كان منهم، ثُمَّ أنزل الله الآية...

من هذا التّفسير نجد أنَّ الله نهى عن التّحريم بالنّسبة للمُؤمنين، فهل يحلُّ ذلك لإسرائيل، وإذا كان إسرائيل نبيّاً هل يحلُّ له ذلك، وهُو ما سنتناوله في الفقرات التالية:

ب – قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ﴾(التحريم 1).

* قال خالد آل عقدة في كتابه جامع التّفسير:

- أخرج البُخاري كتاب الطّلاق (68) باب (8) (لِمَ تُحرِّم ما أحلّ الله لكَ؟!).

1954 – عن عائشة أنّ النّبيّ - ﷺ - كان يمكث عند زينب ابنة جحش، ويشرب عندها عسلاً، فتواصيتُ أنا وحفصة أنْ أيّتنا دخل عليها النّبيّ - ﷺ - فلتقلْ: إنّي لأجد منكَ ريح مغافير، فدخل على إحداهما، فقالت له ذلك، فقال: لا بأس، شربتُ عسلاً عند زينب ابنة جحش، ولن أعود إليه، فنزلت الآية....

- أخرج النّسائي كتاب عشرة النّساء (37) باب (4) الغيرة.

1955 – عن أنس أنّ رسول الله ﷺ كانت له أَمَة يطؤها، فلم تزلْ به عائشة وحفصة حتّى حرَّمها على نفسه، فأنزلَ الله - عزّ وجلّ - الآية.. [1]

* وفي أسباب النّزول عن السّيوطي: أخرج الحاكم والنّسائي بسند صحيح عن أنس: أنّ رسول الله - ﷺ - كانت له أمة يطؤها، فلم تزلْ به حفصة حتّى جعلها على نفسه حراماً، فأنزل الله الآية...

- وأخرج الضّياء في المختارة من حديث ابن عمر عن عمر قال: قال رسول الله - ﷺ - لحفصة: لا تُخبري أحداً أنّ أُمّ إبراهيم عليّ حرام، فلم يقربها حتّى أخبرت عائشة، فأنزل الله الآيات...

- وأخرج الطّبراني بسند ضعيف من حديث أبي هُريرة قال: دخل رسول الله بمارِيّة سريَّته بيت حفصة، فجاءت، فوجدتها معه، فقالت: يا رسول الله؛ في بيتي دُون بُيُوت نسائكَ؟! قال: فإنّها عليّ حرام أنْ أمسَّها، يا حفصة، اكتمي هذا عليّ، فخرجتْ، حتّى أتتْ عائشة، فأخبرتْها، فأنزل الله الآيات..

- وأخرج البزار بسند صحيح عن ابن عبّاس قال: نزلتْ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾ الآية في سريّته.

- وأخرج الطّبراني بسند صحيح عن ابن عبّاس قال: كان رسول الله يشرب عند سودة العسل، فدخل على عائشة، فقالت: إنّي أجد منك ريحاً، ثُمّ دخل على حفصة، فقالت مثل ذلك، فقال: أراه شُرب شربتُهُ عند سودة، والله لا أشربه، فنزلتْ. وله شاهد في الصّحيحَيْن.

---

(1) جامع التّفسير، ص 2163 – 2165.

قال الحافظ بن حجر: يُحتمل أنْ تكون في السّبَبَيْن معاً.

من كُلّ هذا نجد أنّه لا يجوز تحريم إسرائيل من حيثُ المبدأ. فإنّه لم يكُ جائزاً، لا للصّحابة رضوان الله عليهم، ولا للرّسول، وقد اعتُبر مَنْ يُحرِّم مُعتدياً. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ (المائدة 87).

وقال الله ـ تعالى ـ إنَّ سبَب التّحريم على اليَهود الذين يُحرِّمون ما حرَّمه إسرائيل – هُو ظُلمهم: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ (النساء 160)، ويُضيف د. مُحَمَّد حسن الحمصي الشّارح لمُفردات القُرآن تفسير وبيان: روى الإمام مُسلم، قال رسول الله: "يقول الله تعالى: إنِّي خلقتُ عبادي حُنفاء، فجاءتْهم الشّياطين، فاجتالتهم عن دينهم، وحرَّمتْ عليهم ما أحللتُ لهم".

ونختم هُنا بقول د. مُحَمَّد جميل غازي: ... ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ (التوبة 30-31).

فقال عـدي بن حاتم الطّائي وكان نصرانيّاً وأسلم، يا رسول الله؛ ما كُنَّا نعبدهم. على أساس فَهْمه أنَّ العبادة تعني الرُّكوع على رجليْه، أو الصّلاة له. فقال له الرّسول: "ألم يكونوا يُحلِّلون لكـم، ويُحرِّمون، فتأخذون بكلامهم؟!" قال: بلى، قال: "فتلك عبادتهم من دُون الله".

إذنْ: أنْ يكون هُناك حقّ التّحليل والتّحريم لغير الله وحده فهذا هُو الشّرك. ولذلك نجد الإسلام ينفي أنْ تكون سُلطة التّحليل والتّحريم إلّا لله، فلا تكون حتَّى للرّسول مُحَمَّد، فالرّسول لا يملك حقّ التّحليل والتّحريم إلّا بوحيٍ من الله، والله عتب عليه حينما حرَّم على نفسه شيئاً، فقال له: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ﴾ (التحريم 1). (1)

لكن؛ قد يقول قائل رغم كلّ ما كُتِبَ بأنّـه قـد يكـون جـائزاً لإسرائيـل في شريعتـه أنْ يُحـرِّم ما يشاء له ولغيره، نقول: يجب أنْ نُتابع المحورَيْن الآخرَيْن لنتعرَّف إلى الموضوع من جميع جوانبه.

---

(1) مُناظرة بين الإسلام والنّصرانيّة، ص 75، 76.

## 2 ـ ماذا حرَّم إسرائيل؟

أ – ذكر خالد آل عقدة في كتابه جامع التّفسير:

– أخرج التّرمذي، كتاب تفسير القُرآن (48) باب (14) سُورة الرّعد.

516 – عن ابن عبَّاس قال: أقبلت يهُود إلى النّبيّ : فقالوا: يا أبا القاسم ! أخبرنا عن الرّعد ما هُو؟... قالوا: صدقتَ، فأخبرنا عمّا حرَّم إسرائيل على نفسه؟ قال: "اشتكى عرقَ النّسا، فلم يجد شيئاً يُلائمه إلّا لحُوم الإبل، وألبانها، فلذلك حرَّمها. قالوا: صدقتَ.

– وأخرج أحمد: (1/ 273):

517 – عن ابن عبَّاس قال: حضرتْ عصابة من اليهُود رسول الله ، فقالوا: يا أبا القاسم، حَدِّثنا عن خلال نسألكَ عنها لا يعلمهنَّ إلّا نبيّ. فكان فيما سألوه: أيُّ الطّعام الذي حرَّم إسرائيل على نفسه قبل أنْ تنزل التّوراة؟ قال: فأُنشدكم بالله الذي أنزل التّوراة على مُوسى، هل تعلمون أنَّ إسرائيل يعقُوب عليه السّلام ـ مرض مرضاً شديداً، فطال سقمه، ليُحرِّمن أحبَّ الشّراب إليه، وأحبّ الطّعام إليه، فكان أحبّ الطّعام إليه لحمان الإبل، وأحبّ الشّراب إليه ألبانها، فقالوا: اللَّهُمَّ؛ نعم. [1]

ب – ويذكر الطّبري في تفسيره عدّة آثار؛ وهي مُرقّمة:

7399 ـ.... عن السّدي قوله: الآية...، قالت اليهُود: إنّما نُحرِّم ما حرَّم إسرائيل على نفسه، وإنّما حرَّم إسرائيل العُرُوق، كان يأخذنَّ عرقَ النّسا، كان يأخذه باللّيل، ويتركه بالنّهار، فحلف لئن عافاه الله منه لا يأكل عرقاً أبداً، فحرَّمه الله عليهم، ثُمَّ قال ﴿ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ ما حرّم هذا عليكم غيري ببغيكم، فذلك قوله: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ 7400 ـ.... سمعتُ الضّحَّاك يقول في قوله: الآية... إسرائيل هُو يعقُوب، أخذه عرق النّسا، فكان لا يبيت اللّيل من وجعه، وكان لا يُؤذيه بالنّهار، فحلف لئن شفاه الله لا يأكل عرقاً أبداً،

---

(1) جامع التّفسير، ص385.

وذلك قبل نُزُول التّوراة على مُوسى. فسأل نبيُّ الله ـ ﷺ ـ اليهُود: ما هذا الذي حرَّم إسرائيل على نفسه؟ فقالوا: نزلت التّوراة بتحريم الذي حرَّم إسرائيل. فقال الله لمُحَمَّد: ﴿ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ إلى قولـه ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ وكذّبوا، وافتروا، لم تنزل التّوراة بذلك.

7401 ـ... عن ابن عبَّاس قوله: الآية...، فإنَّما حرَّم على نفسه العُرُوق، وذلك أنّه كان يشتكي عرق النّسا، فكان لا ينام اللّيل، فقال: والله لئن عافاني الله منه لا يأكله لي ولد، وليس مكتوباً في التّوراة ! وسأل مُحَمَّد ﷺ نفراً من أهل الكتاب، فقال: ما شأن هذا حراماً؟ فقالوا: هُو حرام علينا من قبَل الكتاب. فقال الله عزَّ وجلَّ: الآية....

7403ـ... عن قتادة قوله: الآية...، وإسرائيل هُو يعقُوب...، يقول كان كلّ الطّعام كان حلاً لبني إسرائيل من قبل أنْ تنزل التّوراة إلّا ما حرَّم إسرائيل على نفسه، فلمّا نزَّل الله التّوراة حرَّم عليهم فيها ما شاء، وأحلَّ لهم ما شاء.

ويُضيف الطّبري عدَّة آثار أُخرى، ثُمَّ يذكر قولَيْن عن نوع المُحرَّم:

## القول الأوَّل: وهُو تحريم العُرُوق:

7405 ـ... عن يُوسُف بن ماهك قال: جاء أعرابي إلى ابن عبَّاس، فقال: إنَّه جعل امرأته عليه حراماً، قال: ليست عليكَ بحرام، قال: فقال الأعرابي: ولِمَ؟ والله يقول في كتابه "الآية..... قال: ثُمَّ أقبل على القوم يُحدِّثهم، فقال: إسرائيل عرضت له الأنساء فأضنّه، فجعل لله عليه إنْ شفاه الله منها لا يطعم عرقاً، قال: فلذلك اليهُود تنزع العُرُوق من اللّحم.

7407 ـ... عن أبي مجلز في قوله: الآية... قال: إنَّ يعقُوب أخذه وجع عرق النّسا، فجعل لله عليه: لا يأكله من الدّواب. قال: والعُرُوق كلّها تبعاً لذلك العرق...

## القول الثّاني: وهُو تحريم لحُوم الإبل وألبانها:

7415 ـ... عن عبد الله بن كثير قال: سمعنا أنّه اشتكى شكوى، فقالوا: إنّه عرق النّسا، فقال: ربّ، إنّ أحبَّ الطّعام إليّ لحُوم الإبل وألبانها، فإنْ شفيتني، فإنّي أُحرّمها عليّ، قال ابن جريج، وقال عطاء بن أبي رباح: لحُوم الإبل وألبانها حرم إسرائيل.

7416 ـ... عن الحسن في قوله: الآية...، قال: كان إسرائيل حرَّم على نفسه لحُوم الإبل، وكانوا يزعمون أنّهم يجدون في التّوراة تحريم إسرائيل على نفسه لحُوم الإبل، وإنّما كان حرَّم إسرائيل على نفسه لحُوم الإبل قبل أنْ تنزل التّوراة، فقال الله: الآية... فقال: لا تجدون في التّوراة تحريم إسرائيل على نفسه؛ أيْ لحم الإبل.

7417 ـ... عن ابن عبّاس: أنَّ إسرائيل أخذه عرق النّسا، فكان يبيت باللّيل له زقاء (يعني: صياح) قال: فجعل على نفسه لئن شفاه الله منه لا يأكله (يعني: لحُوم الإبل)، قال: فحرَّمه اليهُود، وتلا هذه الآية...؛ أيْ: إنَّ هذا قبل التّوراة.

ولم يشذّ عن هذَيْن القولَيْن إلّا أثر عن مُجاهد:

7419 ـ... عن مُجاهد في قوله "إلّا ما حرَّم إسرائيل على نفسه" قال: حرَّم لحُوم الأنعام.

وفي الأخير قال الطّبري:

أَوْلَى هذه الأقوال بالصّواب قول ابن عبّاس الذي رواه الأعمش، عن حبيب، عن سعيد عنه: أنَّ ذلك، العرُوق ولحُوم الإبل؛ لأنَّ اليهُود مُجمعة إلى اليوم على ذلك من تحريمها، كما كان عليه من ذلك أوائلها، وقد روى عن رسول الله ﷺ بنحو ذلك خبر، وهُو:

7420 ـ... عن ابن عبّاس: أنْ عصابة من اليهُود حضرت رسول الله ـ ﷺ ـ فقالوا: يا أبا القاسم؛ أخبرنا أيّ الطّعام حرَّم إسرائيل على نفسه من قبل أنْ تنزل التّوراة؟ فقال رسول الله: أُنشدكم بالذي أنزل التّوراة على مُوسى، هل تعلمون أنَّ إسرائيل يعقُوب مرض مرضاً شديداً، فطال سقمه منه، فنذر لله نذراً لئن عافاه الله من سقمه منه، ليُحرّمنَّ أحبّ الطّعام والشّراب إليه، وكان أحبّ الطّعام إليه لحمان الإبل، وأحبّ الشّراب إليه ألبانها، فقالوا: اللّهُمَّ؛ نعم.

ولم يخرج المُفسّرون عمّا قاله الطّبري بأنّ ما حرّمه إسرائيل على نفسه هُو أكل عرق النّسا ولُحوم الإبل، وكذلك ألبانها.

## مُلاحظة:

في الأحاديث التي مرّت معنا عن ابن عبّاس نُلاحظ التّالي:

في رواية التّرمذي: "ما حرّم إسرائيل على نفسه؟!".

وفي رواية الطّبري "هل تعلمون أنّ إسرائيل يعقُوب؟!".

وفي رواية الإمام أحمد "هل تعلمون أنّ إسرائيل يعقُوب عليه السّلام؟!".

فنجد أنّ التّرمذي لم يذكر "يعقُوب"، أمّا الطّبري؛ فذكره، وأضاف الإمام أحمد "عليه السّلام"، فنتساءل إنْ كان إسرائيل هُو يعقُوب، فما حاجة اليهُود في تعريفه؟ ثُمّ لو أنّ الكلام للرّسول ﷺ لقال إسرائيل وهُو يعقُوب، وليس إسرائيل يعقُوب. والدّليل الأكبر والأقوى على أنّه ليس من كلام الرّسول، وأنّه من المُفترض أنْ تكون جُملة (يعقُوب ويعقُوب عليه السّلام) جُملة تفسيريّة؛ أيْ جملة اعتراضيّة من كلام أحد الرُّواة، أو من إضافة أئمّة الحديث لما يعتقدونه توضيحاً. والدّليل هُو أنّ جميع المُفسّرين والمُحدِّثين عندما يذكرون أنّ إسرائيل هُو يعقُوب يقولون هذه الجُملة: "وقد أجمع السّلف والخلف على هذا"، أو أيّ جُملة تُؤدّي غرضها، ولا يستندون إلى القُرآن، أو إلى قوله ﷺ بالأحاديث السّابقة. وبالطّبع؛ إذا وُجد دليل على أنّ إسرائيل غير يعقُوب، فينتفي الإجماع، ولا يُعتدُّ به.[1]

## 3ـ ماذا قال ﷺ في تحريم إسرائيل؟

أ – موسوعة الحديث:

ـ البُخاري كتاب بدء الخلق (59) باب (15) رَقْم (3305).

(1) وهُو ما يُعرَف في مُصطلح الحديث المُدرج ضمن الحديث.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبيّ ﷺ قال: "فقدت أُمّة من بني إسرائيل لا يدرى ما فعلت، وإنّي لا أوراها إلّا الفأر إذا وُضع لها ألبان الإبل لم تشرب، وإذا وُضع لها ألبان الشّاء شرب"، فحدّثت كعباً، فقال: أنت سمعتَ النّبيّ ــ ﷺ ــ يقوله؟ قُلتُ: نعم. فقال لي مراراً. فقُلتُ: أ فأقرأ التّوراة؟!

ـ مُسلم كتاب الزّهد والرّقاق (53) باب (11) رَقْم (7496).

عن أبي هُريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله : "فقدت أُمّة من بني إسرائيل لا يدرى ما فعلت، ولا أوراها إلّا الفأر. أ لا ترونها إذا وُضع لها ألبان الإبل لم تشربه، وإذا وُضع لها ألبان الشّاء شربته؟!" قال أبو هُريرة: فحدَّثتُ هذا الحديث كعباً، فقال: أنتَ سمعتَ رسول الله ؟ قُلتُ: نعم، قال ذلك مراراً، قُلتُ: أ أقرأ التّوراة؟!

وقال مُسلم في رواية أُخرى "لا ندري ما فعلتْ".

وورد في مُسلم هذا الحديث ـ أيضاً ـ تحت رَقْم (7497) يقول الإمام النّووي في شرح الحديث: "معنى هذا أنّ لُحوم الإبل وألبانها حُرِّمت على بني إسرائيل دُون لُحوم الغنم وألبانها، فدلَّ بامتناع الفأر من لبن الإبل دُون الغنم على أنّها مسخ من بني إسرائيل". (1)

ب – مسند الإمام أحمد:

أورد الإمام أحمد مثل ما ذكره البُخاري ومُسلم في عدَّة أحاديث، وأرقامها (7196، 7736، 7869، 9315، 10456، 10602).

عرفنا من المحور الثّاني أنّ ممّا حرّمه إسرائيل على نفسه ألبان الإبل، وفي هذه الأحاديث قال: أنّه مسخ من بني إسرائيل أُمّة ولا يُراها إلّا الفأر. والسّبب هُو أنّ الفأر لا يشرب ألبان الإبل، مثله في ذلك مثل بني إسرائيل، فإنهم يُحرِّمون شرب ألبان الإبل، وذلك لأنّ أبيهم إسرائيل يُحرِّمه على نفسه. فحرَّمه إتباعاً له، ولم ينزل ذلك التّحريم في التّوراة.

---

(1) المنهاج في شرح مُسلم، ص1720.

وفي المعنى العامّ للحديث؛ فإنّه - ﷺ - ينتقد بني إسرائيل، ويشبّههم بالفأر (إنْ لم يكن قد مسخ منهم إلى فئران)، وسبب معرفته - ﷺ - ذلك بأنّ الفأر لا يشرب لبن الإبل، وهُو ما يحرّمه بنو إسرائيل، وهذا الانتقاد يمتدُّ إلى إسرائيل، الذي حرّمه في البدايّة، وحرّمه من بعده بنوه إتباعاً له، وادّعوا أنّ هذا التّحريم ممّا نزّله الله، وفرضه عليهم في التّوراة المُنزلة على مُوسى عليه السّلام. فهل إسرائيل الذي انتقده - ﷺ - هُو يعقُوب؟!

وهُناك نقطة أُخرى يجب الوقوف عليها؛ ألا وهي أنّ كعب الأحبار (اليهُودي الذي أسلم، وهُو ذو اطّلاع واسع على كُتُب التّوراة وأسفارها) لم يصدّق ما سمعه، وسأل أبا هريرة: هل أنتَ سمعتَ هذا من رسول الله ؟ وكرّر عليه هذا السّؤال عدّة مرّات. فما هُو سبب إنكار كعب على أبي هريرة هذا الحديث؟! ولماذا لم يتقبّل هذا الحديث؟! ولماذا شكّ أبو هريرة في الأمر، وظن أنّه أمر موجود في التّوراة، أو أنّه أمر له صلة بالتوراة؟! لذلك ردّ عليه: أ أقرأ التّوراة؟! أليس لأن كعب الأحبار يعرف أنّ بني إسرائيل يُحرّمون لبن الإبل كما حرّمه إسرائيل؟! وسبب استنكاره هُو أنّه يعتقد أنّ إسرائيل هُو يعقُوب عليه السّلام !! ولمزيد من الإيضاح والأدلّة تابع الفصول اللّاحقة.

# إسرائيل عند ابن عبّاس

ذكرنا سابقاً عند الحديث عن ابن عبّاس ورواياته في ما حرَّم إسرائيل على نفسه أنّه ورد: في رواية التّرمذي: (ما حرَّم إسرائيل على نفسه).

وفي رواية الطّبري: (هل تعلمون أنَّ إسرائيل يعقُوب؟).

وفي رواية أحمد: (هل تعلمون أنَّ إسرائيل يعقُوب عليه السّلام؟).

ولكي نقف على القول الفصل نرجع إلى كتاب (تفسير ابن عبّاس ومرويّاته في التّفسير من كُتُب السُّنَّة، للمُؤلِّف عبد العزيز الحميدي؛ حيثُ ورد فيه:

(قال الإمام أحمد: حدَّثنا هاشم بن القاسم، حدَّثنا عبد الحميد، حدَّثنا شهر؛ قال: قال ابن عبَّاس: حضرتْ عصابة من اليهُود نبيّ الله - ﷺ - يوماً، فقالوا: يا أبا القاسم؛ حدِّثنا عن خلال نسألكَ عنهنَّ لا يعلمهنَّ إلَّا نبيّ، قال: سلوني عمَّا شئتم، ولكنْ؛ اجعلوا لي ذمَّة الله، وما أخذ يعقُوب - عليه السّلام - على بنيه، لئن حدَّثتكم شيئاً فعرفتموه. لتتابعني على الإسلام، قالوا: فذلك لك، قال: فسلوني عمَّا شئتم، قالوا: أخبرنا عن أربع خلال نسألك عنهنَّ.. أخبرنا أيّ الطّعام حرَّم إسرائيل على نفسه من قبل أنْ تنزل التّوراة؟.. قال: فعليكم عهد الله وميثاقه، لئن أنا أخبرتكم لتتابعني. قال: فأعطوه ما شاء من عهد وميثاق، قال: فأنشدكم بالذي أنزل التّوراة على مُوسى عليه السّلام هل تعلمون أنَّ إسرائيل يعقُوب - عليه السّلام - مرض مرضاً شديداً، وطال سقمه، فنذر لله نذراً لئن شفاه الله - تعالى - من سقمه ليحرمنّ أحبّ الشّراب إليه، وأحبّ الطّعام إليه، وكان أحبّ الطّعام إليه لحمان الإبل، وأحبّ الشّراب إليه ألبانها، قالوا: اللَّهُمَّ؛ نعم...

ويقول د. عبد العزيز الحميدي: وهذا إسناد متّصل قد سمع رُواته بعضهم من بعض، إلَّا أنَّ فيه شهر بن حوشب، وهُو كثير الأوهام. [1]

---

(1) تفسير ابن عبَّاس، ص 45 – 47.

# إسرائيل ويعقُوب

هل اسم إسرائيل اسم مُرادف ليعقُوب؟ أم لقب له؟! أيْ هل هما اسمان لشخص واحد؟! أم هُما اسمان لشخصَيْن مُختلفَيْن؟! كلّ هذا سنعرفه لاحقاً:

( أ ) ورد اسم إسرائيل في القُرآن الكريم مرَّتَيْن:

1 ـ ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾ (آل عمران 93).

2 ـ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ﴾ (مريم 58).

(ب) ورد اسم يعقُوب في القُرآن الكريم 14 مرَّة:

1 ـ ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ ﴾ (البقرة 133).

2 ـ ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ﴾ (البقرة 132).

3 ـ ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ (البقرة 136).

4 ـ ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾ (البقرة 140).

5 ـ ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ (آل عمران 84).

6 - ﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ (النساء 163).

7 - ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا ﴾ (الأنعام 84).

8 - ﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾ (يوسف 38).

9 - ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ﴾.

10 - ﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾ (مريم 49).

11 - ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَـٰلِحِينَ ﴾ (الأنبياء 72).

12 - ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ ﴾ (ص 45).

13 - ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ (هود 71).

14 - ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ ﴾ (العنكبوت 27).

نبتدئ هذا الموضوع بمقال للطّالب الفريجي، هندسة كيميائيّة، كتبه لصحيفة رسالة الجامعة (جامعة الملك سعود)، يحمل عُنوان استغلال اليهُود لاسم (إسرائيل)، وممَّا جاء فيه ما يلي: تغيب عن عدد من الأذهان بعض الحقائق عند الكلام عن اليهُود على أرض فلسطين، ولا يفطنون لها، ومن هذه الحقائق استغلال اليهُود لاسم إسرائيل !! ويُضيف بأنَّ الله سلب عنهم هذا الاسم الجميل، وأسماهم بـ "اليهُود"، الاسم الكافر الذي يدلُّ على العُنصُريَّة والقوميَّة فقط... إنَّ إسرائيل الذي ينسبون بُنُوَّتهم إليه هُو: يعقُوب عليه الصّلاة والسّلام، وهم في سبب تسميته بإسرائيل ويعقُوب معاً خُرافات وأكاذيب وأباطيل كُفريَّة !! وهذه دعوة عامَّة لأنْ نُبقي الاسم الجميل (إسرائيل) نظيفاً نقيًّا،

ولا نُلوِّثه بأنْ نُسمِّي به هذا الشّعب الملعون الكافر. فالاسم الجديرُ بهم هُو: اليهُود، وبهذا؛ نُبطل مزاعم اليهُود، ونهدم ما خطَّطوه من استغلال هذا الاسم "إسرائيل". [1]

وهُناك رأي للدُّكتُور علي رؤوف سيِّد مُرسي في معنى اسم إسرائيل:

أمَّا إسرائيل ـ يقول الجواليقي مُستطرداً – ففيه لُغات: قالوا (إسرال)... وأراد إسرائيل؛ أيْ: "ممَّا مُسخ من بني إسرائيل. ولا نعلم من أيِّ مصدر لُغوي اشتقّ كاتبنا أو استقى ـ رحمه الله هذه المعاني النّاشزة... لا يقبل العقل السّويّ ذلك التّفسير (الجواليقي) بأنَّ إسحاق قد أطلق على ابنه يعقُوب اسمه الثّاني إسرائيل، وهُو يعني (ما مُسخ من بني إسرائيل!) وهُو الّذي عانى من انعدام الذُّرِّيَّة؛ لأنَّ زوجته (رفقة) كانت عاقراً، فصلَّى إسحاق لله، ودعاه أنْ يمنحه خَلَفاً، فوهبه الله توأماً (عيسو)، وفي عقبه يعقُوب (إسرائيل)... لقد فات المُؤلِّف ـ ولا شكَّ ـ أنَّ (إسرائيل) هُو الاسم المُرادف (ليعقُوب)، النّبي المُكرَّم من قبله سُبحانه وتعالى... وذكر الدُّكتُور عبد الوهاب المسيري فيما أورده بموسوعته الخاصَّة بالمفاهيم والمُصطلحات الصّهيونيَّة حين تعرَّض لتفسير اسم النّبي يعقُوب (عليه السّلام) فذكر بالنّصّ أنّه (تصارع مع الرّبِّ – يعقُوب – ولذلك سُمِّي بيسرائيل؛ أيْ المُتصارع مع الرّبّ).... وفي رأي الدُّكتُور رؤوف: والأرجح وفق تصوُّرنا المتوافق مع مدلول الألفاظ لُغويّاً ودينيّاً والمُوائم لمنطق الأحداث التّاريخيّة والمُسمَّيات المُكنَّى بها أنبياؤه ورُسُله: عزَّ وجلَّ، أنَّ لفظه "إسرائيل" تتكوَّن من مقطعَيْن: الأوَّل: (يشر) بمعنى عدل، والمقطع الثّاني إيل، ويعني الله ـ الرّبّ ـ. [2]

أمَّا زكي شنودة؛ فيقول نقلاً عن التّوراة: (فقال: لا يُدعى اسمكَ فيما بعد يعقُوب، بل إسرائيل، أيْ الّذي صارع ملاك الله) (التّكوين 32/ 24ــ28)... ولذلك أصبح أبناء ذُرِّيَّته ـ فيما بعد ـ يُطلق على سائر أُمَّته، فيُسمُّونها تارةً (يعقُوب)، وتارة (إسرائيل). [3]

لن نُحلِّل الفقرات السّابقة، وهل معنى اسم إسرائيل جميل؟ أم غير ذلك؟ ولكنْ؛ سنذكر ما قاله الأقدمون عن إسرائيل، وهُو يعقُوب:

---

(1) صحيفة رسالة الجامعة، عدد 729، بتاريخ 23/ 11/ 1421هـ.

(2) بنو إسرائيل والعبرية الحديثة، ص58.

(3) اليهُود، ص13.

كُلُّ﴿ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾(آل عمران 93).

يذكر المُفسِّرون لهذه الآية ما يلي:

| | |
|---|---|
| الطّبري: | إسرائيل هُو يعقُوب [1] |
| ابن كثير: | إسرائيل هُو يعقُوب [2] |
| الشّوكاني: | إسرائيل هُو يعقُوب [3] |
| ابن القيِّم: | إسرائيل هُو يعقُوب [4] |
| الألوسي: | إسرائيل هُو يعقُوب [5] |
| أبو بكر الجزائري: | إسرائيل هُو يعقُوب [6] |
| الشّعراوي: | إسرائيل هُو يعقُوب [7] |

ولكنْ؛ لم أر أيّاً منهم أورد دليلاً على ذلك.

في البداية يجب أنْ نتعرَّف إلى معنى اسم إسرائيل، وهل هُو عدل الله؟ أم عبد الله؟ أم وليّ الله؟ وغير هذا ممّا أورده المفسِّرون؟ أم أنَّ له معنى آخر لم يذكره المفسِّرون. وفي عمليّة ترجمة الأسماء نحتكم إلى كتاب الله القُرآن الكريم:

1 – قال تعالى: ﴿ ٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ (هُود 71).

---

(1) تفسير الطبري، ص7، مُجلَّد 7.

(2) تفسير ابن كثير، ص335، مُجلَّد 1.

(3) فتح القدير، ص 275.

(4) الضوء المنير على التّفسير، ص84، مُجلَّد 2.

(5) روح المعاني، ص2، مُجلَّد 3.

(6) تفسير الشّعراوي، ص 1617، مُجلَّد 3.

(7) تفسير الشّعراوي، ص 1617، مُجلَّد 3.

يقول عبد الوهاب المسيري: إسحاق من كلمة (صحق) العبريَّة بمعنى (ضحك)، ويعقُوب اسم عبري معناه (عقب)، أو (يمسك العقب)، أو (يحلّ محلّ) [1]، وهذه المعاني التي أوردها المسيري عن اللُّغة العبريَّة هي موجودة في الآية الكريمة، فسبب تسمية إسحاق بهذا الاسم ومعناها (ضحك) هُو أنَّ أمة ضحكت، وسبب تسميَّة يعقُوب بهذا الاسم، وأتى من مصدر (عقب) هُو أنَّه جاء وراء (عقب، خلف) إسحاق بالنّسبة لسارة وإبراهيم عليهم السّلام أجمعين. ويمكننا مقابلة ذلك في الآية بين ﴿ فَضَحِكَتْ= إِسْحَٰقَ﴾ وبين ﴿ وَرَآءِ = يَعْقُوبَ﴾. وهذه المعاني نفسها وردت في التّوراة:

العهد القديم التّكوين إصحاح 11

5 وكان إبراهيم ابن مئة سنة حين وُلد إسحاق ابنه. 6 وقالت سارة: قد صنع الله إليّ ضحكاً كلّ مَنْ يسمع يضحك لي.

التّكوين إصحاح 25

19 وهذه مواليد إسحاق.. 24 فلمّا كملت أيّامها لتلد إذا في بطنها توأمان. 25 فخرج الأوّل أحمر. كلّه كفروة شعر. فدعوا اسمه عيسو. 26 وبعد ذلك خرج أخوه ويده قابضة بعقب عيسو، فدُعي اسمه يعقُوب.

2ـ قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السّلام: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ (إبراهيم 39).

يقول د. عبد الوهاب المسيري: اسم إسماعيل من عبارة عبريَّة تعني "الإله يسمع" [2]. وهذا المعنى العبري موجود في الآية الكريمة، فإبراهيم ـ عليه السّلام ـ عندما بلغ به الكبر دعا الله أنْ يهب له ذُرِّيَّة، واستجاب الله ـ تعالى ـ دعاءه، فوهب له الابن البكر؛ وهُو إسماعيل، وسبب هذه التّسمية أنَّ الله سمع دعاء إبراهيم: فمعنى إسماعيل سمع الله، أو الله يسمع، ويمكننا مقابلة هذا في الآية بقولة تعالى إِسْمَٰعِيلَ = لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ وهُو نفس المعنى الذي أوردته التّوراة بغضّ النّظر عن القصّة:

---

(1) موسوعة اليهُود واليهُودية والصّهيونية، مُجلَّد 4، ص133، 134.

(2) موسوعة اليهُود واليهُودية والصّهيونية، مُجلَّد 4، ص133.

العهد القديم التّكوين إصحاح 16

11 وقال لها ملاك الرّبّ - هاجر - ها أنت حبلى، فتلدين ابناً، وتدعين اسمه
إسماعيل؛ لأنَّ الرّبَّ قد سمع لمذلّتك. [1]

3ـ اسم إسرائيل نحاول معرفة ترجمته من خلال التّوراة؛ لأن معناه لم يرد في القُرآن الكريم، وقد أثبتنا سابقاً أنَّ معنى كلّ من (إسحاق، يعقُوب، إسماعيل) موجود في التّوراة، وبالطّبع؛ بغضّ النّظر عن القصَّة.

التّوراة السّامريَّة التكوين إصحاح 32

24 وتبقى يعقُوب وحده. وصارعه رجل حتَّى ارتفع الدّجى. 25 ونظر أنْ ليس
يقدر عليه، فدنا بحقّ وركه. ووهنت حقّ ورك يعقُوب بمصارعته له. 26
فقال: أطلقني إذا ارتفع الدّجى. فقال: لا أطلقكَ حتَّى تباركني. 27 فقال له: ما
اسمكَ؟ فقال: يعقُوب. 28 فقال: لا يعقُوب يقال أيضاً، بل إسرائيل؛ إذ
رأست مع الملائكة ومع النّاس، وقدرت. 29 وسأل يعقُوب وقال: الآن؛ ما
اسمكَ؟ فقال: لماذا تسأل عن اسمي؟ وباركه هُناك. 30 ودعا يعقُوب اسم
الموضع حضرة القادر. إذا نظرت الملائكة وجهاً لوجه وخلصت نفسي.. 32

---

(1) قد ورد في القُرآن الكريم عدة ألفاظ مأخوذة عن العبرية، فقد قال ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ (البقرة 104) وقال تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ﴾ (النساء 46). ذكر تعالى بأنَّ راعنا هي ليًّا بألسنتهم؛ أيْ تحريف المعنى بلسانهم ولُغتهم: (1) قال السّيوطي في أسباب النزول: إنَّه عن ابن عبَّاس قال: راعنا بلسان اليهُود السّبّ القبيح. (2) ويذكر الدُّكتُور مُحَمَّد الحمصي الشّارح لمُفردات القُرآن تفسير وبيان: أنهم كانوا يطلقون هذا اللّفظ العرَبي وهم يُريدون به معنى قبيحاً في لُغتهم، ففي العبريَّة (راعي)، معناه شرير، وإذا أُضيفت إلى ضمير المُتكلّمين، (راعينو)؛ أيْ شريرنا، فكان هذا اللّفظ يوافق في الظّاهر اللّفظ العَرَبي المُراد به الرّعاية والحفظ. (3) وأصل الكلمة "راع" ومعانيها حسب قاموس ي، قوجمان: رع = سيِّئ، شرِّير، منحطّ، تافه، خطير، خبيث، قاس، مزعج، مقرف. "وهُناك ألفاظ أُخرى ليس هذا مجالها".

بسبب ذلك لا يأكل بنو إسرائيل عرق الأنسا الذي على حقّ الورك إلى اليوم هذا؛ إذْ دنى بحقّ ورك يعقُوب بعرق الأنسا. (1)

العهد القديم التّكوين إصحاح 32

24 فبقي يعقُوب وحده. وصارعه إنسان حتّى طُلُوع الفجر. 25 ولمّا رأى أنّه لا يقدر عليه، ضرب حقّ فخذه. فانخلع حقّ فخذ يعقُوب في مصارعته معه. 26 وقال: أطلقني؛ لأنّه قد طلع الفجر. فقال: لا أطلقكَ إنْ لم تباركني. 27 فقال له: ما اسمكَ؟ فقال: يعقُوب. 28 فقال: لا يُدعى اسمكَ في ما بعد يعقُوب، بل إسرائيل؛ لأنّكَ جاهدتَ مع الله والنّاس، وقدرتَ. 29 وسأل يعقُوب: أخبرني باسمكَ. فقال: لماذا تسأل عن اسمي؟ وباركه هُناك. 30 فدعا يعقُوب اسم المكان فينئيل (2) قائلاً لأنّي نظرتُ الله وجهاً لوجه، ونجّيتُ نفسي... 32 لذلك لا يأكل بنو إسرائيل عرق النّسا الذي على حقّ الفخذ إلى هذا اليوم. لأنّه ضرب حقّ فخذ يعقُوب على عرق النّسا.

وفي النّسخة الإنجليزيّة من العهد القديم "إنجيل البشارة" **GENESIS , chapter 32**

**28 The man said "your name will no longer be Jacob. You hare struggled. (3)Wth God and with mer , and you have won ; so your name will be**

---

(1) في ترجمة لابن كثير توافق التّوراة السّامرية قال: (فلمّا كان وقت الفجر من اللّيلة الثّانية تبدّا له ملك من الملائكة في صورة رجل، فظنه يعقُوب رجلاً من الناس، فأتاه يعقُوب ليصارعه ويغالبه، فظهر عليه يعقُوب فيما يرى، إلّا أنّ الملك أصاب وركه، فعرج يعقُوب، فلمّا أضاء الفجر، قال له الملك: ما اسمكَ؟ قال: يعقُوب. قال: لا ينبغي أنّ تُدعى بعد اليوم إلّا إسرائيل. فقال له يعقُوب: ومَن أنت؟ وما اسمك؟ فذهب عنه. فعلم أنّه ملك من الملائكة، وأصبح يعقُوب وهُو يعرج من رجله، فلذلك لا يأكل بنو إسرائيل عرق النسا). البداية والنهاية، ص183.

(2) [1] قال عبد الوهاب المسيري، ودعا يعقُوب المكان فنيئيل؛ أي "وجه الإله"؛ لأنّه قال: "إنّي نظرتُ الإله وجهاً لوجهه، ونجّيتُ نفسي". موسوعة اليهُود واليهُوديّة والصّهيونيّة، ص135، مُجلّد 4. [2] وفي اللّغة العبريّة فنيئيل مكوّنة من مقطعَيْن (فني = وجه، إيل = الإله)

(3) عند إدخال Struggled في المترجم الآلي تظهر هذه المعاني:

(اصطرع، تصارع، التحم، تغالب، تناطح، جاهد، صارع، عارك، غالب، كافح، نازع، خاصم، ناضل).

وفي قاموس المورد نجد معنى Struggle:

Isarel" 29 Jacob Said "Now tell me your name" But he answered "why do you want my name?" Then he blessed Jacob. 30 Jacob Said. "I have seen God face - to - face , and Iam still alive" so he named the Place Peniel.

وفي النّسخة العبريّة من العهد القديم "التّناخ":

**בראשית פרק לב**

25 וַיִּוָּתֵר יַעֲקֹב לְבַדּוֹ וַיֵּאָבֵק אִישׁ עִמּוֹ עַד עֲלוֹת הַשָּׁחַר. 26 וַיַּרְא כִּי לא יָכֹל לוֹ
וַיִּגַּע בְּכַף־יְרֵכוֹ וַתֵּקַע כַּף־יֶרֶךְ יַעֲקֹב בְּהֵאָבְקוֹ עִמּוֹ. 27 וַיֹּאמֶר שַׁלְּחֵנִי כִּי עָלָה הַשָּׁחַר
וַיֹּאמֶר לא אֲשַׁלֵּחֲךָ כִּי אִם־בֵּרַכְתָּנִי. 28 וַיֹּאמֶר אֵלָיו מַה־שְּׁמֶךָ וַיֹּאמֶר יַעֲקֹב. 29 וַיֹּאמֶר
לא יַעֲקֹב יֵאָמֵר עוֹד שִׁמְךָ כִּי אִם־ יִשְׂרָאֵל כִּי־שָׂרִיתָ עִם־אֱלֹהִים וְעִם־אֲנָשִׁים וַתּוּכָל
30 וַיִּשְׁאַל יַעֲקֹב וַיֹּאמֶר הַגִּידָה־נָּא שְׁמֶךָ.

ونجد في مُعجم الحضارات السّاميَّة تحت اسم إسرائيل "لفظ عبري معناه "يجاهد إيل"، أو يصارع إيل". أُطلقت في كتاب العهد القديم على يعقُوب إشارة إلى صراعه مع الملاك. أُطلق هذا اللّفظ لاحقاً على نسل يعقُوب جميعاً؛ أيْ الأسباط الاثنَيْ عشر..." [1]

من المراجعة السّابقة نجد أنَّ معنى إسرائيل في اللُّغة العبريَّة (مصارع الله) و(مقاتل الله)، وهذا الوصف أو اللّقب يُطلق في التّوراة على يعقُوب عليه السّلام، وبسبب عدم معرفة المفسِّرين لهذا المعنى أطلقوا هذا اللّقب على يعقُوب عليه السّلام، فهل يجوز هذا الرّبط بين الاسمَيْن؟!.

من خلال تفسيرنا لآية 93 من سورة آل عمران، ومعرفتنا لمعنى اسم إسرائيل يتبيَّن لنا أنَّ كلاً من الاسمَيْن (يعقُوب، إسرائيل) لشخصَيْن مُختلفَيْن. وسنورد فيما سيأتي أدلَّة تُؤكِّد هذه النّظريَّة، وتُؤيِّدها لتأكيد أنَّ يعقُوب ـ عليه السّلام ـ ليس هُو إسرائيل.

---

(يكافح، يناظل، يقاوم، يتقدَّم بصعوبة أو بجهد كبير، يشقّ طريقه بجدّه، كفاح، نضال، نزاع، صراع) المورد ـ منير البعلبكي.

(1) مُعجم الحضارات السّاميَّة، ص78.

# مواقف من اسم إسرائيل

ورد في الموسوعة العَرَبيَّة العالميَّة في مادَّة يعقُوب عليه السّلام: (... ويُسمَّى يعقُوب إسرائيل، ومعناه في العبريَّة روح الله)[1]، وقد انفردت بهذا المعنى.

أمَّا في الموسوعة المتخصِّصة الموسوعة الميسَّرة فقد ورد تحت عُنوان: المُعتقدات اليهُوديَّة (يقولون بأنَّ يعقُوب قد صارع الرَّبَّ[2]).[3]

مَنْ يعرف معنى اسم إسرائيل فلابُدَّ وأنْ يتَّخذ موقفاً، ونجد ممَّنْ اتَّخذ موقفاً تجاه هذا المعنى ابن حزم الظَّاهري، فبعد أنْ ذكر قصَّة الصّراع من التّوراة قال:

"... ذُكر في هذا المكان أنَّ يعقُوب صارع الله - عزَّ وجلّ - عن ذلك، وعن كلّ شبهة لخلقه، فكيف عن لعب الصّراع الذي لا يفعله إلَّا أهل البطالة؟ وأمَّا أهل العقول فلا يفعلونه لغير ضرورة. ثُمَّ لم يكتفوا بهذه الشّوهة حتَّى قالوا: إنَّ الله عزَّ وجلّ عجز أنْ يصرع "يعقُوب" بنصّ كلام توراتهم، وحقّق ذلك قولهم عن الله تعالى أنَّه قال له: "كنتُ قويّاً على الله تعالى، فكيف على النّاس؟!" ولقد أخبرني بعض أهل البصر بالعبرانيَّة أنَّه لذلك سمّاه إسرائيل. و "إيل" بلغتهم هُو اسم الله تعالى بلا شكّ ولا خلاف. فمعناه" إِسْرُ الله" تذكيراً بذلك الضّبط الذي كان بعد المصارعة؛ إذْ قاله له: دعني، فقال له "يعقُوب": لا أدعكَ حتَّى تباركَ عليَّ. ولقد ضربت بهذا الفصل وجوه

---

(1) الموسوعة العَرَبية العالمية / مادَّة يعقُوب/ المُجلَّد 27).

(2) الموسوعة الميسَّرة، ص503.

(3) وبما أنَّ اليهُود يقولون بأنَّ يعقُوب قد غلب الله (تعالى عمّا يقولون) فإنَّ طابع الاستعلاء والاستكبار تأصَّل فيهم، فهم الشّعب المختار، وفوق هذا تقول جولدا مائير التي تولَّت منصب رئيس وزراء إسرائيل في كتاب مذكّراتها "حياتي": «أمّا بالنسبة للفكرة القائلة "إنَّ اليهُود شعب الله المختار"؛ فلم أكن يوماً من محبِّذي هذه الفكرة؛ إذْ كنتُ أؤمن - ومازلت بشكل منطقي - أنَّ ليس الله هُو الذي اختار الشّعب اليهُودي، بل إنَّ اليهُود أنفسهم هم أوَّل مَنْ اختار الله، وهم الشّعب الأوَّل في التّاريخ الذي قام بشيء حقيقي نحو الله، وهذا ما يجعلهم الشّعب الفريد». يوميَّات قادة العدوّ، جولدا مائير، ص15.

المتعرِّضين منهم للجدال في كلّ محفل، فثبتوا على أنَّ نصّ التّوراة أنَّ "يعقُوب" صارع "إلـوهيم"[1] وقال: إنَّ لفظ "إلوهيم" يُعبِّر عن المَلَك [2] ، فإنَّما صارع ملكاً من الملائكة. فقلتُ لهم: سياق الكلام يُبطل ما تقولون ضرورة أنّه فيه "كُنتُ قويّاً على الله، فكيف على النّاس؟!". وفيه أنَّ "يعقُوب" قال: "رأيت الله مواجهة، وسلمت نفسي" ولا يمكن البتَّة أنْ يعجب من سلامة نفسه إذا رأى الملك ! ولا يبلغ من مسّ الملك – كما نصّ يعقُوب – أنْ يحرِّم على بني إسرائيل أكل عُرُوق الفخذ في الأبد من أجل ذلك. وفيه أنّه سمَّى الموضع بذلك "فنيئيل"؛ لأنه قابل فيه "إيـل"، وهُو الله عزَّ وجلّ بلا احتمال عندكم. [3]

ولِما تقدَّم؛ فإنَّ ابن حزم الظّاهري يتجنَّب إطلاق اسم إسرائيل على يعقُوب عليه السّلام، وله جُملة غريبة هي: (... فعلى هذا لم يكن بقاء بني إسرائيل بمصر مُنذ دخولها مع "يعقُوب" إلى أنْ خرجوا منها مع مُوسى إلّا مائتَيْ عام وسبعة عشر عاماً، فأين الأربعمائة عام؟!). [4]

ونجد أيضاً ابن منظور يقول في مادّتَيْ (سرأل) و (سرأن): إسرائيل وإسرائين: زعم يعقُوب أنّه بدل اسم مَلَكٍ. وفي مادّتَيْ (سرفل) و(سرفن): إسرافيل وإسرافين، وكان القناني يقول سرافيل وسرافين وإسرائيل وإسرائين، وزعم يعقُوب أنّه بدل اسم مَلَكٍ. [5]

(1) يقول المحقِّقان في الهامش: «الذي في التّوراة الحالية:: "وصارعه إنسان حتَّى طلوع الفجر" الإصحاح 32 سفر التكوين، والظّاهر أنهم كلّما رأوا فيها مطعناً حاولوا تغييره وتبديله، فيد التّحريف جارية فيها من وقت إلى آخر».

(2) في اللُّغة العبريَّة قديماً وحديثاً معنى إلوهيم: الإله – الرّب – الله.

(3) الفصل في الملل والأهواء والنّحل، ص232، 233.

(4) الفصل في الملل...، ص215.

(5) (لسان العرَب / مادَّة، سرأل، سرأف، سرفل، سرفن).

# السَّبط واليهُود الذين هادوا في اللُّغة العَرَبيَّة

ممَّا قاله ابن منظور في مادَّة سبط (... قال أبو العبَّاس: سألتُ ابن الأعرابي: ما معنى السَّبط في كلام العَرَب؟ قال: السّبط والسّبطان والأسباط خاصَّة الأولاد والمُصاص منهم، وقيل: السّبط واحد والأسباط وهُو وَلد الولد. ابن سيده: السّبط ولد الابن والابنة. وفي الحديث «الحسن والحسين سبطا رسول الله» ﷺ، ورضي الله عنهما. ومعناه أيْ طائفتان وقطعتان منه. وقيل الأسباط خاصَّة الأولاد، وقيل: أولاد الأولاد. وقيل: أولاد البنات. [1]

وقال مثله زين الدِّين مُحَمَّد الرّازي في مادَّة سبط: "السّبط واحد (الأسباط) وهم ولد الولد. والأسباط من بني إسرائيل كالقبائل من العَرَب، وقوله تعالى: ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾ (الأعراف 160).

إنَّما أُنِّثَ لأنَّه أراد اثنتيْ عشرة فرقة، ثُمَّ أخبر أنْ الفرَق أسباط، وليس الأسباط بتفسير، وإنَّما هُو بدل من اثنتيْ عشرة؛ لأن التّفسير لا يكون إلَّا واحداً منكراً كقولكَ اثنَيْ عشر درهماً، ولا يجوز دراهم.[2]

وقد قال البعض إنَّ الأسباط في ولد إسحاق مثل القبائل في ولد إسماعيل، وتناسى أنَّ الأسباط يُعرفون بأنَّهم أولاد يعقُوب، وليسوا أولاد إسحاق، فإسحاق أنجب - حسب الرّوايَة التّوراتيَّة - ولدَيْن هما العيص ويعقُوب، بينما إسماعيل أنجب اثنَيْ عشر ولداً.

وها هُنا نورد النّصّ كاملاً من لسان العَرَب في مادَّة (هُود)؛ حيثُ قال ابن منظور: الهُود: التّوبة، هاد يهُود هُوداً، وتهوَّد: تاب ورجع إلى الحقّ، فهُو هائد وقوم هُود: مثل حائل وحول وبازل وبزل، قال أعرابي: إنِّي امرؤ من مدحه هائد. وفي التّنزيل ﴿ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾ (الأعراف 156) ؛ أيْ تبنا إليكَ، وهُو

---

(1) (لسان العَرَب / مادَّة سبط).

(2) (مختار الصحاح/ مادَّة سبط).

قول مُجاهد وسعيد بن جبير وإبراهيم. قال ابن سيده: عدّاه بإلى لأنَّ فيه معنى رجعنا، وقيل: معناه تُبنا إليكَ، ورجعنا، وقربنا من المغفرة، وكذلك قوله تعالى:﴿ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ ﴾ (البقرة 54).

وقـال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ (الحج 17).

وقال زهير:

سـوى رُبـع لم يـأت فيهـا مخافـة ... ولا رهقـاً مـن عابـد متهـوِّد

قال: المتهوِّد المتقرِّب. شمر: المتهوِّد المتوصِّل بهوادة إليه، قـال: قالـه ابـن الأعـرابي. والتّهـوُّد: التّوبة والعمل الصّالح. والهوادة: الحرمة والسّبب. ابن الأعرابي: هاد إذْ رجع من خير إلى شرٍّ، أو مـن شرٍّ إلى خير، وهاد إذا عقل. ويهُود: اسم للقبيلة، قال:

أولئـك أولى مـن يهُـود بمدحـة ... إذا أنـت يومـاً قلتهـا لم تؤنـب

وقيل: إنّما اسم هذه القبيلة يهوذ، فعُرِّب بقلب الذّال دالاً، قال ابن سيده: وليس هذا بقويّ. وقالوا اليهُود، فأدخلوا الألف واللّام فيها على إرادة النّسب يُريدون اليهُوديِّيْن. وقوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ﴾ (الأنعام 146) معناه دخلوا في اليهُوديَّة.

وقال الفرَّاء في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ﴾ (البقرة 111).

قال: يُريد يهُوداً، فحذف الياء الزّائدة، ورجع إلى الفعل مـع اليهُوديَّـة، وفي قـراءة أُبيّ: إلَّا مَـنْ كان يهُوديّاً أو نصرانيّاً، قال: وقد يجوز أنْ يجعل هُوداً جمعاً واحده هائدة مثل حائل و عائط من النّوق، والجمع حُول وعُوط، وجمع اليهُودي يهُود، كما يقال في المجوسي مجوس، وفي العجمي والعَرَبي عجـم وعَرَب. والهُود: اليهُود، هادوا؛ أيْ تابوا، وأرادوا باليهُود اليهُوديِّيْن، ولكنهم حذفوا ياء الإضافة كـما قالوا زنجي وزنج، وإنَّما عُرف على هذا الحدّ فجُمع عـلى قيـاس شعيرة وشـعير، ثُـمَّ عُـرف الجمـع بالألف واللّام، ولولا ذلك لم يجز دخول الألف واللّام لأنّه معرفة مُؤنث، فجـرى في كلامهـم مجـرى القبيلة، ولم يُجعَل كالحَيّ، وأنشد علي بن سليمان النّحوي:

فـرت يهُـود وأسـلمت جيرانهـا ... صـمّي لمـا فعلـت يهُـود صـمام

قال ابن بري: البيت للأسود بن يعفر. قال يعقوب: معنى صمّي اخرسي يا داهية، وصمام اسم الدّاهية علم مثل قطاع وحذام؛ أيْ صمّي يا صمام، ومنهم مَنْ يقول: الضّمير في صمّي يعود على الأذن؛ أيْ صمّي يا أذنُ لما فعلتْ يهُودُ. وصمام اسم للفعل مثل نزال، وليس بنداء.

وهود الرّجل: حوَّله إلى ملَّة يهُود. قال سيبويه: وفي الحديث: «كلّ مولود يُولد على الفطرة، حتّى يكون أبواه يُهوّدانه، أو ينصّرانه» معناه يُعلّمانه دين اليهُوديّة والنّصارى، ويدخلانه فيه. والتّهويد: أنْ يصير الإنسان يهُوديّاً. وهاد وتهوّد إذا صار يهُوديّاً. (1)

ويقول أبو الفتح الشّهر ستاني تحت عُنوان اليهُود خاصّة: هاد الرّجل: أيْ رجع وتاب. وإنّما لزمهم هذا الاسم لقول مُوسى عليه السّلام - ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾(الأعراف 156) - أيْ رجعنا ونضرَّعنا وهُم أُمّة مُوسى عليه السّلام، وكتابهم التّوراة. (2)

---

(1) (لسان العرَب / مادّة هُود).

(2) الملل والنّحل، ص250.

# الإسلام وانشقاق اليهُوديَّة والنّصرانيَّة

نبدأ بالآيات الكريمة التي تتحدَّث عن أنَّ الإسلام هُو الدِّين الأصل والحقّ مُنْذُ عهد آدم حتَّى مُحَمَّد ﷺ وهُو دين جميع الأنبياء. وما اليهُوديَّة والنّصرانيَّة إلَّا انحراف عن ذلك، فهما بقايا ديانة سماويَّة، وليسا ديانتَيْن سماويَّتَيْن.. ولن نطيل، فهُناك الكثيرون ممَّنْ تحدَّث عن هذا الموضوع.

قال تعالى: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ ﴾ (الحج 78)﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ ﴾ ﴿ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ ﴾ ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ أيْ أنَّ الله هُو الذي اجتبانا، وهُو الذي سمَّانا مُسلمين.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ ﴾ (آل عمران 19).

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ ﴾ (آل عمران 85).

وقال تعالى: ﴿ أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ (آل عمران 83).

وهُناك العشرات من الآيات التي إمَّا على لسان الأنبياء أو تصفهم بأنَّهم مُسلمون.

ومن الأحاديث نستشهد بقوله ﷺ «الأنبياء أخوة لعلات أمّهاتهم شتَّى ودينهم واحد». [أخرجه أحمد والبُخاري ومُسلم والتّرمذي].

وقوله ﷺ «يا أيّها النّاس إنَّ الرّبّ واحد، وإن الدِّين واحد...» [اقتضاء الصّراط المستقيم...] وقوله ﷺ «إنَّ الدِّين عند الله الحنيفيَّة المُسلمة» [التّرمذي]. (1)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية، و "الحقيقة" حقيقة الدِّين: دين ربّ العالمين هي ما اتّفق عليها الأنبياء والمرسلون، وإنْ كان لكلّ منهم شرعة ومنهاج.

---

(1) الإسلام دين الله في الأرض وفي السّماء، ص41.

فـ"الشّرعة" هي الشّرعيّة؛ قال تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ (المائدة 48).(1)

ثُمّ قال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (الجاثية 18-19).

و "المنهاج" هُو الطّريق، قال تعالى: ﴿ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ۝ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ (الجن 16-17)، فالشّريعة بمنزلة الشّريعة للنّهر، والمنهاج هُو الطّريق الذي سلك فيه، والغاية المقصودة هي حقيقة الدِّين، وهي عبادة الله وحده لا شريك له، وهي حقيقة دين الإسلام. وهُو أنْ يستسلم العبد لله ربّ العالمين، لا يستسلم لغيره. فمن استسلم له ولغيره كان مشركاً، والله يقول: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ ﴾ (النساء 48)، ومن لم يستسلم لله، بل استكبر عن عبادته كان ممّنْ قاله الله فيه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (غافر 60). ودين الإسلام هُو دين الأوّلين والآخرين من النّبيّين والمرسلين، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ (آل عمران 85) عامّ في كلّ زمان ومكان.

فنُوح وإبراهيم ويعقُوب والأسباط ومُوسى وعيسى والحواريُّون كلّهم دينهم الإسلام، الذي هُو عبادة الله وحده لا شريك له.. فدين الأنبياء واحد، وإنْ تنوَّعت شرائعهم..."(2)

وقال أيضاً في كتاب آخر "وكان دينه الّذي ارتضاه الله لنفسه هُو دين الإسلام: الذي بعث الله به الأوّلين والآخرين من الرُّسُل، ولا يقبل من أحد ديناً غيره، لا من الأوّلين ولا من الآخرين. وهُو دين الأنبياء وأتباعهم.. كما أخبر الله – تعالى – بذلك عن نُوح ومن بعده إلى الحواريِّين."(3)

ويقول أبو الفتح الشّهرستاني تحت عُنوان أهل الكتاب: "الخارجون عن الملّة الحنيفيّة والشّريعة الإسلاميّة ممّنْ يقول بشريعة وأحكام وأعلام. وهم قد انقسموا: إلى مَنْ له كتاب محقّق مثل التّوراة والإنجيل، وعن هذا يُخاطبهم التّنزيل بأهل الكتاب، ومَنْ له شبه كتاب مثل المجوس والمانويّة..."(4)

---

(1) وقال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا ﴾ (الحج 34)، وقال تعالى: ﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ﴾ (الحجّ 67).

(2) مجموع الفتاوى، مُجلّد 11، ص 218، 219، 130.

(3) الجواب الصّحيح لمَنْ بدّل دين المسيح، ص81.

(4) الملل والنّحل، ص247.

# عزرا اليهُود وبُولُس النَّصارى

## 1. عزرا:

تخبرنا كُتُبُ التَّاريخ وكُتُبُ مُقارنة الأديان أنَّ عزرا هُو مَنْ قام بكتابة التّوراة في صيغتها الحاليَّة، وذلك بعد السّبي البابلي؛ حيثُ قام بتحريفها حسب أهواء اليهُود، ولهذا؛ أكْبَرَهُ اليهُود، وعظَّموه، حتَّى قالت بعض الفرَق بأنَّه ابن الله، قال تعالى:﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ (التوبة 30-31).

وعند المقابلة فيما بين الآيات نجد التالي:

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا ﴾ ﴿ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ ﴿ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾.

إذاً؛ عزرا هُو حبر راهب، عظَّمه اليهُود كما عظَّم النّصارى المسيح ابن مريم، أمَّا بالنّسبة لورود الاسم بلفظ "عزير"؛ فيُخبرنا د. أحمد حجازي السّقَّا بأنَّ:

اسمه ورد في القُرآن بصيغة التّصغير (عُزير)، وذلك احتقاراً له؛ حيثُ قال تعالى:﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ (التوبة 30) والذي جعل اليهُود يعظِّمونه هُو تحريفه للتّوراة على حسب أهوائهم[1].

ويُعدُّ عزرا ـ وهُو من بني إسرائيل ـ المُؤسّس الأوَّل والحقيقي لما يُسمَّى بالدّيانة اليهُوديَّة؛ حيثُ إنَّه كَتَبَ وأعاد صياغة التّوراة من جديد.

---

(1) انظر نقد التّوراة أسفار مُوسى الخمسة.

## 2- بُولُس:

يُعدُّ بُولُس - وهُو من بني إسرائيل - المُؤسِّس الأوَّل والحقيقي لما يُسمَّى بالدِّيانة النّصرانيَّة. هذا ما تذكره كُتُبُ التّاريخ ومُقارنة الأديان، وكذلك كُتُبُ النّصارى أنفسهم. الفرق الوحيد فيما بين عزرا وبُولُس هُو أنّ الأوَّل أتى بعد مُوسى - عليه السّلام - بفترة طويلة، بينما الثّاني أتى بعد عيسى - عليه السّلام - متعصّباً، ثُمّ فجأة ادَّعى أنّه رأى المسيح، وأخذ يبشِّر بالمسيحيَّة الجديدة القائمة على فكرة التّثليث والخطيئة والصّلب. لم يرد ذكره في القُرآن الكريم، لكنْ؛ يكفينا هُنا فقط الاستشهاد بما كتبه هُو، واعترافه على نفسه.

العهد الجديد رسالة بُولُس إلى أهل روميَّة 1 صحاح 7

... 14 فإنّنا نعلم أنّ النّاموس روحي، وأمّا أنا؛ فجسدي مبيع تحت الخطيَّة. 15 لأنّي لستُ أعرف ما أنا أفعله؛ إذْ لستُ أفعل ما أريده، بل ما أبغضه فإيَّاه أفعل. 16 فإنّي كنتُ أفعل ما لستُ أريده، فإنّي أصادق النّاموس أنّه حسن. 17 فالآن لستُ بعد أفعل ذك أنا، بل الخطيَّة السّاكنة فيّ. 18 فإنّي أعلم أنّه ليس ساكن فيَّ ؛ أيْ في جسدي شيء صالح. لأنّ الإرادة حاضرة عندي، وأمّا أنْ أفعل الحسنى فلستُ أجد. 19 لأنّي لستُ أفعل الصّالح الذي أريده، بل الشّرّ الذي لستُ أريده فإيَّاه أفعل. 20 فإنْ كنتُ ما لستُ أريده إيَّاه أفعل، فلستُ بعده أفعله أنا، بل الخطيَّة السّاكنة فيَّ. 21 إذا أجد النّاموس لي حينما أريد أنْ أفعل الحسنى أنّ الشّرّ حاضر عندي. 22 فإنّي أسر بناموس الله بحسب الإنسان الباطن. 23 ولكنّي أرى ناموساً آخر في أعضائي يحارب ناموس ذهني ويسبيني إلى ناموس الخطيَّة الكائن في أعضائي. 24 ويْحي أنا الإنسان الشّقي. مَنْ ينقذوني من جسد هذا الموت؟. 25 أشكر الله يسوع المسيح ربّنا. إذاً؛ أنا نفسي بذهني أخدم ناموس الله، ولكنْ؛ بالجسد ناموس الخطيَّة.

ممّا سبق نجد أنّ بني إسرائيل كان لهم الدّور الأكبر في تحريف الإسلام، واختلاق ديانتَيْن جديدتَيْن هما اليهُوديَّة والنّصرانيَّة. ومن الذين مثّلوا هذا الدّور من بني إسرائيل:

1- عزرا المُبتدع والمُؤسِّس الأوَّل للدِّيانة اليهُوديَّة، وأوَّل مَنْ حرَّف التّوراة.
2- بُولُس المُبتدع والمُؤسِّس الأوَّل للدِّيانة النّصرانيَّة، وأوَّل مَنْ حرَّف الإنجيل.

# أدلّة القُرآن الكريم

## الدّليل الأوّل:

قال تعالى: ﴿ وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلٗا ۝ ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍ [1] إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ﴾ بني إسرائيل (الإسراء 2-3).

في هذه السّورة ـ سورة بني إسرائيل، والتي عُرِفَتْ فيها بعد، وغلب عليها اسم سورة الإسراء ـ يُبيّن لنا تعالى أنَّ بني إسرائيل هُم من ذُرِّيَّة مَنْ حُمل مع نُوح، وتُؤكّد أنّهم ليسوا من ذُرِّيَّة نُوح.

(1) هُناك إجماع من المفسِّرين بأنَّ المقصود بذُرِّيَّة مَنْ حُمل مع نُوح هُم أبناؤه (سام، حام، يافث) والمعنى بكون أنَّ بني إسرائيل هُم من ذُرِّيَّة يعقُوب (إسرائيل) الذي هُو من ذُرِّيَّة سام بن نُوح. وأعتقد أنَّ سبّب هذا التفسير هُو الرّأي والمفهوم المُسبق وفقاً للمُفسِّر الذي يعتقد بأنَّ إسرائيل هُو يعقُوب. وما زاد التعقيد هُو اعتماد المفسِّرين على الإسرائيليّات التي تُؤكّد أنَّ إسرائيل هُو يعقُوب، والتي تُنكر أصلاً بأنّه هُناك مَنْ آمن مع نُوح، وأنّه لم ينجُ أحد من نُوح سوى أبنائه. وقد أهملت التفسيرات التي تُؤكّد أنّه كان هُناك ذُرِّيَّة لمَنْ آمن مع نُوح، وتمسّكت بتفسير آية واحدة، وهي قوله تعالى ﴿ وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ ﴾، ونضيف أنَّ جملة ذُرِّيَّة مَنْ حملنا مع نُوح وردت في القُرآن الكريم مرّتَيْن عند الحديث عن بني إسرائيل وإسرائيل فقط، بينما الآيات الأُخرى تذكر بأنَّ البشر هُم من ذُرِّيَّة نُوح، ولم تقل بأنّهم ذُرِّيَّة مَنْ حملنا مع نُوح ﴿ وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ ﴾ وعند الحديث عن آل إبراهيم وآل عمران قالت الآية بأنّهم من ذُرِّيَّة نُوح، ولم تقل بأنّهم من ذُرِّيَّة مَنْ حُمل مع نُوح؛ قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖ ﴾ (آل عمران 033-034).

وإذا أردت أنْ تعرف مدى انتشار التّوراة في عهده ﷺ فاقرأ كتاب اليهود في السُّنّة المطهّرة، وفيها عدّة أحاديث، وعلى مدى 9 صفحات (ص 611، 618) فإذا كان هذا في عهد الرّسول ﷺ فما بالنا فيما بعده في عهد المفسِّرين الذين اطّلعوا عليها، ونقلوا منها، واعتمدوا عليها ؟!

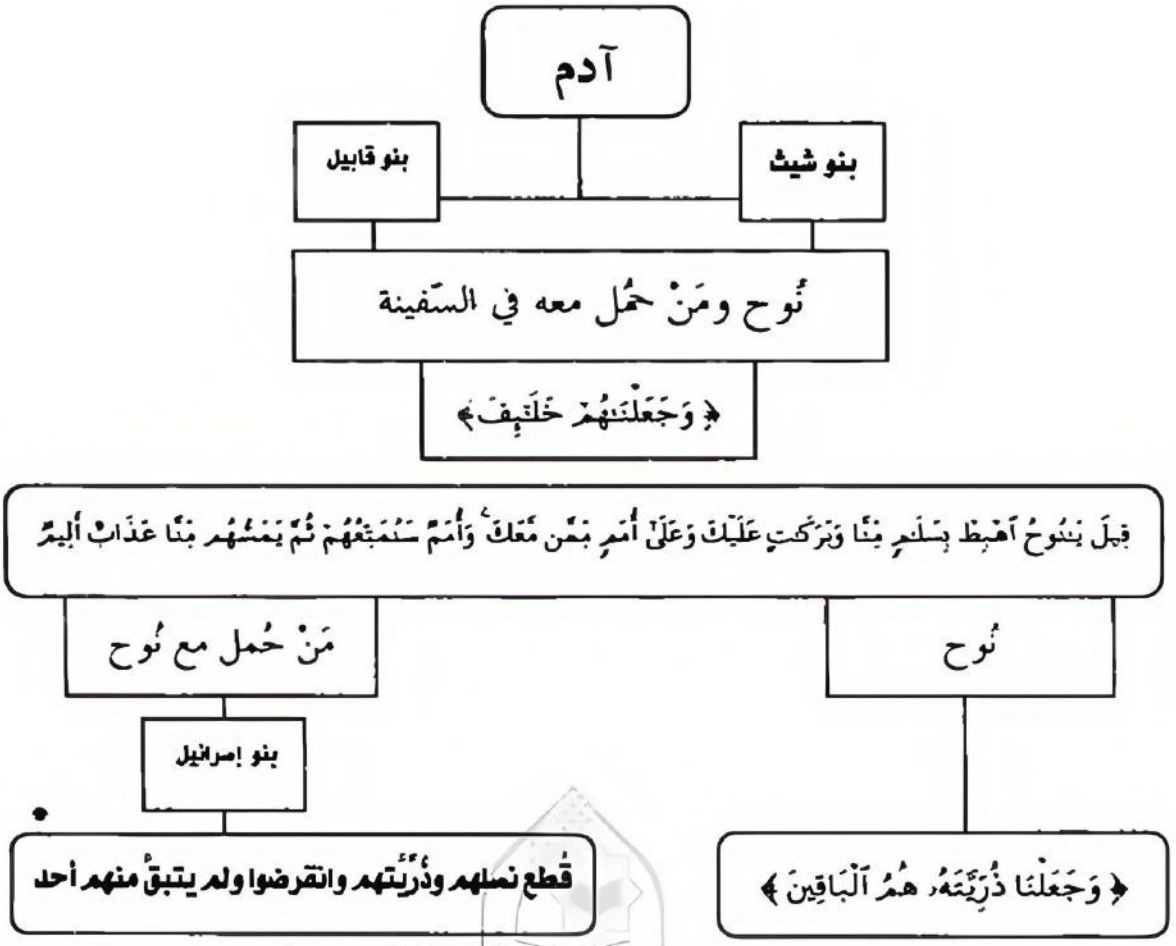


**شكل (6): بنو إسرائيل من ذُرِّيَّة مَنْ حُمل مع نُوح**

**•• سنناقش هذه المسألة في فصل نهاية بني إسرائيل**

علمنا أنَّ بني إسرائيل من ذُرِّيَّة مَنْ حُمل مع نُوح، لكنْ؛ من أيِّ تقسيم كانوا؟ هل من ذُرِّيَّة مَنْ مع نُوح الذين باركهم الله تعالى: ﴿ وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ﴾ ؟ أم هُم ممَّنْ قال عنهم بأنَّه سيُمتِّعهم، ثُمَّ يُعذِّبهم عذاباً أليماً: ﴿ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ؟ أعتقد أنَّ هذا السّؤال جوابه لا يحتاج إلى كثير من الذّكاء، ولكنْ؛ انظرْ فصل خصائص بني إسرائيل لتعرف.

وهذه الآية مهمَّة جدّاً، فهي تضع حدّاً فاصلاً بين يعقُوب عليه السّلام وبين بني إسرائيل، فيعقُوب هُو ابن إسحاق ابن إبراهيم وإبراهيم هُو من ذُرِّيَّة نُوح عليهم السّلام أجمعين.

**شكل (7) : علاقة**

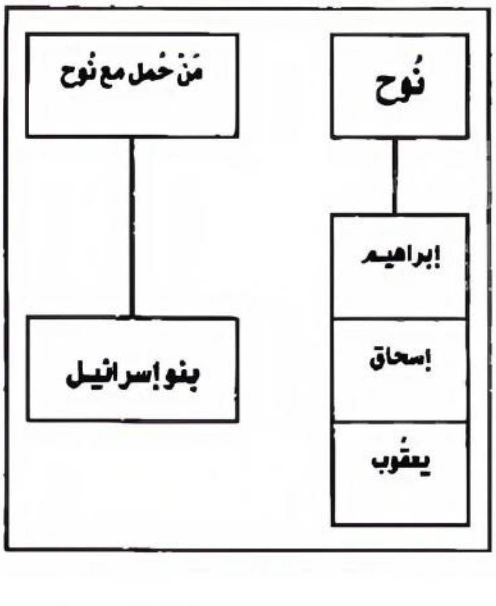

قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران 33-34).

بينما بنو إسرائيل هُم من ذُرِّيَّة مَنْ حُمل مع نُوح، فهل هُناك أيُّ علاقة لهم بيعقُوب؟ وهل يعقُوب هُو إسرائيل؟ بل هذه الآية تُعطي دليلاً على أنَّ إسرائيل كان قبل يعقُوب عليه السّلام.

## الدّليل الثّاني:

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ٤٩ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ٥٠ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥١ وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ٥٢ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا ٥٣ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ٥٥ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ٥٦ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ٥٧ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ۩ ﴾ (مريم 49-58)

هذه الآيات سنتناولها من خلال نُقطتَيْن:

أ – في هذه الآيات ورد اسم إسرائيل للمرَّة الثّانية في القُرآن الكريم. وفي الآية (58) يُخبرنا تعالى أنَّ جميع الأنبياء الذين ورد ذكْرهم هُم من ذُرِّيَّة:

1ـ آدم　　　　2ـ ممَّنْ حُمل مع نُوح

3ـ إبراهيم　　　　4ـ إسرائيل

(1) **آدم:** وهُو أبو جميع البشر، فضلاً عن الأنبياء، ولهذا السّبب نستبعده من التّرتيب الذي قُصد فيه الأنبياء ذكْرهم في الآية.

(2) **ممَّنْ حُمل مع نُوح:** قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحٗا وَإِبۡرَٰهِيمَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ﴾(الحديد 26)، وقال تعالى عن إبراهيم عليه السّلام: ﴿ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ

﴾ (الحديد 26)، من هاتَيْن الآيتَيْن نجد أنَّ النُّبوَّة محصورة في ذُرِّيَّة نُوح وفي ذُرِّيَّة إبراهيم فقط ، ويعني ذلك أنّه ليس هُناك أنبياء في ذُرِّيَّة مَنْ حُمل مع نُوح، ولكنّنا نجد في نهاية قوله تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ﴾ (مريم 58)، فهل هُناك مَنْ هداه الله واجتباه من ذُرِّيَّة مَنْ حُمل مع نُوح؟! عرفنا سابقاً أنَّ بني إسرائيل هُم من ذُرِّيَّة مَنْ حمل مع نُوح، فمَنْ منهم هداه واجتباه، لكنَّه لا يصل إلى درجة النُّبوَّة؟ قال:﴿ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ﴾ (المائدة 12)، هؤلاء النّقباء الاثنا عشر الذين هُم رُؤساء على الأسباط الاثنَيْ عشر؛ قال تعالى:﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا ﴾ (الأعراف 159-160)، إذاً ؛النّقباء هُم رجال اختارهم الله واجتباهم من بني إسرائيل (ذُرِّيَّة مَنْ حُمل مع نُوح)، وهم الذين أصبحوا رُؤساء للأسباط. وقد قالت التّوراة عن النّقباء:

التّوراة السّامريَّة:الخُرُوج إصحاح 18

25 .وقال مُوسى للقوم: لا أقدر أنا وحدي على احتمالكم. الله إلهكم كثَّركُم، وإنَّكم اليوم ككوكب السّماء كثرة، الله إله آبائكم يزيد عليكم مثلكم ألف دفعة، ويباركم كما وعدكم. كيف أحتمل وحدي أثقالكم وأوقاركم ومشاجراتكم؟ أحضروا لكم رجالاً حُكماء وفُطناء معروفين من أسباطكم؛ لأجعلهم على جُملتكم. فأجابوا وقالوا: صواب الأمر الذي أمرتَ بأنْ يُفعَل. فأخذ رُؤساء أسباطهم رجالاً حُكماء ومعروفين، وجعلهم رُؤساء عليهم.

التّوراة القديم:الخُرُوج إصحاح 18

25 واختار مُوسى ذوي قُدرة من جميع إسرائيل، وجعلهم رُؤساء على الشّعب

1النّقيب هُو القائم على جماعة، وقد وصف الله ـ تعالى ـ النّقباء بقوله: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ (السّجدة 23-24).

أمَّا بالنّسبة للأسباط؛ فيقول عبد الوهاب المسيري: الأسباط صيغة، جمع مفردها (سبط)، وهي كلمة عَرَبيَّة تعني (ولد الابن أو الابنة)، وتُستخدم في النُّصُوص الدِّينيَّة للإشارة إلى القبائل العبرانيَّة.

كلمة (سبط) بالعبريَّة معناها (عصا) أو (جماعة يقودها رئيس بعصا)، ويُطلق تعبير (أسباط) أو (قبائل) على أولاد يعقُوب، وكذلك على كُلّ من إفرايم ومنسى وابن يُوسُف. [1]

وفي اللُّغة العَرَبيَّة السّبط: هُو ولد الولد، ويغلب على ولد البنت مقابل الحفيد الذي هُو ولد الابن. وهُو مشتقّ من السَّبَط؛ أيْ الشّجرة. [2]

إذا كان معنى السّبط هُو ولد الولد فكيف يكون الأسباط هُم أبناء يعقُوب (إذا كان أباهم)؟! لكنَّ المعنى الصّحيح هُو أنَّ السّبط هُو ولد الولد؛ أيْ الحفيد، والأسباط هُم الأحفاد؛ أيْ أحفاد مَنْ حُمل مع نُوح، وأنَّ الرّبط جاء من الاعتقاد بأنَّ إسرائيل هُو يعقُوب، وكذلك تشابه الأرقام (12) بين الأسباط وأبناء يعقُوب، مع أنَّ التّوراة مليئة بالرَّقْم (12).

ونزيد على هذا أنَّه رُبَّما تسمَّى الأسباط بأبناء يعقُوب تبرُّكاً، وهذا لا يغيِّر في الأمر شيئاً. وأضفْ على كلِّ ما سبق بأنَّ العهد القديم تجد فيه تناقضاً كبيراً في تعريف الأسباط، وسنتتبع هذا في ثلاث مواضع:

العهد القديم التّكوين إصحاح 49

1 ودعا يعقُوب بنيه، وقال: اجتمعوا لأُنبئكم بما يصيبكم في آخر الأيّام....
3 رأوا بين... 5 شمعون ولاوي... 8 يهوذا... 13 زبولون... 14 يساكر...
16 دان... 19... جاد... 20 أشير... 21نفتالي... 22 يُوسُف... 27... بنيامين...
28 جميع هؤلاء هُم أسباط إسرائيل إثْنا عشر... 33 ولمَّا فرغ يعقُوب من توصيته بنيه ضمَّ رجلَيْه إلى السّرير، وأسلم الرّوح، وانضمَّ إلى قومه. [3]

في هذه الفقرات نجد أنَّ الأسباط هُم أبناء يعقُوب، وهم:

| | | | |
|---|---|---|---|
| 1ـ رأوبين | 2ـ شمعون | 3ـ لاوي | 4ـ يهوذا |
| 5ـ زبولون | 6ـ يساكر | 7ـ دان | 8ـ جاد |
| 9ـ أشير | 10ـ نفتالي | 11ـ يُوسُف | 12ـ بنيامين |

---

(1) موسوعة اليهُود واليهُودية والصّهيونية، مُجلَّد 4، ص142.

(2) المنجد في اللُّغة والأعلام، ص318.

(3) وقد ردَّ القرآن على هذا الادّعاء؛ قال تعالى: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة 133).

العهد القديم العدد إصحاح 1

4 ويكون معكما رجل لكلّ سبط... 5 لرأوبين... 6 لشمعون... 7ليهوذا...
8 ليساكر... 9 لزبولون... 10 لابني يُوسُف لأفرايم... ولمنسي...
11 لبنيامين... 12 لدان... 13 لأشير... 14 لجاد... 15 لنفتالي... 16 هؤلاء هُم
مشاهير الجماعة رُؤساء أسباط آبائهم.

ففي هذا التّقسيم خرج لاوي ويُوسُف من الأسباط، واستبدلها بإفرايم ومنسي.

العهد القديم أخبار الأيّام الأوّل إصحاح 27

16 وعلى أسباط إسرائيل. للرأوبين... للشمعونين... 17 للاويّين... لهارون...
18 ليهوذا... ليساكر... 19 لزبولون... لنفتالي... 20 لبني إفرايم... سبط
منسي... 21... لبنيامين... 22 لدان... هؤلاء رُؤساء أسباط إسرائيل. [1]

في هذه الفقرات نجد أنّ يُوسُف وأشير وجاد خرجوا من الأسباط، واستُبدلوا بإفرايم ومنسي أبناء يُوسُف، وكذلك هارون، مع أنّه ليس من أبناء يعقُوب، ولا من أبناء أبنائه. إنّ هذا التّناقض في تعريف الأسباط ليدلّ أنّ الأسباط ليسوا هُم أبناء يعقُوب إنّما هُم أحفاد مَنْ حُمل مع نُوح، تمّ تفريقهم إلى مجموعات: ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾ (الأعراف 160)، وجعل رُؤساء عليهم وهم النّقباء:﴿ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾ (المائدة 12)، أو أنّ تقسيم الأسباط جاء نتيجة لوُجُود النّقباء، ولم يُعرَف النّقباء ولا الأسباط إلّا بعد الخُرُوج من مصر.

---

(1) يقول ابن كثير نقلاً عن التّوراة: "السّبط الأوّل: سبط روبيل [رأوبين]... السّبط الثّاني: سبط شمعون... السّبط الثّالث: سبط يهوذا... السّبط الرّابع: سبط أيساخر [يساكر]... السّبط الخامس. سبط يُوسُف... السّبط السّادس: سبط ميشا [منسي]... السّبط السّابع: سبط بنيامين... السّبط الثّامن: سبط حاد [جاد]... السّبط التّاسع: سبط أشير... السّبط العاشر: سبط دان... السّبط الحادي عشر: سبط نفتالي... هذا نصّ كتابهم الذي بأيديهم، والله أعلم، وليس مَنْ هم (بنو لاوي)، فقد أمر الله مُوسى ألا يعدّهم معهم... (البداية والنهاية، 299).

نجد هُنا أنّه أسقط زبولون ابن يعقُوب، واستبدل بمنسي ابن يُوسُف.

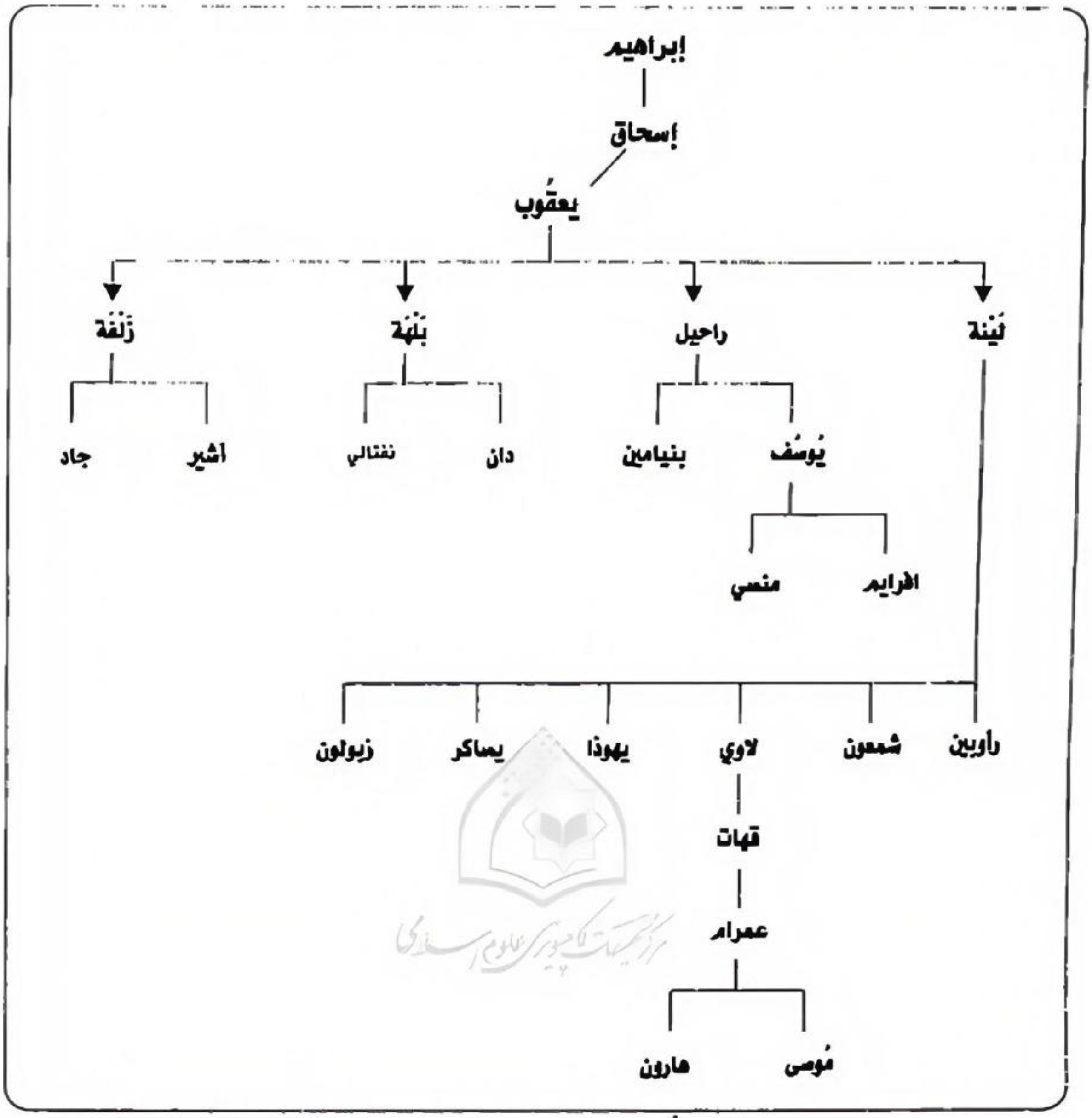


شكل (8): يعقُوب وأبناؤه وتعريفات التّوراة للأسباط

ومدلول قوله تعالى:﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ﴾ ؛ أيْ أنَّ الله هُو الّذي قطّعهم وفرَّقهم إلى اثنَيْ عشر سبطاً، وليس نتيجة لوُجُود أبناء يعقُوب الاثنَيْ عشر.

وإنْ قيل إنَّ الأسباط هُم أنبياء، والدّليل هُو ورود لفظة الأسباط عدَّة مرَّات في سياق "أوحينا"، فإنَّ الجواب يكون بقوله تعالى:

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ (القصص 7)، أوحينا؛ أيْ ألهمنا، ولم تكن أمّ مُوسى من الأنبياء:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً ﴾ (يُوسف 109).

فالأسباط هُم النّقباء الاثنا عشر الذين أُلهموا قيادة بني إسرائيل في سيناء، ولم يصلوا إلى درجة النُّبُوَّة؛ لأنهم ليسوا من نسل إبراهيم أو نُوح. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ﴾ (الحديد 26).

ومنزلة الأسباط مع مُوسى نستطيع تشبيهها بمنزلة الحواريّيْن مع عيسى عليهم السّلام أجمعين، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ (المائدة 111).

وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة 136).

... وقال أبو العالية والرّبيع وقتادة: الأسباط بنو يعقُوب اثنا عشر رجلاً، ولد كلّ رجل منهم أُمّة من النّاس، فسمّوا الأسباط. وقال الخليل بن أحمد وغيره: الأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في بني إسماعيل. وقال الزّمخشري في الكشّاف: الأسباط قبائل بني إسرائيل ! وهذا يقتضي أنّ المُراد بالأسباط هُنا شُعُوب بني إسرائيل، وما أنزل الله من الوحي على الأنبياء الموجودين منهم، كما قال مُوسى لهم:﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا ﴾ (المائدة 20) وقال تعالى: ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾ (الأعراف 160).

وقال ابن كثير في البداية والنّهاية: قد قدّمنا أنّ يعقُوب كان له من النّبيّيْن اثنا عشر ولداً ذَكَراً، وسمّيناهم، وإليهم تُنسب أسباط بني إسرائيل كلّهم، وكان أشرفهم وأجلّهم وأعظمهم يُوسُف عليه السّلام. وقد ذهب طائفة من العُلماء إلى أنّه لم يكن فيهم نبي غيره، وباقي إخوته لم يُوحَ إليهم. وظاهر ما ذُكر من فعالهم ومقالهم في هذه القصّة [في سورة يُوسُف] يدلّ على هذا القول، ومَنْ استدلّ على نُبُوَّتهم بقوله: ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ (البقرة 136) وزعم أنّ هؤلاء هُم الأسباط، فليس استدلاله بقويّ؛ لأنّ المراد بالأسباط شُعُوب بني إسرائيل، وما كان يوجد فيهم من الأنبياء الذين ينزل عليهم الوحي من السّماء، والله أعلم.

وممّا يؤيّد أنّ يُوسُف ـ عليه السّلام ـ هُو المختصّ من بين أخوته بالرّسالة والنُّبوة أنّه نصّ على واحد من أخوته سواه، فدلّ على ما ذكرناه. ويستأنس بما قاله الإمام أحمد: (حدّثنا) عبد الصّمد،

حدَّثنا عبد الرّحمن، عن عبد الله بن دينار، عن أبيه، عن ابن عمر أنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال: "الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يُوسُف بن يعقُوب بن إسحاق بن إبراهيم"، وانفرد به البُخاري)، فرواه عن عبد الله بن مُحَمَّد وعبدة عن عبد الصّمد بن عبد الوارث به...

﴿ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ ﴾ ؛ أيْ بالوحي إليكَ ﴿ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾ ؛ أيْ بسببكَ، ويحصل لهم بك خير الدّنيا والآخرة ﴿ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ﴾ ؛ أيْ ينعم عليكَ، ويحسن إليكَ بالنُّبوَّة، كما أعطاها أباكَ يعقُوب وجدَّكَ إسحاق ووالد جدِّك إبراهيم الخليل ﴿ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ لهذا؛ قال رسول الله ـ ﷺ ـ لمّا سُئل أيّ النّاس أكرم؟ قال: "يُوسُف نبيّ الله ابن نبيّ الله ابن نبيّ الله ابن خليل الله". [1]

أيْ أنَّ الأسباط ليسوا أنبياء، ولو كانوا كذلك لكان جميع أبناء يعقُوب ـ عليه السّلام ـ أنبياء، وأن المقصود بالأسباط في الآية هُم شُعُوب بني إسرائيل، وليس أشخاصاً بأعينهم، كأنْ يكونوا أبناء يعقُوب الاثنَيْ عشر. وقد اتَّفق أنَّ هذا العدد تكرَّر كثيراً، فأبناء إسماعيل = 12 والحواريُّون = 12، وعدد النّقباء في بني إسرائيل = 12، وعدد النّقباء في بيعة العقبة الثّانية = 12.

(3) **إبراهيم**: عند الوقوف على ذُرِّيَّة إبراهيم نجد أنَّ السّورة ـ سورة مريم ـ ذكرت هؤلاء الأنبياء (يحيى، زكريّا، عيسى) في أوَّل السّورة، كما ذكرت (إسحاق، يعقُوب، مُوسى، هارون، إسماعيل) [2]. هؤلاء الأنبياء الوارد ذكرهم كلّهم من ذُرِّيَّة إبراهيم عليهم السّلام أجمعين؛ قال تعالى:

---

(1) البداية والنهاية، ص185، 186.

(2) وقد نظَّم أحد الأقدمين أسماء الأنبياء، وقال:

إلا أنْ إيماننا برسل تحتما ... وهم آدم إدريس نُوح على الولا
وهُود وصالح ولوط مع إبراهيم أتى ... كذا نجله إسماعيل إسحق فضلاً
ويعقُوب يُوسُف ثُمْ يتلو شعيبهم ... وهارون مع مُوسى وداود العلا
سليمان أيُّوب وذو الكفل يُونُس ... والياس أيضاً واليسع ذاك فاعقلا
كذا زكريا ثُمْ يحيى غلامه ... وعيسى وطه خاتماً قد تكملا
وقد تمْ نظمي جمع رسل مرتبة ... لهم حسب إرسال كما قاله الملا

هؤلاء هم الأنبياء، وعددهم (25) نبيّاً في القُرآن، وما خرج عنهم فليس بنبي؛ أمثال (ذو القرنَيْن، الخضر، لقمان، عزير، إسرائيل).

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (الأنعام 84-87).

(4) **إسرائيل**: لم يتبقَّ في آيات سورة مريم سوى إدريس عليه السّلام، والكلّ يعلم أنّه ليس في ذُرِّيَّة إبراهيم؛ لأنّه بُعث قبل نُوح. فهل إدريس من ذُرِّيَّة إسرائيل؟ وقد أثبتنا سابقاً أنّ إدريس ليس في عمود نسب الرّسول ؛ أيْ ليس من بني شيث، وعرفنا أنّه هُو أخنوخ. فهل إدريس هُو أخنوخ الذي من ذُرِّيَّة قابيل؟ وهل إسرائيل هُو قابيل؟ كلّ هذا سيتمُّ شرحه في الفصول اللاحقة، إمّا لإثباته أو لإنكاره، (انظر، شكل 4).

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

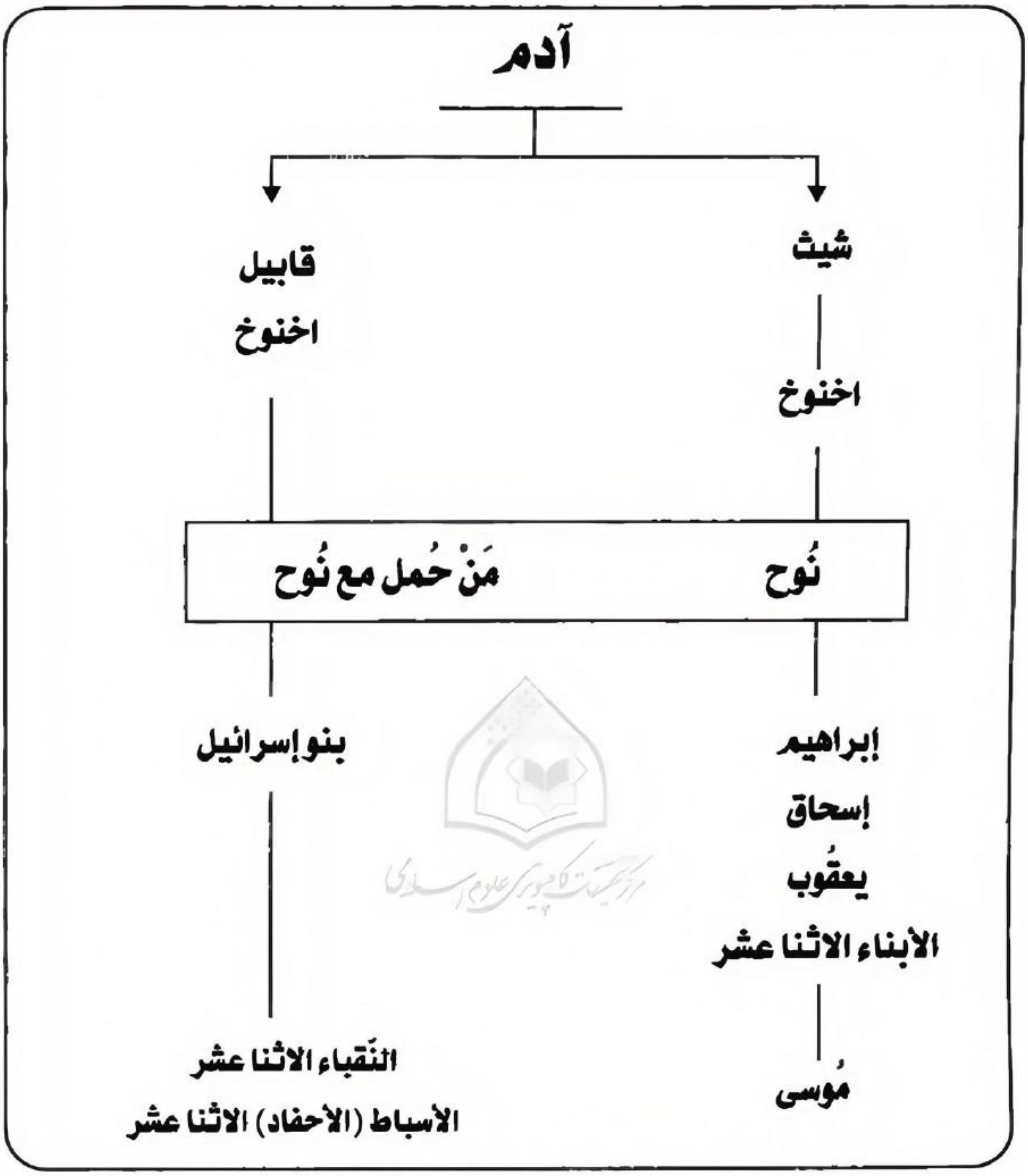


شكل ( 9 )

ب – نلاحظ في الآيات السّابقة من سورة مريم أنّه ـ في سياق واحد ـ ذكر الله ـ تعالى ـ اسم يعقُوب ﴿ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ ، وذكر اسم إسرائيل ﴿ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ ألا يدلُّ هذا على أنَّ اسم إسرائيل واسم يعقُوب هما لشخصَيْن مُختلفَيْن؟! أيْ هل يُقبَل أنّه في سياق واحد يُذكَر اسم يعقُوب واسم إسرائيل، ويكون المقصود هُو شخصاً واحداً؟ ثُمَّ إنَّ

جُملة "ومِمَّنْ حملنا مع نُوح" ترد هُنا للمرَّة الثَّانية بعد سورة الإسراء، وأيضاً لها علاقة وارتباط ببني إسرائيل أو إسرائيل.

## الدّليل الثّالث:

قال تعالى:﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾......وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ ﴾ (المائدة 26-45)

عند قراءة هذه الآيات تظهر لنا عدَّة أسئلة؛ منها مثلاً أنَّ قصَّة هابيل وقابيل وردت مرَّة واحدة في القُرآن، وذلك في سياق الحديث عن بني إسرائيل، فما علاقتهم بهذا الموضوع؟ ثُمَّ ما سبَّب قوله تعالى ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾، وفي بداية القصة يأمر الله ـ تعالى ـ مُحَمَّداً ـ ﷺ ـ أنْ يتلو على (بني إسرائيل) هذه القصَّة ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ ﴾؛ أيْ هل هُناك رابط بين قابيل وهابيل وبني إسرائيل، وقد علمنا سابقاً أنَّ بني إسرائيل هُم من ذُرِّيَّة مَنْ حُمل مع نُوح؟!

ونذهب إلى العهد الجديد لوُجُود فقرات مُهمَّة لها صلة بالموضوع:

العهد الجديد إنجيل متَّى إصحاح 23

33 أيُّها الحيَّات، أولاد الأفاعي، كيف تهربون من دينونة جهنَّم؟ 34 لذلك؛ ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحُكماء وكَتَبَة، فمنهم تقتلون، ومنهم تجلدون في

مجامعكم، وتطردون من مدينة إلى مدينة [1] 35 لكي يـأتي علـيكم كـلّ دم زكـي سُفك على الأرض من دم هابيل الصِّدِّيق إلى دم زكريَّا.

العهد الجديد إنجيل لُوقا إصحاح 11

49 لذلك ـ أيضاً ـ قالت حكمة الله: إنِّي أرسـل إلـيهم أنبيـاء، فيقتلـون مـنهم، ويطردون... 50 لكي يطلب من هذا الجيل دم جميع الأنبياء المهراق مُنْذُ إنشاء العالم. 51 من دم هابيل إلى دم زكريَّا.

في هذه الفقرات المُخاطب بنو إسرائيل، وورد أنَّهم مُطالبون بدم هابيـل، ووردت جُملـة (لكـي يطلب من هذا الجيل)؛ أ ليست هذه الجُملة تُوافـق قولـه تعـالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَاءِيلَ ﴾ ، فهل بنو إسرائيل هُم مَنْ قَتَلَ هابيل؟! أم الذي قتله قابيل؟! وهل لهم علاقة بقابيـل، أو ينتسبون إليه؟! إنَّ هذه الآيات تُسبِّب إشكاليَّة بين بني إسرائيل وعلاقتهم بقابيل، وقد قال ابن كثير: عن الحسن البصري، قال: كـان الـرّجلان اللّـذان في القُـرآن اللّـذان قـال الله ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ ﴾ من بني إسرائيل، ولم يكونا ابنَيْ آدم لصلبه، وإنَّما كان القُربان من بني إسرائيل، وكـان آدم هُـو أوَّل مَنْ مات، وقال ابن كثير: وهذا غريب جدّاً، وفي إسناده نظر. [2]

أمَّا الشّوكاني؛ فقد أورد: وقد اختلف أهل العلم في ابنَـيْ آدم المـذكورَيْن، هـل همـا لـصلبه؟ أم لا؟ فذهب الجمهور إلى الأوَّل، وذهب الحسن والضَّحَّاك إلى الثّاني، وقالا: إنَّهما كانا من بني إسرائيل، فـضرب بهما المثل في إبَّانه حسد اليهُـود، وكانـت بيـنهما خـصومة، فتقرَّبـا بقربـانَيْن، ولم تكـن القـرابين إلَّا في بنـي إسرائيل. قال ابن عطيَّة: وهذا كيف يجهل صورة الدّفن أحد من بني إسرائيل حتَّى يقتدى بالغراب؟! [3]

من هذا نجد أنَّه هُناك إشكاليَّة في علاقة آيات قصَّة قابيل وهابيل مع بني إسرائيل.

---

(1) هذا يُوافق قولـه تعـالى: ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ (المائدة 070)، وقـال تعـالى: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ (البقرة 087).

(2) تفسير ابن كثير، ص44، مُجلَّد 4.

(3) فتح القدير، ص432.

فهل بنو إسرائيل هُم من ذُرِّيَّة مَنْ حُمل مع نُوح، وهؤلاء هُم من ذُرِّيَّة قابيل؟

## الدّليل الرّابع:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ (الإسراء 101).

ذكر خالد آل عقدة عن تفسير هذه الآية ما يلي:

أخرج النّسائي كتاب تحريم الدّم (37) باب (11):

1137 عن صفوان بن عسال قال: قال يهُودي لصاحبه: اذهبْ إلى هذا النّبيّ. قال له صاحبه: لا تقلْ: نبيّ، لو سمعكَ كان له أربعة أعين – كناية عن زيادة الفرح، وفرط السّرور – فأتيا رسول الله، وسألاه عن تسع آيات بيّنات، فقال لهم: "لا تُشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النّفس التي حرَّم الله إلّا بالحقّ، ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان، ولا تسحروا، ولا تأكلوا الرّبا، ولا تقذفوا المحصَّنة، ولا تولّوا يوم الزّحف، وعليكم خاصّة يهُود أنْ لا تعدوا في يوم السّبت" فقبّلوا يدَيْه ورجلَيْه، وقالوا: نشهد أنّكَ نبيّ.

ويُضيف آل عقدة: وأخرجه التّرمذي في كتاب تفسير القُرآن (48) باب (18) وفي كتاب الاستئذان (43) باب (33)، وأخرجه أحمد في المسند (4/ 239، 240). [1]

وأمّا الشّقاري في كتابه اليهُود في السُّنَّة المُطهَّرة؛ فقد قال رواه التّرمذي وابن ماجه والطّيالسي وأحمد والحاكم. [2]

في الحديث الشّريف نجد أنَّ مُوسى أوصى بني إسرائيل بتسع وصايا، والعاشرة هي حفظ يوم السّبت، والسّؤال هُنا: هل اليهُود كانوا قبل مُوسى حتّى يُحرَّم عليهم السّبت﴿ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ﴾ (النحل 124).

---

(1) جامع التّفسير، ص1189، 1190.

(2) اليهُود في السُّنَّة المُطهَّرة، ص231، 232.

قال تعالى: ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿155﴾ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾ (الأعراف 155-156).

قال ابن كثير بـ ﴿ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾ : أيْ تبنا، ورجعنا، وأنبنا إليكَ، قال ابن عبَّاس وسعيد بن جبير ومُجاهد وأبو العالية والضَّحَّاك وإبراهيم التَّميمي والسّدي وقتادة وغير واحد، وهُو كذلك لُغة، وقال ابن جرير: حدَّثنا ابن وكيع، حدَّثنا أبي عن شريك عن جابر عن عبد الله بن يحيى عن علي قال: إنَّما سُمِّيَت اليهُود لأنَّهم قالوا: ﴿ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾ جابر هُو ابن يزيد الجعفي.[1]

وقال الشّوكاني: هُدنا؛ أيْ تبنا إليكَ، ورجعنا عن الغواية التي وقعت من بني إسرائيل، والهُود: التّوبة.[2]

نحبُّ أنْ نُضيف أنَّ لفظة هُدنا وردت مرَّة واحدة، ولفظة هادوا 9 مرَّات، وهُوداً وردت 3 مرَّات، ويهُود 8 مرَّات.

من تتبُّع الآيات والتّفسير ومعنى هُدنا وهادوا نجد أنَّ بني إسرائيل ـ وهم من ذُرِّيَّة مَنْ حُمل مع نُوح ـ كانوا مُسلمين، ثُمَّ حادوا، وانحرفوا، وأُرسل إليهم مُوسى عليه السّلام، فهادوا، ورجعوا، وتابوا. قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾ (المائدة 44).

ومن بعد الارستسال السّابق نحاول أنْ نقارن هُنا بين الآية السّابقة وآية أُخرى ذُكر فيها التّسع آيات:
الآية الأُولى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ (الإسراء 101).

الآية الثّانية قوله تعالى: ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ﴾ (النمل 12). في الآيات الأُولى قُرنت التّسع آيات ببني إسرائيل، وفي الآية الثّانية قُرنت التّسع آيات بفرعون وقومه. في الآية الأُولى وردت إضافة، وهذه الإضافة هي

---

(1) تفسير ابن كثير، ص 232.

(2) فتح القدير، ص 594.

لفظة البيِّنات، فما هي البيِّنات؟ إنَّ في القُرآن الكريم سورة كاملة تحمَّل اسم البيِّنة ومعناها حُجَّة مُحَمَّد ـ ﷺ ـ آيات القُرآن الكريم، ونضيف هذه الآية لكي تُفسِّر معنى البيِّنات، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ﴾ (الجاثية 16-17).

وردت البيِّنات في هذه الآيات مقرونة بالكتاب والحكم والنُّبُوَّة، والتي أُوتيَتْ وأُعطيَتْ لبني إسرائيل، وهي ليست المُعجزات، ولم يُقصَد بها هذا، بل هي النُّصُوص والفُرُوض التي أُعطيَتْ وفُرضَتْ عليهم، ومن ثمَّ؛ ـ فيما بعد ـ اختلفوا في هذه البيِّنات والنُّصُوص والفُرُوض. ومن هذا نجد أنَّ معنى الآية الأُولى كان المقصود بالتِّسع الآيات البيِّنات هي الفُرُوض التِّسع التي وردت في الحديث السَّابق، ففي الحديث تسع فُرُوض عامَّة، بالإضافة إلى فرض خاصّ ببني إسرائيل؛ وهُو حفظ يوم السَّبت، فأصبحت الفُرُوض عشرة فُرُوض على بني إسرائيل، وهذا ما تُسمِّيه التَّوراة الوصايا العشر.

أمَّا الآية الثَّانية؛ فكان المقصود بها المعجزات التِّسع التي حصلت لفرعون وقومه، ولكنَّها في التَّوراة تُسمَّى الضَّربات العشر، فنجد أنَّ عمليَّة تكرار الرَّقم وردت في كلٍّ من القُرآن الكريم والتَّوراة، فقد ورد في القُرآن الكريم أنَّ الفُرُوض تسع كما فسَّرها الحديث، وأنَّ المعجزات تسع أيضاً، عدَّدها القُرآن الكريم، وورد في التَّوراة أنَّ الوصايا عشر ذكرتها وأنَّ الضَّربات أيضاً عشر، وذكرتها، فيمكننا المقابلة بين الفُرُوض والمعجزات التِّسع والوصايا والضَّربات العشر.

ونحبُّ أنْ نضع في سياق الحديث عن الفُرُوض المطلوبة من بني إسرائيل؛ وقد ذكر الحديث حفْظَ يوم السَّبت علامة استفهام أمامها سُؤال كبير. وهذا السُّؤال يحتاج أنْ نشرحه قليلاً؛ حيثُ أنَّه فيما بين مُوسى ويعقُوب ـ عليهما السَّلام ـ ثلاثة أجيال؛ وهم: الجيل الأوَّل؛ جيل لاوي ابن يعقُوب، الجيل الثَّاني؛ جيل قاهت، وهُو ابن لاوي وحفيد يعقُوب، الجيل الثَّالث؛ جيل عمران، وهُو ابن قاهت وحفيد لاوي وأبو مُوسى عليه السَّلام، وهذه *النّقطة الأُولى*.

*النّقطة الثّانية*: أنْ نُسلِّم جدلاً بأنَّ إسرائيل هُو يعقُوب وبأنَّ الأسباط هُم أبناء يعقُوب الاثنا عشر.

*النّقطة الثّالثة*: لمعرفة الجيل الذي تمّ فيه الفساد يجب أنْ نستبعد الجيل الأوّل؛ جيل لاوي ابن يعقُوب، باعتباره واحداً من الأسباط، والأسباط وصفهم القُرآن بأنّهم مُسلمون، وأنّهم صالحون، وأنّهم ليسوا يهُوداً ولا نصارى، نخرجه ونخرج الجيل الأوّل بكامله، باعتباره جيل الأسباط من الشّكّ بأنّهم هُم مَنْ بدأ الفساد.

*النّقطة الرّابعة*: لم يتبقَّ لنا سوى جيلَيْن قبل مُوسى عليه السّلام يُحتمَل أنّه حَدَثَ فيهما الفساد؛ وهما: (1) الجيل الثّاني جيل قاهت بن لاوي. (2) الجيل الثّالث جيل عمران بن قاهت.

من خلال النّقاط الأربع السّابقة يمكننا هُنا وضع هذا السّؤال، ألا وهُو: هل يمكن وهل يعقل وهل يُتصوَّر أنَّ هذين الجيلَيْن [ 1ـ جيل أبناء الأسباط وأحفاد يعقُوب. 2ـ جيل أبناء الأحفاد وأحفاد الأسباط] أنْ يكونوا هُم سبب فساد بني إسرائيل، وبسببهم تمّتْ التّحريفات والتّخريفات في دعوة إبراهيم ومَنْ بعده عليهم السّلام، وهم الذين اخترعوا بعض الطّقوس، واختلقوا بعض القَصَص، وابتدعوا منهج ديانة جديدة، عاش خلالها بنو إسرائيل هذه المعيشة الفاسدة، حتّى ظُهُور مُوسى عليه السّلام، ونُزُول التّوراة عليه، وبسبب هذَيْن الجيلَيْن ـ فقط ـ خصَّصت التّوراة لهم بعض الفُرُوض والوصايا عليهم؛ مثل حفظ وتحريم يوم السّبت[وسبب تحريمه عليهم هُو ادّعاؤهم أنَّ الله ـ جلَّ جلاله ـ قد خلق السّموات والأرض في ستة أيّام، وفي اليوم السّابع ـ يوم السّبت ـ استراح]، وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ﴾ (النحل 124).

فهل يُعقَل أنّه خلال هذَيْن الجيلَيْن تمَّ الإيمان بهذه العقيدة التي سطّرتها التّوراة المُحرَّفة فيما بعد، فكان ردّ القُرآن بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ (ق 38).

هذا؛ بالإضافة إلى تحريم أشياء أُخرى عليهم بسبب مُعتقداتهم وتصرُّفاتهم وفسادهم وظلمهم؛ حيثُ قال تعالى: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ (النساء 160).

وقال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ (الأنعام 146).

ولم يتمّ رَفع هذا التّحريم ورَفع هذا التّصنيف حتّى ظُهور عيسى عليه السّلام، قال تعالى: ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ (آل عمران 50).

وبقي بعضها على مَنْ اتّبعهم إلى ظُهور مُحَمّد ، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ (الأعراف 157).

إنَّ مُجمل الآيات التي تُحرِّم على بني إسرائيل نجدها تشير إلى أنَّ القوم فسقوا، وطغوا، وظلموا، فكان هذا التّحريم عقاباً لهم، وامتدَّ هذا العقاب عدَّة قرون ليست بالقليلة، والسّؤال هُنا أيضاً: هل يُعقَل أو يُقبَل أنّه في خلال جيلَيْن اثنَيْن فقط تمَّ اختلاق وافتعال توهُّمات وتصوُّرات سبَّبت لهم ولأجيالهم كلّ هذا العقاب والتّحريم، وبالطّبع مع الأخذ بعين الاعتبار والتّصوُّر أنْ هذَيْن الجيلَيْن هما (1) جيل أبناء الأسباط وأحفاد يعقُوب، (2) جيل أبناء أحفاد يعقُوب وأحفاد الأسباط؟!

لنتناول القضيَّة السّابقة قضيَّة الجيلَيْن من زاوية أُخرى ووجهة نظر ثانية، ذات برهان عقلي ورَقْمي عَدَدي، فقد ذكرت التّوراة رَقْماً ضخماً، وقالت إنّه هُو عدد بني إسرائيل عند الخُرُوج:

العهد القديم: العدد إصحاح 1

> 45 فكان جميع المعدودين من بني إسرائيل حسب بيوت آبائهم من ابن عشرين سنة فصاعداً كلّ خارج للحرب في إسرائيل. 46 كان جميع المعدودين ستّ مئة ألف وثلاثة آلاف وخمس مئة وخمسين. 47 وأمّا اللّاويُّون حسب نسب آبائهم؛ فلم يُعدُّوا بينهم.

إذاً؛ العدد الذي ذكرتهُ التّوراة هُو 603550، وهذا الرَّقْم لا يشمل سبط لاوي؛ أيْ أنّه خاصّ بالأسباط الأحد عشر الأُخرى، بالإضافة إلى أنَّ هذا الرَّقْم لا يشمل الإناث، ولا يشمل مَنْ هُو أقلّ من عشرين عاماً.

إنَّ هذا الرَّقْم كان مدعاة للجَدَل، ومصدر هذا الجَدَل أنَّه كيف يُعقَل أنْ يتكوَّن هذا العدد، وأنْ يتناسل بنو إسرائيل لكي يصلوا إلى هذا العدد، وذلك خلال أربعة أجيال؛ إنْ حسبنا لاوي جيلاً، وقاهت جيلاً، وعمران جيلاً، ومُوسى جيلاً، أيْ إذا أدخلنا جيل الأسباط وجيل مُوسى، لكنْ؛ أيضاً إذا عددناها أربعة أجيال فمازال هذا الرَّقْم الذي ذكرتْهُ التّوراة كبيراً جدّاً؟! فما كان من الأغلبيَّة العظمى من الباحثين إلَّا تكذيب التّوراة، وتخطئتها جملة وتفصيلاً، واكتفى البعض بالقول إنَّ الرَّقْم مُبالغ فيه كثيراً. ولكنَّ هؤلاء أنفسهم هُم في ـ الوقت نفسه ـ يؤمنون بأنَّه في عهد مُوسى ـ عليه السّلام ـ كان هُناك اثنتا عشرة قبيلة أتت من الأسباط، الذين هُم أبناء يعقُوب، فإذا استبعدنا الأسباط أبناء يعقُوب، فكيف يمكن القبول والاقتناع أنَّه في خلال جيلَيْن فقط – جيل قاهت وجيل عمران – تكوَّنت اثنتا عشرة قبيلة، وجدها مُوسى ـ عليه السّلام ـ عند بعثته. فنجد هذا التّناقض الكبير فيما بين وجهتَيْ النّظر السّابقتَيْن، فمن جهة نجد الكلّ يكذّب التّوراة في ذكْرها لرَقْمها المُذهل، ومن جهة ثانية الكلُّ يصدِّق وُجُود اثنتَيْ عشرة قبيلة في عهد مُوسى، باعتبار ما ذكره القُرآن الكريم، لكنَّ السّؤال هُو: كيف تكوَّنت هذه القبائل الاثنتا عشرة خلال جيلَيْن فقط، فيما بين ما يتعارف عليه الأسباط وبين بعثة مُوسى عليه السّلام؟! وكان سؤالي السّابق مع تجاهل وتناسي أحداث عظام حصلت لبني إسرائيل، وهُي عمليَّة تقتيل وتذبيح الذكور واستبقاء الإناث. فقد قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾ (الأعراف 141)، وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾ (البقرة 49)، وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾ (إبراهيم 6). وكان كلُّ هذا التّقتيل والذّبح قبل بعثة مُوسى عليه السّلام؛ حيثُ قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ﴾ (القصص 4)، وأيضاً؛ حصل هذا التّقتيل والذّبح بعد بعثة مُوسى عليه السّلام؛ حيثُ قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ

مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾ (الأعراف 127-129).

من هذا نفهم أنَّ عمليَّة إبادة الذّكور قد حدثت في أكثر من جيل، لكنَّنا سنقتصرها على جيلَيْن فقط: جيل عمران وجيل مُوسى عليه السّلام، باعتبار أنَّ القتل حدث في الجيل الذي قبل مُوسى، وهُو جيل أبيه عمران، وحدث مرَّة أُخرى في جيل مُوسى عليه السّلام، فإذا سلَّمنا جَدَلاً بهذا الاقتصار على أنَّ إبادة الذّكور كانت في هذَيْن الجيلَيْن، نصيغ السّؤال بشكل جديد، إذاً؛ الجيل الأوَّل جيل الأسباط، وهم أبناء يعقُوب عليه السّلام، والجيل الثّاني هُم جيل أبناء الأسباط وأحفاد يعقُوب، والجيل الثّالث هُم جيل أبناء أحفاد يعقُوب وأحفاد الأسباط، وقد حدث لهم عمليَّة كبيرة من إبادة ذُكُور هذا الجيل، والجيل الرّابع هُو جيل مُوسى عليه السّلام، وحدثت له ـ أيضاً ـ عمليَّة إبادة للذُّكُور بشكل كبير. من العرض السّابق نجد أنَّ الأسباط هُم اثنا عشر، كوَّنوا بعدهم الجيل الثّاني الوحيد الذي سلم من عمليَّة الإبادة، فهل يكفي هذا الجيل ـ وهُو جيل واحد فقط ـ من أنْ يُكوِّن اثنتا عشرة قبيلة [وهذا الجيل هُو جدّ جيل مُوسى] وجدها مُوسى عليه السّلام عند بعثته؟! لقد تعدَّدت صيغ السّؤال وشرحه، لكنَّني أعتقد أنَّ الإجابة ستكون واحدة.

يعقُوب (إسرائيل)

لاوي (جيل الأسباط) [وهم 12 فرداً]

قاهت (جيل أبناء الأسباط وأحفاد يعقُوب) [الوحيد الذي لم يتعرَّض للاضطهاد] } هذان الجيلان فقط

عمران (جيل أبناء أحفاد يعقُوب وأحفاد الأسباط) [تعرَّض للاضطهاد والإبادة] } سبب فساد بني إسرائيل

مُوسى (الجيل المُعاصر له عليه السّلام) [تعرَّض للاضطهاد والإبادة]

على الرّغم ممَّا سبق؛ فإنَّ مُوسى ـ عليه السّلام ـ عند خُرُوجه ببني إسرائيل كان معه اثنتا عشرة قبيلة، يبلغ تعدادها 603550 من الذُّكُور فقط، هذا؛ عدا الإناث وما قلَّ عمره عن 20 سنة.

## الدّليل الخامس:

قال تعالى: ﴿ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ (القصص 3-5).

في هذه الآيات يذكر لنا تعالى أنَّ فرعون جعل أهل مصر شيَعاً؛ أيْ فرقاً، ويستضعف طائفة منهم من هذه الفرق، وهُم الغُرباء بنو يعقُوب، الذين دخلوا مصر أثناء وُجود يُوسُف بها، وكذلك بنو إسرائيل الذين وُجدوا في مصر في إحدى الفترات، وهذه هي نقطة اللّقاء بينهما. ونجد في القُرآن عند الحديث عن الأنبياء وذكْر نسبهم لا يذكر أنَّهم من بني إسرائيل، بل يقول تعالى: إنَّهم من آل يعقُوب، قال تعالى مُخاطباً يُوسُف: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (يوسف 6)، وقال تعالى على لسان زكريَّا: ﴿ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ (مريم 5-6).

هؤلاء الأنبياء الذين هُم من آل يعقُوب وصفهم الله ـ تعالى ـ بالذين أسلموا: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾ (المائدة 44)، أيْ أنَّ هؤلاء الأنبياء المُسلمين من آل يعقُوب بُعثوا للذين هادوا؛ أيْ بني إسرائيل.

## الدّليل السّادس:

قال تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ .... فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ.... ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ۝.... فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن

فِرْعَوْنَ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ ..... وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (يونس 71-90).

هذه الآيات تخبرنا عن قصَّة نُوح، وعن نجاته ونجاة مَنْ معه من المُؤمنين، الـذين جعلهـم الله تعـالى خلائف في الأرض، وكان لهم ذُرِّيَّة، ثُمَّ انتقلت الآيات عن الحديث عن الرّسل المبعوثين إلى أقـوامهم، ثُـمَّ تنتقل إلى قصَّة مُوسى وفرعون وبني إسرائيل، فهل هُناك فرق بين الرّسل المبعوثين إلى أقوامهم وبين قـصَّة مُوسى وبني إسرائيل؟! وهل هُناك رابط بين الآيات؟! نتناول هذه التّساؤلات في نُقطتَيْن:

***النّقطة الأُولى:***

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ ﴾ (يونس 74).

عند الحديث عن الأنبياء فيما بين نُوح ومُوسى نجـد أنَّ هُنـاك نـسقاً واحـداً نتابعـه في الآيـات التّالية:

قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ (الشّعراء 105-107).

قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ (الشّعراء 123-125).

قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ (الشّعراء 141-143).

قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ (الشّعراء 160-162).

قال تعالى: ﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لَـْٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ (الشعراء 176-178).

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ (الأعراف 59).

قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ ﴾ (الأعراف 65).

قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ (الأعراف 73).

قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ (الأعراف 85).

قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ (هود 50).

قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ (هود 61).

قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ (هود 84).

هذا النّسق في بناء الآيات ومدلولها (أخاهم) عند الحديث عن الأنبياء من نُوح إلى ما قبل مُوسى لا نجده عند الحديث عن مُوسى وهارون أو داود وسليمان أو عيسى، عليهم السّلام أجمعين. بينما نجد نسقاً آخر عند الحديث عن الأنبياء الذين أسلموا من آل يعقُوب المبعوثين للّذين هادوا من بني إسرائيل، فإنّنا نجد عند الحديث عن مُوسى:

قال تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ بني إسرائيل (الإسراء 2).

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ (السجدة 23).

وقال تعالى: ﴿ قَالُواْ يَـٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ (الأعراف 134).

وقال تعالى على لسان مُوسى: ﴿ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ (الأعراف 105).

وقال تعالى عند الحديث عن مُوسى وهارون: ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ (الشّعراء 16-17).

وقال تعالى: ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ (طه 47).

وقال تعالى عند الحديث عن عيسى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم ﴾ (الصف 6).

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ﴾ (المائدة 72).

وقال تعالى: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ (آل عمران 49).

ففي هذه الآيات نفهم أنَّ الأنبياء الوارد ذكرهم أُرسلوا إلى بني إسرائيل، بينما هُم ليسوا من بني إسرائيل. وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾ (الجاثية 16).

أيْ أنَّ الكتاب ـ وهُو التّوراة ـ دُفع إلى بني إسرائيل، ولم يُنزل عليهم، بل نزل على مُوسى، ودُفع إليهم، وكذلك النُّبُوَّة، فلم يكن هُناك من بني إسرائيل أنبياء؛ لأنَّ النُّبُوَّة محصورة في ذُرِّيَّة نُوح وإبراهيم، ولكنَّ الأنبياء أُرسلوا إليهم.

*النّقطة الثّانية:*

وهي: ما الرّابط بين الآيات في سورة يُونُس؟ الرّابط هُو أنَّ الله ذكر قصَّة نُوح ومَنْ آمن معه، وذكر أنَّه كان لهم ذُرِّيَّة جميعاً، نُوح أو مَنْ حُمل معه: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَـٰهُمْ خَلَـٰٓئِفَ ﴾ (يونس 73)، ثُمَّ أشار تعالى إلى الرّسل الذين بُعثوا إلى قومهم فيما بين نُوح ومُوسى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ ﴾ (يونس 74)، ثُمَّ انتقل إلى مُوسى وبني

إسرائيل، وعلمنا سابقاً بأنَّ بني إسرائيل هُم من ذُرِّيَّة مَنْ حُمل مع نُوح، فالرّابط بين هذه الآيات هُو الرّابط بين الآيتَيْن التاليتَيْن:

1- ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ ﴾ (يُونُس 73).

2- ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ۝ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ (الإسراء 2-3).

وعندما نقوم بعمل مُقارنة بين آيات سورة يُونُس (71، 90) مع آيات سورة الأعراف (59، 138)، نجد هذه الفروق:

1- في سورة يُونُس عندما ذكرت الآية أنَّ مَنْ آمن مع نُوح جُعلوا خلائف، وهذه الآية الوحيدة التي وصفتهم بهذا الوصف، أُشير إلى الرّسل فيما بين نُوح ومُوسى مُجرَّد إشارة، ثُمَّ انتقل الحديث عن مُوسى وبني إسرائيل الذين هُم من ذُرِّيَّة مَنْ حمل مع نُوح.

2- في سورة الأعراف عندما ذكرت الآيات قصَّة نُوح لم تُوضِّح هل مَنْ آمن معه كان لهم ذُرِّيَّة أم لا، ثُمَّ انتقلت للحديث عن الأنبياء حسب التّسلسل التّاريخي، حتَّى وصلت الآيات إلى الحديث عن مُوسى وبني إسرائيل؛ قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ .... ۝ .... فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ۝ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا .... ۝ .... وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا .... ۝ .... وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ .... ۝ .... وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا .... ۝ .... ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ .... ۝ ... وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ .... ۝ ﴾ (الأعراف 59-138).

وسورة "يُونُس" تماثل سورة "المُؤمنون" في الإشارة إلى ما بين نُوح ومُوسى عليهم السّلام؛ قال تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ ... ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ... ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ .... ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا .... ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ (المؤمنون 28-45).

## الدّليل السّابع:

بما أنّنا أثبتْنا سابقاً في الدّليل الثّالث أنّ لبني إسرائيل علاقة بأحد ابنَيْ آدم، يصبح لنا من المنطقي ذكْر بني إسرائيل بعد قصّة آدم مباشرة، من حيثُ الرّابط فيما بينهما، وكذلك من ناحيّة التّسلسل الزّمني، كما ورد في سورة البقرة؛ قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ... قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ... يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ... يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ... وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ (البقرة:30ـ49).

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

# نهاية بني إسرائيل

علمنا في فصل ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾ أنَّ البشر من بعد نُزُول القُرآن هُم من ذُرِّيَّة نُوح[1]، وعلمنا ـ أيضاً ـ أنَّ مُحمِل مع نُوح كان لهم نسل وذُرِّيَّة، ومنهم بنو إسرائيل، وقلنا سابقاً بأنَّ نسلهم قد قُطع، وأنَّهم انقرضوا. وفي هذا الفصل سندرس الأدلَّة على هذا.

قال تعالى عند الحديث عن بني إسرائيل: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة 134-141).

---

(1) هُناك نظرية أُخرى أجدها مقبولة، وهي بما أنَّ كلَّ نبيٍّ يُبعث إلى قومه خاصَّة، فمن المنطقي أنْ تكون بعثة نُوح عليه السَّلام خاصَّة في قومه فقط، وبذلك؛ يكون الطوفان ليس عالميّاً، وأن نُوح ومَنْ ركب معه في السَّفينة نجوا من الطوفان على حساب قومهم فقط، وبعد ذلك تكوَّنت ذُرِّيَّة نُوح وذُرِّيَّة مَنْ حُمل مع نُوح، لكنَّ ذُرِّيَّة مَنْ حُمل مع نُوح قُطع نسلها، ولم يتبقَّ سوى ذُرِّيَّة نُوح عليه السَّلام فقط، وهذا فيما يخصُّ قصَّة نُوح مع قومه فقط؛ أيْ أنَّه قد يكون هُناك بشر من غير ذُرِّيَّة نُوح مازالت باقية حتَّى اليوم؛ لأنَّ بعثة نُوح ـ عليه السَّلام ـ لم تكن عالميَّة، بل محصورة في قومه فقط، وكذلك الطوفان لم يكن عالميّاً، بل عقاباً لقومه فقط. وقوله تعالى: (وجعلنا ذُرِّيَّته هم الباقين) خاصّ في أنَّ ذُرِّيَّة نُوح هي الوحيدة الباقية من قوم نُوح ومِمَّنْ حُمل معه في السَّفينة، فقومه هلكوا في الطوفان، وأمَّا مَنْ حُمل معه؛ فقد قُطع نسلهم.

(وخلت؛ أيْ فُقدت، وأُفنيَتْ)، ولم يتبقَّ لهم نسل، وممَّا يؤكِّد هذا التَّفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ (غافر 53).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ (الشّورى 14).

هاتان الآيتان تتحدَّثان عن أنَّ بني إسرائيل أُروثوا الكتاب (التّوراة)، ثُمَّ اختلفوا، وتفرَّقوا، ثُمَّ قُطع نسلهم، ومَنْ ورث الكتاب من بعدهم ـ وهم اليهُود ـ (الذين تهوَّدوا) لفي شكٍّ منه بعد تحريفه. و الذي يُؤيِّد ويُثبت هذا التّفسير قوله تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ﴾ (المائدة 41).

ففي هذه الآية يُخبرنا الله ـ تعالى ـ أنَّ اليهُود هُم سمَّاعون للكذب، وهم الذين أخذوا ديانتهم عن قوم آخرين؛ أيْ بني إسرائيل، الذين لم يأتوكَ يا مُحَمَّد (عليه الصّلاة والسّلام)، والذين حرَّفوا التّوراة، ثُمَّ أورثوها لمَنْ تهوَّد، وسبب عدم حضورهم إلى الرّسول ﷺ هُو قطع نسلهم وفناؤهم، وقال تعالى أيضاً: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ (الأعراف 169).

فاليهُود هُم خَلَفُ بني إسرائيل الذين أُورثوا الكتاب، فقد أخبرنا الله ـ تعالى ـ بأنَّ بني إسرائيل هُم من ذُرِّيَّة مَنْ حُمل مع نُوح، وأخبرنا ـ أيضاً ـ أنَّه لم يتبقَّ عند بعثته ﷺ سوى ذُرِّيَّة نُوح. وأخبرنا بأنَّ ذُرِّيَّة جُزء ممَّنْ حُمل مع نُوح، وأنَّه ـ تعالى ـ سوف يُمتِّعها، ثُمَّ يمسّها عذاب أليم، وهذا ما ينطبق على بني إسرائيل﴿ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (هود 48).

وقد ذكر أ. د. مصطفى مُسلَّم موضوع متاع بني إسرائيل وعذابهم في كتابة معالم قُرآنيَّة في الصّراع مع اليهُوديَّة: جاءت آيات عديدة في القُرآن الكريم تُذكِّر بنعم الله على بني إسرائيل، ومنها أنَّه فضَّلهم على العالمين، كقوله: ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (البقرة 47)، ﴿ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأعراف 140) ... هذا التّفضيل كان سبب اختيارهم لعمل رسالة ربِّهم، فكانت الميزة مقترنة بالقيام بأعباء الرّسالة، فكانوا في عصرهم مُفضَّلين على الأمم الوَثَنيَّة والمُشركة؛ لأنَّهم أتباع الرّسل، وأنَّهم حَمَلَةُ

رسالة التّوحيد، ولكنْ؛ بعد تخلّيهم عن حَمْل الرّسالة، وأفعالهم الشّنيعة في التّحريف والتّبديل وترك الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر وقَتْل الأنبياء بغير حقٍّ، استحقّوا اللّعن والطّرد من رحمة الله، وضرب الذّلّة والمسكنة عليهم إلى يوم الدِّين، يقول سيِّد قُطب: وتفضيل بني إسرائيل على العالمين موقوت بزمان استخلافهم واختيارهم، فأمّا بعدما عتوا عن أمر ربِّهم، وعصوا أنبياءهم، وجحدوا نعمة الله عليهم، وتخلّوا عن التزاماتهم وعهدهم؛ فقد أعلن الله حكمه عليهم باللّعنة والغضب والذّلّة والمسكنة، وقضى عليهم بالتّشريد..

إنَّ كلَّ نعمة يقابلها تكليف، وكُلُّ تكليف يترتّب عليه أجر ومثوبة، فإنْ قام بها المُكلَّف، استحقَّ الأجر والمثوبة، أمّا إذا أهمل أو غيَّر حسب هواه؛ فإنَّ عقوبة الله العاجلة والآجلة له بالمرصاد، فلمّا تخلّى بنو إسرائيل عن القيام بالمهامّ، وُصموا بهذا العار الأبدي في العاجلة وفي الآجلة لهم عذاب عظيم؛ يقول الله: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾ (المائدة 78-79) ﴿ فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا ۝١٦٠ وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴾ (النساء 160-161) [1]

ثُمَّ إنَّ العهد القديم تحدَّث عن انقطاع نسل بني إسرائيل، ونبدأ بهاتَيْن الآيتَيْن من القُرآن الكريم، ثُمَّ ننتقل إلى العهد القديم؛ قال تعالى﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴾ (المائدة 78)، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ (الأنبياء 105)، فنتساءل ما هي لعنة داود؟ وماذا كُتب في الزّبور؟ نجد الإجابة في سفْر المزامير المنسوب لداود عليه السّلام.

العهد القديم مزمور 37

9 لأنَّ عاملي الشّرِّ يُقطعون، والذين ينتظرون الرّبَّ هُم يرثون الأرض. 11 بعد قليل لا يكون الشّرِّير. تطلع في مكانه، فلا يكون. 11 أمّا الودعاء؛ فيرثون

---

(1) معالم قُرآنية في الصّراع مع اليهوديّة، ص 1000، 101.

الأرض، ويتلذّذون في كثرة السّلامة ... 20 لأنَّ الأشرار يهلكون، وأعداء الرّبِّ كهباء المراعي. فنوا. كالدّخان فنوا ... 22 لأنَّ المباركين منه يرثون الأرض، والمعلونين منه يُقطعون ... 28 لأنَّ الرّبَّ يحبُّ الحقَّ، ولا يتخلَّ عن أتقيائه. إلى الأبد يُحفَظُون، أمّا نسل الأشرار؛ فينقطع. 29 الصّدِّيقون يرثون الأرض، ويسكنونها إلى الأبد...

في هذه الفقرات يتنبَّأ داود بانقطاع نسل الأشرار والملعونين، الذين هُم بنو إسرائيل، ويتنبَّأ بأنَّ الصّدِّيقين ـ أو كما قال تعالى الصّالحون ـ هُم مَنْ سيرث الأرض، والمقصود بهم ـ حسب أوصاف التّوراة عن الصّدِّيقين ـ أنّهم هُم المُسلمون.

ونضيف على ما سبق من الأدلَّة على انقطاع نسل بني إسرائيل قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنعام 42-45).

والأمم الذين أرسل لهم رسلاً، ثُمَّ قطع دابرهم هُم (عاد، ثمود، أصحاب الأيكة، قوم لوط، أصحاب الرّس، بنو إسرائيل).

وقد قال الحبر الأعظم إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي بعد إسلامه: إنّنا نرى أنَّ أعمدة وأركان هذه الشّريعة الموسويَّة التي كانت مُسندة عليها، وفيها قوامها واستيلاؤها، قد انهدمت بالكُلّيَّة، وعُدمت، مثل إبادة المُلك والرّياسة، وعدم وُجود الأنبياء، وإبطال الكَهَنُوت، وخراب الهيكل السّليماني، وهدم المذبح، واندثار الذّبائح، ومحق الأسباط، وما يتعلَّق بهم، ومحق الله ـ سُبحانه وتعالى ـ وهدم معرفة الأسباط ورُتبهم ووظائفهم المُتعلِّقة بالخدمات الدّينيَّة... [1]

(1) الرّسالة السّبعية بإبطال الدّيانة اليهوديَّة، ص 28، 29.

# آية وإشكاليَّة

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (الأحقاف 10) .

يذكر خالد آل عقدة في تفسير هذه الآية:

أخرج البُخاري كتاب مناقب الأنصار (63) باب (19)

1658 ـ... عن سعد بن أبي وقَّاص، قال: سمعتُ النَّبي ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض: إنَّه من أهل الجنة إلَّا لعبد الله بن سلام. قال: وفيه نزلت هذه الآية ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ ﴾ (الأحقاف 10) ، الآية. قال: لا أدري، قال مالك: الآية أو في الحديث.

وأخرجه مُسلم كتاب فضائل الصَّحابة (44) باب (33)

أخرجه التِّرمذي كتاب تفسير القُرآن (48) باب (47)

1659 ـ... عن ابن أبي عبد الله بن سلام: لمَّا أُريد عثمان جاء عبد الله بن سلام، فقال له عثمان: ما جاء بكَ؟ قال: جئتُ في نصركَ. قال: اخرجْ إلى النَّاس، فاطردهم عنِّي، فإنَّكَ خارج، خير منكَ داخل، فخرج عبد الله إلى النَّاس، فقال: أيُّها النَّاس، إنَّه كان اسمي في الجاهليَّة فُلان، فسمَّاني رسول الله ﷺ عبد الله، ونزل فيَّ آيات من كتاب الله، نزلتْ فيَّ: ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾، ونزلتْ فيَّ: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ (الرَّعد 43)، إنَّ لله سيفاً مغموداً عنكم، وإنَّ الملائكة قد جاورتكم في بلدكم هذا الذي نزل فيه نبيّكم، فالله الله في هذا الرَّجل أنْ تقتلوه، فو الله إنْ قتلتموه لتطردنّ جيرانكم الملائكة، ولتُسألنَّ سيف الله المغمود عنكم، فلا يُغمد إلى يوم القيامة، قال: فقالوا: اقتلوا اليهُودي، واقتلوا عثمان.

وذكره التّرمذي أيضاً في كتاب المناقب (50) باب (37).

أخرج أحمد في مسنده (6/ 5):

1660 ـ.. عن عوف بن مالك قال: انطلق النّبي ﷺ يوماً وأنا معه حتّى دخلنا كنيسة اليهود بالمدينة يوم عيد لهم، فكرهوا دخولنا عليهم، فقال لهم رسول الله : "يا معشر اليهود، أروني اثنَيْ عشر رجلاً يشهدون أنْ لا إله إلّا الله وأنّ مُحَمَّداً رسول الله يحطُّ الله عن كلّ يهودي تحت أديم السّماء الغضب الّذي غضبه عليه". فقال: فسكتوا، ما أجابه منهم أحد، ثُمّ ردَّ عليهم، فلم يُجبه أحد، ثُمّ ثلّث، فلم يُجبه أحد. فقال: "أبيتُم، فو الله إنّي لأنا الحاشر، وأنا العاقب، وأنا النّبي المُقفّى آمنتم أو كذبتم"، ثُمّ انصرف وأنا معه، حتّى إذا كدنا أنْ نخرج نادى رجل من خلفنا: كما كنتَ يا مُحَمّد.

قال: فأقبلْ، فقال ذلك الرّجل: أيّ رجل تعلموني فيكم يا معشر اليهود؟ قالوا: والله ما نعلم أنّه كان فينا رجل أعلم بكتاب الله منكَ، ولا من أبيكَ قبلكَ، ولا من جَدِّك قبل أبيكَ. قال: فإنّي أشهد له بالله أنّه نبي الله الّذي تجدونه في التّوراة. قالوا: كذبتَ. ثُمّ ردّوا عليه قوله، وقالوا فيه شرّاً. قال رسول الله : "كذبتم، لن يقبل قولكم، أمّا آنفاً؛ فتثنون عليه من الخير ما أثنيتم، ولمّا آمن كذّبتموه، وقلتم فيه، فلن يُقبل قولكم" قال: فخرجنا ونحن ثلاثة: رسول الله ، وأنا، وعبد الله بن سلام. وأنزل الله فيه:

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(الأحقاف 10). (1)

وذكر ابن كثير أنّ الآية نزلت في عبد الله بن سلام (2)، وكذلك ذكر الشّوكاني (3)، ولم يخرج السّيوطي عنهم في أسباب النّزول.

---

(1) جامع التّفسير، ص 1869ـ1872.

(2) تفسير ابن كثير، ص 140–141.

(3) فتح القدير، ص 1598.

عرفنا سابقاً أنَّ بني إسرائيل قد قُطع نسلهم. وهذه الآية تذكر أنّه هُناك من بنـي إسرائيـل مَـنْ آمن بمُحَمَّد ، فهل هُناك تناقض فيما بين هذه الآيات؟!

عند الرّجوع إلى تاريخ بني إسرائيل نجد أنّه كـان الإسرائـيلي يُفـاخر بانتـسابه إلى القبيلـة، أو بالأحرى إلى الأسباط، وكان كُلٌّ يدَّعي بأنَّه ينتـسب إلى داود أو مُوسـى أو اللاَّويِّـيْن (الكَهَنَـة) أو إلى يُوسُف، حتَّى إنَّهم يُفاخرون بانتسابهم إلى أبيهم إسرائيل، ويقصدون به يعقُوب، وكـذلك إلى أبـيهم إسحاق وإبراهيم.

لكنْ؛ حدث هُناك تغيير وانقلاب كبير في هذه الفكرة، فأصبح الشّخص ينسب نفـسه إلى بنـي إسرائيل إذا كانت أمّه إسرائيليّة فقط. والسّؤال هُنا لماذا حدث هذا التّغيير؟ السّبب هُو أنَّ الرّجال من بني إسرائيل قد تعرَّضوا للقتل والذّبح، وقد ذكر القُرآن ذلك، لكنَّ هذا ليس سبباً يُـسوِّغ الانتـساب للأُمّ في اليهُوديَّة، والسّبب الحقيقي هُو أنّه عند فناء الرّجال من بني إسرائيل كلّهم، أصـبح الـشّخص يُنسب إلى بني إسرائيل عن طريق أُمّه فقط، مع الأخذ بعين الاعتبار أنَّ اليهُوديَّة ديانة مُنغلقة لا تقبـل التّهوُّد؛ أيْ الدّخول إليها من قبَل أيِّ شخص يُريد اعتنـاق الدّيانـة اليهُوديَّـة، ونعلـم أنَّ في الإسـلام هُناك ما يُسمَّى بالدّعوة، وهُناك من يُسلم، وفي النّصرانيَّة هُناك ما يُسمَّى بالتّبشير، وهُناك مَنْ يتنـصَّر، أمّا في اليهُوديَّة؛ فهذا غير موجود، فـاليهُود اليـوم هُـم مَـنْ اعتنـق الدّيانـة اليهُوديَّـة مـن بنـي نُـوح، وانتسابهم إلى بني إسرائيل عن طريق الأُمّ، وهذا هُو الشّرط الوحيـد عنـد الكَهَنَـة مـن الحاخامـات. وهذا مـا قالـه تعـالى: ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ ﴾ (المائدة 41)؛ أيْ أنَّ اليهُـود أخـذوا ديـانتهم مـن اسـتماعهم لبنـي إسرائيل الّذي انقرضوا. وعندما ذكر القُرآن بأنَّ هُناك من بني إسرائيـل مَـنْ اعتنـق الإسـلام، وكـان شهيداً عليهم، فهذا كان من باب إقامة الحُجَّـة علـيهم، ووصـف عبـد الله بـن سـلام بأنّـه مـن بنـي إسرائيل، فهذا من خلال وجهة نظرهم؛ لأنَّهم يقولون بأنَّ الإسرائيلي هُو كُلُّ مَنْ أُمّه إسرائيليَّـة، وأنَّ انتساب اليهُود إلى بني إسرائيل أجدادهم عن طريق أُمّهاتهم. بعد هذا نجد أنّه ليس هُناك تناقض فيما بين الآيات.

# حَلُّ الإشكاليَّة عند ابن كثير

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (الأحقاف 10).

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: يقول تعالى: "قل" يا مُحَمَّد لهؤلاء المشركين الكافرين بالقُرآن "أ رأيتم إنْ كان" هذا القُرآن "من عند الله، وكذَّبتم به"؛ أيْ ما ظنُّكم أنَّ الله صانع بكم، إنْ كان هذا الكتاب الذي جئتُكُم به قد أُنزل عليَّ لأُبلِّغكموه، وقد كفرتم به، وكذَّبتموه. ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ ﴾؛ أيْ وقد شهدت بصدقه وصحَّة الكُتُبُ المُتقدِّمة المُنزلة على الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام قبلي، بشَّرت به وأخبرت بمثل ما أخبر هذا القُرآن به. وقوله عزَّ وجلَّ: "فآمن"؛ أيْ هذا الذي شهد بصدقه من بني إسرائيل لمعرفته بحقيقته، "واستكبرتم" أنتم عن اتِّباعه، وقال مسروق: فآمن هذا الشَّاهد بنبيِّه وكتابه، وكفرتم أنتم بنبيِّكم وكتابكم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ وهذا الشَّاهد اسم جنس يعمّ عبد الله بن سلام رضي الله عنه وغيره، فإنَّ هذه الآية مكِّيَّة نزلت قبل إسْلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه، وهذه كقوله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴾ وقال ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۩ وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾.

رضي الله عنه كان بالمدينة، رواه عنهما ابن جرير وابن أبي حاتم، واختاره ابن جرير... [1]

ثُمَّ يذكر ابن كثير الأقوال في كون المقصود بالآية عبد الله بن سلام رضي الله عنه. لكنَّ تفسيره السَّابق يُخبرنا بأنَّ معنى الآية: لماذا تكفرون يا كُفَّار قُرَيْش بالقُرآن الكريم، بينما هُناك من بني إسرائيل مَنْ آمن بالتَّوراة، واتَّبع الله، فيما أنتم تستكبرون عن اتِّباعه؟ وليس للآية علاقة بعبد الله بن سلام.

---

(1) تفسير القُرآن العظيم، ص 140، ج4.

# أدلّة الحديث الشّريف

## الدّليل الأوّل:

موسوعة الحديث:

البُخاري كتاب الجزية والمُوادعة (58) باب ( 7 ) إذا غدر المشركون بالمُسلمين رَقْم (3169).

عن أبي هُريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: لمَّا فُتحَتْ خيبر أُهديت للنّبيّ ﷺ شاة فيها سُمّ[1]... فقال النّبي: "اجمعوا لي مَنْ كان هاهُنا من يهُود"، فجمعوا له، فقال لهم: "مَنْ أبوكم؟ قالوا: فلان، فقال: كذبتم، بل أبوكم فلان، قالوا: صدقتَ، قال: فهل أنتم صادقيَّ عن شيء إنْ سألتُ عنه؟ فقالوا: نعم، يا أبا القاسم، وإنْ كذبنا عرفتَ كذبنا كما عرفتَهُ في أبينا.. [2] "فسألهم عن أهل النّار وعن الذي سمّ الشّاة".

وقد ورد حديث آخر في البُخاري في كتاب الطّبّ (76) باب (55) ما يذكر في سُمّ النّبي، رَقْم (5777). وكذلك أورد هذا الحديث الإمام أحمد في مسند تحت رَقْم (9826).

---

(1) هذه الشّاة المسمومة التي روى عنها أبي داود في سننه في كتاب (38) باب ( 6 ) حديث رَقْم (4510).. وتوفّي بعض أصحابه الذين أكلوا من الشّاة.. وحديث رَقْم (4512).. ثُمَّ قال ﷺ في وجعه الذي مات فيه: "مازلتُ أجد من الأكلة التي أكلتُ بخيبر.. وفي حديثه رَقْم (4513).. أنَّ أمّ بشر (في حديث (4514) أتته بعد موت ابنها بشر) قالت للنبي ﷺ في مرضه الذي مات فيه: ما يتّهم بك يا رسول الله ! فإنّي لا أتّهم بابني شيئاً إلَّا للشّاة المسمومة التي أكل معكَ بخيبر، وقال النبي ﷺ: "وأنا لا أتّهم بنفسي إلَّا ذلك....

(2) في قصّة الرّسول ﷺ عندما سمَّم اليهُود له الشّاةَ – ومات عليه السّلام وبه أثر منها – قال لهم: مَنْ أبوكم؟ ثُمَّ كذَّب ادّعاءهم، وهذا ما حدث مع عيسى عليه السّلام حسب رواية إنجيل برنابا، فإنَّ الشّرارة التي سعى بها اليهُود في محاولة صلبه هُو تكذيبه ادّعاءهم في أبيهم...

ويُضيف د. عبد الله الشّقاوي رواه الدّارمي في المقدّمة (1/ 35، 36) رَقْم 70 [1].

في هذا الحديث قام الرّسول ﷺ بتكذيب ادّعاء اليهُود في أبيهم، فإنَّ اليهُـود يـدَّعون أنَّ أبـيهم هُو يعقُوب عليه السّلام، أو أنّهم يقولون إنْ أبيهم إسحاق أو إبراهيم عليه السّلام. لكـنْ؛ آيّـاً كانـت إجابتهم، فإنَّه ﷺ قد كذَّبهم. وعدم ذكر أبي هريرة أو أحد الرّواة من بعـده لاسـم أبي اليهُـود هُـو مـا ليس لنا به من حيلة. وقد اكتفى الحافظ بن حجر في شرح الحديث بقوله: "مَنْ أبوكم؟ قـالوا: أبونـا فلان، فقال رسول الله : كذبتم، بل أبوكم فـلان، فقـالوا: صـدقت، وبـررتَ" بكـسر الـرّاء الأُولى، وحُكي فتحها، وهُو من البرّ". [2]

## الدّليل الثّاني:

مسند الإمام أحمد:

مسند أبي هريرة حديث رَقْم (872).

عن أبي هريرة قال: مرَّ النّبي ﷺ بأُناس من اليهُود وقد صاموا يوم عاشوراء، فقال:

"ما هذا من الصّوم؟" قالوا: هذا اليوم الذي نجّى الله مُوسـى وبنـي إسرائيـل مـن الغـرق، وغرق فيه فرعون، وهذا يوم استوت فيه السّفينة على الجودي، فصامه نُوح ومُوسى شـكراً لله تعـالى. فقال النّبي : "أنا أحقُّ بمُوسى وأحقُّ بصوم هذا اليوم. فأمر أصحابه بالصّوم".

في هذا الحديث يُبيِّن اليهُود سبب صومهم يوم عاشوراء؛ وهُو نجاة بني إسرائيل مع مُوسى عليه السّلام، وأيضاً فيه نجّى نُوح ومَنْ معه من المُؤمنين؛ حيثُ استوت السّفينة على الجودي. والسّؤال هُنا: لماذا لا يصوم اليهُود اليوم الذي نجّى الله فيه إبراهيم من الغرق، ونحن نعرف علاقة اليهُود ببني إسرائيل، لكنْ؛ ما علاقتهم بنجاة نُوح ومَنْ معه؟! أليس لأنَّ بني إسرائيل هُم من ذُرّيَّة مَنْ نجا مع نُوح حين استوت على الجودي؟! وهذا ما قاله تعالى:﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ۝ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ (الإسراء 2-3).

---

(1) اليهُود في السُّنّة المُطهَّرة، ص 444.

(2) فتح الباري بشرح صحيح البُخاري، مُجلَّد 3، ص 2567.

## الدّليل الثّالث:

موسوعة الحديث:

ابن ماجه كتاب الفتن (36) باب (23) الصّبر على البلاء، رَقْم (4030)

عن أُبي بن كعب، عن رسول الله ﷺ، أنّه ليلة أُسري به، وجد ريحاً طيّبة، فقال: يا جبريل؛ ما هذه الرّيح الطّيّبة؟! قال: هذه ريح قبر الماشطة وابنَيها وزوجها. قال: وكان بدء ذلك أنّ الخضر كان من أشراف بني إسرائيل... إلى آخر الحديث عن ماشطة بنت فرعون.

الشّاهد فيه هذا الحديث هُو أنّ الخضر من أشراف بني إسرائيل، ومع هذا لم يعرفه مُوسى عليه السّلام. والسّؤال هُنا إذا كان مُوسى بن عمران بن قاهث بن لاوي بن يعقُوب ويعقُوب هُو إسرائيل، فكيف لا يعرف مُوسى الخضر وهُو من أشراف بني إسرائيل إلّا إذا كان هُناك فرق بين آل يعقُوب وبني إسرائيل؟! ونعلم أنّ التّوراة ذكرت رَقْماً ضخماً عند الخُرُوج من مصر، وهذا الرَّقْم لا يُعقَل أنْ يكون فقط عدد آل يعقُوب، بل معهم بنو إسرائيل، الّذين كان عددهم ضخماً جدّاً، حتّى عيّن مُوسى عليهم النّقباء، وقسمهم أسباطاً.

البُخاري كتاب التّفسير (65) باب (2) (إذْ قال مُوسى لفتاه...)، 347266

قال ابن عبّاس: حدّثني أُبي بن كعب قال: قال رسول الله : "مُوسى رسول الله ، قال: ذكر النّاس يوماً حتّى فاضت العيُون ورقّت القلوب، ولّى، فأدركه رجل، فقال: أيْ رسول الله، هل في الأرض أحد أعلم منكَ؟ قال: لا، فَعُتِبَ عليه؛ إذْ لم يردّ العلم إلى الله، قيل: بلى، قال: أيْ ربّ، فأين؟ قال: بمجمع البحرين، قال: أيْ ربّ، اجعل لي علماً أعلم ذلك منه – فقال لي عمرو – قال "حيثُ يفارقكَ الحوت"... (ثُمّ قصّة لقاء مُوسى بالخضر وهي وردت في سورة الكهف).

إنّ هذه الأحاديث من السُّنّة المُطهّرة والآيات السّابقة من القُرآن الكريم تُثبت أنّ إسرائيل شخص آخر غير يعقُوب عليه السّلام، وأعتقد أنّ هذه الأدلّة تكفي من حيثُ أدلّة المصادر الإسلاميّة. وسنتناول في الفصول اللّاحقة مصادر أهل الكتاب (مع الأخذ في عين الاعتبار أنّ أهل الكتاب يقولون ما قاله المُسلمون من أنّ إسرائيل هُو يعقُوب).

# أدلّة التّوراة السّامريّة

في التّوراة السّامريّة سنعتمد على شهادة لبلعام بن بعور، وفي البدء سوف نتعرّف إليه: قال تعالى:

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ (الأعراف 175-178).

قال الشّوكاني في تفسير هذه الآيات: وإيراد هذه القصّة منه سبحانه وتذكير أهل الكتاب بها؛ لأنّها كانت مذكورة عندهم في التّوراة، وقد اختلف في هذا الذي أُوتي الآيات (فانسلخ منها)، فقيل: هُو بلعم بن باعوراء، وكان قد حفظ بعض الكُتُب المُنزلة، وقيل: كان قد أُوتي النّبُوَّة، وكان مُجاب الدّعوة، بعثه الله إلى مدين، يدعوهم إلى الإيمان، فأعطوه الأعطية الواسعة، فاتّبع دينهم، وترك ما بُعث به، فلمّا أقبل مُوسى في بني إسرائيل لقتال الجبّارين، سأل الجبّارين بلعم بن باعوراء أنْ يدعو على مُوسى، فقام ليدعو عليه، فتحوّل لسانه بالدّعاء على أصحابه... [1]

وقال ابن كثير في تفسير هذه الآيات: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: (الآية.... قال: هُو رجل من بني إسرائيل يُقال له بلعم بن باعوراء، وكذا رواه شعبة وغير واحد... تفسير ابن كثير، ص 244.

وتصفه التّوراة السّامريّة بالمُفسّر، وأمّا العهد القديم؛ فيصفه بالعرّاف:

---

(1) فتح القدير، ص 603.

**التّوراة السّامريّة العدد إصحاح 22**

**5 فأرسل رسلاً إلى بلعام بن يعور المفسّر.**

**العهد القديم يشوع إصحاح 13**

**12 وبلعام بن بعور العرّاف.**

وشهادة بلعام بن بعورة عبارة عن شعر قاله عن بني إسرائيل عندما دعاه ملك مُوآب لدّعاء عليهم أو هجائهم، فما كان منه إلّا أنْ حيل بينه وبين ذلك، ونطق لسانه بمدحهم حسب رواية التّوراة. ونقتطف ثلاثة أبيات من هذا الشّعر، وهي:

**التّوراة السّامريّة العدد إصحاح 24**

17 يبرز كوكب من يعقُوب    وينتصب قضيب في إسرائيل [1]

فيمرض جهات موآب    وجماجم بني شيث [2]

... 22 فإنّه لنفي قاين    حتّى من الوصل مسكنك [3]

**العهد القديم العدد إصحاح 24**

17 يبرز كوكب من يعقُوب    ويقوم قضيب من إسرائيل

فيحطم طرفي موآب    ويهلك كلّ بني الوغى [4]

... 22 لكنْ يكون قاين للدّمار    حتّى متى يستأسدك أشور

---

(1) يقول الدُّكتُور عبد العاطي منتصر أستاذ اللُّغة العبريّة بجامعة الملك سعود بأنَّ هذا يُعرّف في الشّعر العبري بعمليّة التّوازي. وهي عملية ذكر لفظتَيْن مُختلفَتَيْن وهي من مُترادفات معنى واحد في كلّ من نهاية شطرَيْ البيت الواحد، والمقصود (هُو أنَّ يعقُوب هُو نفسه إسرائيل، وهذا ما أخطأ فيه كمال الصليبي في كتابه خفايا التّوراة وأسرار شعب إسرائيل).

(2) والمقصود هُنا أنَّ موآب جزء من بني شيث.

(3) هذا الشّعر لبلعام بن بعور استشهد به كمال الصليبي في أنَّ إسرائيل غير يعقُوب، ولكنه أخطأ، واستشهد به أيضاً عبد الرّحمن غنيم في أنَّ بني إسرائيل ليسوا من بني شيث، لكنَّه لم يُكمل إلى الفقرة 22، وهي ما يُؤيّد وجهة نظره في أنّهم من بني قابيل.

(4) نجد ها هُنا تحريف شيث إلى الوغى.

وفي النّسخة الإنجليزيّة من العهد القديم: NUMBERS Chapter 24

**17... And beat. down all the peopl of seth[1] ... 22 But you kenites will be destoyed... When Assyria takes you captive**

وفي النّسخة العبريّة من العهد القديم "التّناخ":

**במדבר פרק כד**

**17 אֶרְאֶנּוּ וְלֹא עַתָּה אֲשׁוּרֶנּוּ וְלֹא קָרוֹב דָּרַךְ כּוֹכָב מִיַּעֲקֹב וְקָם שֵׁבֶט מִיִּשְׂרָאֵל וּמָחַץ פַּאֲתֵי מוֹאָב וְקַרְקַר כָּל־בְּנֵי־שֵׁת .... 22 כִּי אִם־יִהְיֶה לְבָעֵר קָיִן עַד־מָה אַשּׁוּר תִּשְׁבֶּךָּ**

ما قاله بلعام بن بعور هُو عبارة عن مدح بني إسرائيل، وأنّه سوف يظهر منهم مَنْ سوف يُحطِّم جماجم البشر بني شيث (وموآب جزء منهم)، وهذا انتقام للذي تمَّ نفيه، وهُو قابيل (قاين). وهذا التّفسير يبدو أكثر وضوحاً في التّوراة السّامريّة منه عن العهد القديم، ونجد أنّه في التّرجمة العَرَبيّة تمَّ إخفاء اسم شيث، واستُبدل بالوغى؛ أيْ الجميع، ومع هذا في الفقرة (22) ذكرت اسم قابيل (قاين)، لكنَّ النّسخة الإنجليزيّة والعبريّة مازالت مُحتفظة باسم شيث.

وهُنا؛ إذا كان بنو إسرائيل وإسرائيل هُو يعقُوب، ويعقُوب من ذُرِّيَّة نُوح النّبي هُو من بني شيث، فلماذا يتنبّأ بلعام بن بعور وهُو يمدح بني إسرائيل بأنّه سوف يظهر منهم مَنْ يقتل بني شيث انتقاماً لقابيل؟! أيْ إذا كان بني إسرائيل من بني شيث فكيف يقتلون بني شيث؟ ثُمَّ ما علاقتهم بقابيل حتّى ينتقموا له؟! ونعود إلى ما أثبتناه سابقاً، ونحاول ترتيبه.

---

(1) النّسخة الإنجليزيّة ذكرت شيث، ولم تقل بني الوغى، كما في النّسخة العبريّة.

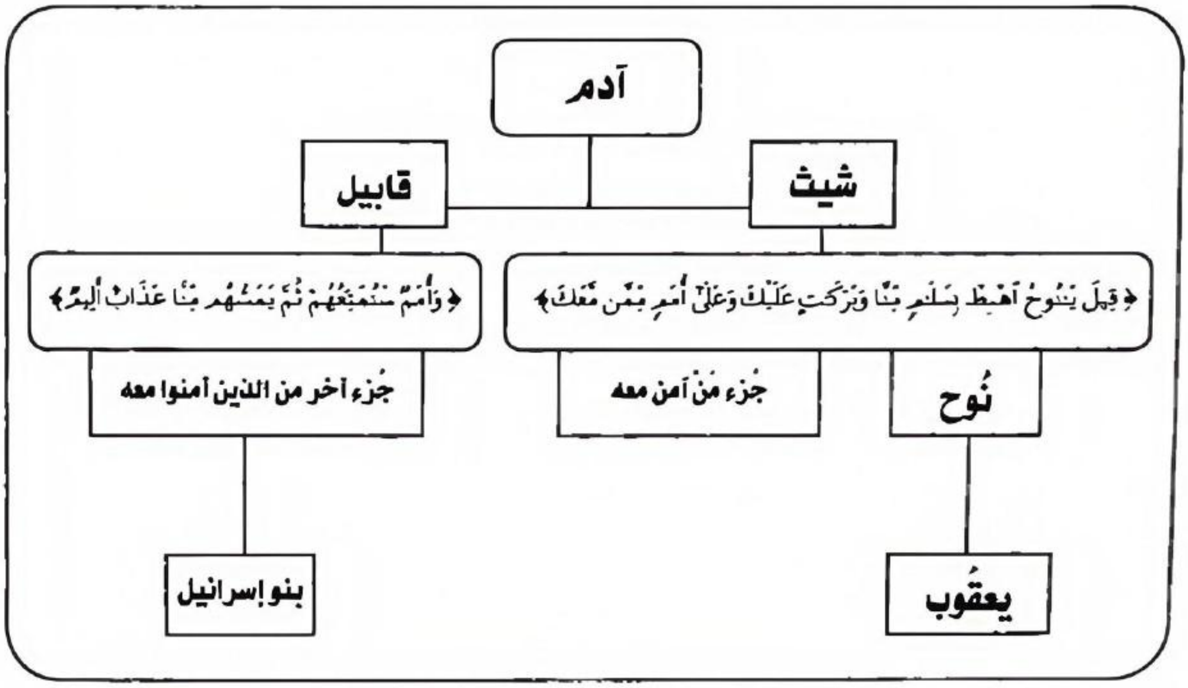


شكل (10): علاقة بني إسرائيل مع قابيل وشيث

والغريب في الأمر أنَّ بني إسرائيل قتلوا بلعام بن بعور:

العهد القديم: العدد إصحاح 31

8... وبلعام بن بعور قتلوه بالسّيف.

يشوع إصحاح 13

12 وبلعام بن بعور العرَّاف قتله بنو إسرائيل مع قتلاهم.

# أدلّة العهد القديم

## الدَّليل الأوَّل:

العهد القديم: اشعياء إصحاح 43

27 أبوك الأوَّل أخطأ، ووسطاؤك عصوا.

في هذه الفترة يقول اشعياء مخاطباً بني إسرائيل بأنَّ أباهم الأوَّل أخطأ، فهل أباهم الأوَّل الذي أخطأ هُو يعقُوب؟ أم إبراهيم؟ أم أنّه قابيل؟ وستوضَّح هذه الفقرة أكثر عند الحديث في أدلَّة العهد الجديد.

## الدَّليل الثَّاني:

العهد القديم: حزقيال إصحاح 33

24 يا ابن آدم؛ إنَّ السّاكنين في هذه الأرض الخرب في أرض إسرائيل يتكلَّمون قائلين: إنَّ إبراهيم كان واحداً، وقد ورث الأرض ونحن كثيرون. لنا أُعطيت هذه الأرض ميراثاً.

في هذه الفقرة يخاطب الله النّبي حزقيال، ويذكِّره باحتجاج بني إسرائيل على وعد الله بإعطاء الأرض ميراثاً لإبراهيم. ويقولون: نحنُ أكثر عدداً فمن حقِّنا هذا الوعد، وهذا الميراث. وهُنا يتبادر إلى الذّهن هذا التّساؤل: لو كان بنو إسرائيل من ذُرِّيَّة إبراهيم، فلماذا نجد هذا الاحتجاج؟!

## الدّليل الثّالث:

العهد القديم: أخبار الأيّام الثّاني إصحاح 6

5 مُنذُ يوم أخرجتُ شعبي من أرض مصر لم أختر مدينة من جميع أسباط إسرائيل لبناء بيت ليكون اسمي هُناك، ولا اخترتُ رجلاً يكون رئيساً على إسرائيل. 6 بل اخترتُ أورشليم؛ ليكون اسمي فيها، واخترتُ داود؛ ليكون على شعبي إسرائيل.

في هاتَيْن الفقرتَيْن يذكر الله بأنّه اختار أورشليم مدينة مُقدَّسة، وسبب اختيارها أنّها ليست من مُدُن بني إسرائيل وأسباطهم، وكذلك اختار الله داود ليكون رئيساً على شعب إسرائيل، وهُو ليس منهم كما يُفهَم من هاتَيْن الفقرتَيْن. فإذا كان داود ليس من بني إسرائيل، فإلى مَنْ ينتسب؟ إنَّه ينتسب إلى يعقُوب عليه السّلام. لا القُرآن ولا السُّنَّة قالت بأنَّ الأنبياء هُم من بني إسرائيل، بل نجد في القُرآن ـ كما ذكرنا سابقاً ـ بأنَّ الأنبياء هُم من آل يعقُوب.

وفي النّسخة العبريّة المعروفة بالتّناخ....

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

דברי הימים פרק ו

5 מִן־הַיּוֹם אֲשֶׁר הוֹצֵאתִי אֶת־עַמִּי מֵאֶרֶץ מִצְרַיִם לֹא־בָחַרְתִּי בְעִיר מִכֹּל שִׁבְטֵי
יִשְׂרָאֵל לִבְנוֹתבַּיִת לִהְיוֹח שְׁמִי שָׁם וְלֹא־בָחַרְתִּי בְאִישׁ לִהְיוֹת נָגִיד עַל־עַמִּי יִשְׂרָאֵל
6 וָאֶבְחַר בִּירוּשָׁלַםִ לִהְיוֹת שְׁמִי שָׁם וָאֶבְחַר בְּדָוִיד לִהְיוֹת עַל־עַמִּי יִשְׂרָאֵל.

# أدلّة إنجيل برنابا

## الدّليل الأوّل:

إنجيل برنابا الفصل 208

1 إذا كنتُ أفعل الإثم وَبِّخُوني، يُحبِبكم الله؛ لأنّكم تكونون عاملين بحسب إرادته. 2 ولكنْ؛ إذا لم يقدر أحد أنْ يُوبِّخني على خطيئة، فذلك دليل على أنّكم لستُم أبناء إبراهيم [1] كما تدعون أنفسكم. 3 ولا أنتم متَّحدين بذلك الرّأس الذي كان إبراهيم متَّحداً به. 4 إنَّ إبراهيم أحبَّ الله؛ بحيثُ أنّه لم يكتف بتحطيم الأصنام الباطلة تحطيماً، ولا بهجر أبيه وأُمّه، ولكنَّه كان يُريد أنْ يذبح ابنه طاعة لله. 5 أجاب رئيس الكَهَنَة: إنَّما أسألكَ هذا، ولا أطلب قتلكَ، فقل لنا: مَنْ كان ابن إبراهيم هذا؟ 6 أجاب يسوع: إنَّ غيرة شرفكَ تُوَجِّجني، ولا أقدر أنْ أسكت. 7 الحقّ أقول: إنَّ ابن إبراهيم هُو إسماعيل، الذي يجب أنْ يأتي من سلالته مسيا الموعود به إبراهيم أنْ به تتبارك كلّ قبائل الأرض. [2]

---

(1) وهذا ما قاله العهد الجديد، يُوحنا إصحاح 4 فقرة 39... قال لهم يسوع: لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم...

(2) حسب رواية إنجيل برنابا إنَّ هذا الكلام الذي نطق به عيسى (يسوع) عليه السّلام: وهُو أنّه ليس هُناك علاقة بين بني إسرائيل وإبراهيم عليه السّلام الذي يدَّعون أنّه أبيهم. وهذا الكلام هُو السّبب الرّئيسي الذي أشعل شرارة السّعي في قضيّة صلبة، ومُحاولتهم ذلك.

وهذا يجعلنا نقارن هذا بما حدث معه ﷺ من قبل اليهُود، فقد ذكر عبد الرّحمن حبنّكة الميداني عدَّة جوانب منها: (1) مُحاولة يهُود بن النضير اغتياله، وذلك بأنْ يُلقي عمرو بن جحاش بن كعب صخرة عليه ﷺ (2) قامت زينب بنت الحارث ـ زوج سلام بن مشكم أحد أحبار يهُود بني النضير ـ بتسميم شاة مشوية، وقدمتها له ﷺ (3) قام السّاحر لبيد بن الأعصم ـ كان من يهُود بني زريق ـ بسحر الرّسول ﷺ، فأثر السّحر على جسده. (مكايد يهُوديّة عبر التّاريخ، ص 107، 112-113).

في هذه الفقرات قال يسوع (عيسى عليه السّلام) بأنّ بني إسرائيل ليسوا من نسل إبراهيم "فذلك دليل على أنّكم لستم أبناء إبراهيم كما تدعون أنفسكم. 3 ولا أنتم متّحدين بذلك الرّأس الذي كان إبراهيم متّحداً به"، وهذا صحيح، فإنّ إبراهيم ـ عليه السّلام ـ هُو من ذُرِّيَّة نُوح ونُوح من ذُرِّيَّة شيث، بينما بنو إسرائيل هُم من ذُرِّيَّة مَنْ حُمل مع نُوح، وهؤلاء من ذُرِّيَّة قابيل، فلا بوجد رأس واحد يتّحد به بنو إسرائيل وإبراهيم عليه السّلام سوى آدم "أبو البشر".

## الدّليل الثّاني:

إنجيل برنابا الفصل 52

15 ولكنّي سأعود قبيل النّهاية. 16 وسيأتي معي أخنوخ وإيليا. 17 ونشهد على الأشرار الذين ستكون آخرتهم ملعونة.

في هذه الفقرات يُخبرنا عيسى عليه السّلام بأنّه سيعود في آخر الزّمان مع كُلٍّ من أخنوخ وإيليا (إدريس وإلياس) وسوف يقضي على الأشرار؛ أيْ اليهُود. وهذه العودة عودة مجازيَّة، لكنْ؛ ما هي علاقة أخنوخ وإيليا؟ وما الرّابط بين الأنبياء الثّلاثة؟

أ) عيسى عليه السّلام: وهُو بُعث إلى بني إسرائيل:

قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ .... وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾(آل عمران 45-49).

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ (الزخرف 57).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم ﴾ (الصف 6).

ب) إلياس عليه السّلام: وهُو بُعث إلى بني إسرائيل:

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴾ (الصافات 123-129).

بُعث إلياس أثناء فترة عبادة البعل عند بني إسرائيل.

جـ- إدريس عليه السّلام: بعث إلى بني شيث وبني قابيل.

قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَـٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ (مريم 56).

الرّابط بين الأنبياء الثّلاثة يجب أنْ يكون رابطاً موضوعيّاً منطقيّاً. فعيسى بُعث إلى بني إسرائيل، وكذلك إلياس بُعث إلى بني إسرائيل، والسّؤال ما هُو علاقة إدريس ببني إسرائيل؟ أثبتنا سابقاً بأنَّ إدريس قد بُعث إلى بني قابيل، وأثبتنا أنَّ بني قابيل هُم بنو إسرائيل، إذاً؛ إدريس هُو - أيضاً - بُعث إلى بني إسرائيل.

فالأنبياء الثّلاثة بُعثوا إلى بني إسرائيل، ووجدوا منهم العذاب والاضطهاد، وهم سيعودون حسب رواية إنجيل برنابا، وهذه العودة مجازيَّة؛ حيثُ إنَّ رسالة الأنبياء الثّلاثة رسالة واحدة هي الإسلام. وهذه نُبُوّة بانتصار الإسلام على اليهُوديَّة.

## الدّليل الثّالث:

إنجيل برنابا الفصل 189

17 يفاخرون بأنّهم أبناء إبراهيم، وأنَّ لهم الهيكل الجميل ملكاً. 18 لعمر الله إنّهم أولاد الشّيطان، فلذلك يُنفِّذون إرادته.

في هذه الفقرات يسخر عيسى - عليه السّلام - من اليهُود من بني إسرائيل، الذين يدَّعون أنهم أبناء إبراهيم، وأنّهم من ذُرِّيَّته.

# أدلّة العهد الجديد

## الدّليل الأوّل:

العهد الجديد يُوحنّا إصحاح 4

37... تطلبون أنْ تقتلوني؛ لأنَّ كلامي لا موضوع له فيكم. 38 أنا أتكلَّم بما رأيتُ عند أبي، وأنتم تعملون ما رأيتُ عند أبيكم. 39 أجابوا وقالوا له: أبونا إبراهيم. 40 ولكنّكم الآن تطلبون أنْ تقتلوني، وأنا إنسان قد كلَّمكم بالحقِّ الذي سمعه من الله. هذا لم يفعله إبراهيم. 41 أنتم تعملون أعمال أبيكم. فقالوا له: إنَّنا لم نُولد من زنا. لنا أبٌ واحد هُو الله. 42 فقال لهم يسوع: لو كان الله أباكم لكنتم تحبُّونني؛ لأنّي خرجتُ من قبل الله، وأتيتُ، لأنّي لم آت من نفسي، بل ذلك أرسلني. 43 لماذا لا تفهمون كلامي؟ لأنّكم لا تقدرون أنْ تسمعوا قولي. 44 أنتم من أبٍ هُو إبليس، وشهوات أبيكم تريدون أنْ تعملوا. ذاك كان قتّالاً للنّاس من البدء. [1] ولم يثبت في الحقّ؛ لأنّه ليس فيه حقّ. متى تكلَّم بالكذب، فإنّما يتكلَّم ممَّا له؛ لأنّه كذّاب، وأبو الكذب[2].

هذه الفقرات من إنجيل يُوحنّا تطابق الفقرات الواردة في إنجيل برنابا، مع بعض التّفاوت بينهما. ففيها تكذيب لادِّعاء اليهُود بأنَّ أباهم إبراهيم، وذكر عيسى عليه السّلام بأنَّ أبوهم هُو أوَّل مَنْ قَتل في الأرض؛ يقصد به قابيل. وقد سبقنا وذكرنا في أدلّة الحديث أنَّ الرّسول كذَّبهم في ادّعاء أبيهم.

---

(1) وهذا ما استشهد به عبد الرّحمن غنيم في كتابه الثّاني عن اليهُود.

(2) وهذا ما قاله إشعياء في العهد القديم إصحاح 43 فقرة "27 أبوك الأوّل أخطأ".

## الدّليل الثّاني:

العهد الجديد متّى إصحاح 23

33 أيّها الحيّات؛ أولاد الأفاعي، كيف تهربون من دينونة جهنّم؟! 34 لذلك ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكمة وكَتَبَة، فمنهم تقتلون، ومنهم تجلدون في مجامعكم، وتطردون من مدينة إلى مدينة. 35 لكي يأتي عليكم كلّ دم زكي سُفك على الأرض من دم هابيل الصّدّيق إلى دم زكريّا.

## الدّليل الثّالث:

العهد الجديد لوقا إصحاح 11

50 لكي يطلب من هذا الجيل دم جميع الأنبياء المهراق مُنْذُ إنشاء العالم. 51 من دم هابيل إلى دم زكريّا...

وقد تمّ تفسير ما ورد في متّى ولوقا عند الحديث عن أدلّة القُرآن الكريم في الدّليل الثّالث.

# أدلّة التّلمود

في أدلّة التّلمود نستشهد بما كَتَبَهُ المُؤلّفون والكُتَّاب نقلاً عن التّلمود، ونحبُّ أنْ نُوضّح أنَّ التّلمود عند اليهُود يتمُّ تقديمه وتعظيمه فوق تقديس التّوراة:

## الدّليل الأوّل:

ما أورده أسعد رزّوق: (هُناك تمييز عامّ لدى الرّبّانيّيْن بين ما يُدعون (أبناء نُوح) وبين الإسرائيليّيْن أو (بني إسرائيل) [1]، فالنُوحيُّون يقفون في كثير من الأحيان مقابل المتحدّرين من نسل أبي الآباء أو البطريرك الأوّل.[2] وفي سفْر سنهدرين [3] نتعرَّف إلى الوصايا السّبع التي أُعطيت إلى أبناء نُوح على النّحو الآتي:

1- الشّرائع الاجتماعيّة: إقامة المحاكم وممارسة العدل.
2- الامتناع عن التّجديف.
3- ألا يعبدوا الأصنام والأوثان.
4- لا تزن.
5- لا تقتلْ.
6- لا تسرقْ.
7- لا تأكل اللّحم المقطوع من حيوان على قيد الحياة.

---

(1) وهذا ما أثبته القُرآن الكريم في الآيتَيْن 2، 3 من سورة بني إسرائيل (الإسراء).

(2) يُشار للآباء أحياناً بأنّهم "البطارقة"، وهي الكلمة الإنجليزية (باتربارك)، وهي من اليونانيّة (باتربارركا)، (باتر) بمعنى (أب)، و (باتريا) بمعنى (عائلة)، و (أركين) بمعنى (يحكم)، وتشير كلمة (الآباء) في الكُتُب اليهُوديّة إلى آباء اليهُود: إبراهيم وإسحاق ويعقُوب. (موسوعة اليهُود واليهُوديّة والصّهيونيّة، مُجلّد 4، ص130).

(3) سنهدرين فصل في التّلمود خاصّ بالمحاكم (فضح التّلمود، الأب آي بي براناتيس): (56 أ، ص 381، 382).

.... وخلاص أبناء نُوح يعتمد على مُراعاتهم إيَّاها... اليهُوديَّة تنطوي على نظرتَيْن في آن واحد معاً: نظرة قوميَّة خُصُوصيَّة إلى الحياة، ونظرة إنسانيَّة جامعة، والمشكلة في موقف اليهُود من الأمم تنبع من تقابل هاتَيْن النّظرتَيْن وتعارضهما في كثير من الأحيان؛ لأنَّ النّظرة اليهُوديَّة في خُصُوصيَّتها تضع اليهُود في كفَّة مُستقلَّة ومُنفصلة عن الغير، وتوقَّف عليهم شريعة دينيَّة خاصَّة بهم وحدهم، ودون سواهم. فالتّلمود يتحدَّث عن (أبناء نُوح) و(الوثنيِّيْن) في نغمة واحدة ... كلّ وصيَّة من الوصايا التي أُعطيت إلى أبناء نُوح وتكرّرت في سيناء تنطبق وتصدق على الطّرفَيْن: الوثنيِّيْن والإسرائيليِّيْن. أمَّا الوصايا المعطاة لأبناء نُوح دون تكرارها في سيناء؛ تصدق على الإسرائيليِّيْن دون النُّوحيِّيْن. ومن الواضح أنَّ هذه القاعدة لا تخلو من محاباة الإسرائيليِّيْن؛ إذْ تعتبر التّكرار في سيناء دلالة لجعل الوصيَّة المُعيَّنة وقفاً على الإسرائيليِّيْن دون سواهم. فالغرض الأساسي هُو الإبقاء على التّمييز بين اليهُود وغير اليهُود. (1)

أعتقد أنَّ ما قيل واضح، ولا يحتاج إلى تعليق. فهُناك في التّلمود تفريق كبير وواضح بين أبناء نُوح وبين الإسرائيليِّيْن.

## الدّليل الثّاني:

ما أورده يُوسُف نصر الله في ترجمته لكتاب (شارل لوران) في حادثة قتل الأب تُوما وخادمه:

سنهدرين:ص 75

كُلُّ مَنْ كان خارجاً عن الدّيانة اليهُوديَّة يُسمَّى (ولد نُوح)؛ لأنَّ بني إسرائيل انفصلوا عن هؤلاء القوم، وآمنوا بالله من وقت ظُهُور إبراهيم لغاية إسرائيل (2) ويُقتَل الأمي من أولاد نُوح على يد ديَّان واحد، وشهادة شاهد واحد، ولو كان قريباً له، ويُقتَل أيضاً إذا ضرب امرأة حاملاً، وقتل حملها، وأمَّا الإسرائيلي؛ فلا يُقتل لذلك، بل يدفع دية الولد.

---

(1) التّلمود والصّهيونيَّة، ص247، 248.

(2) (المقصود لغاية يعقُوب).

سنهدرين: ص71

إذا سبَّ اسمَ الجلالة أحدُ أولاد نُوح [1]، ثُمَّ دخل في دين اليهُود عُوفي من القتل، وكذلك الأمر بالنسبة لِمَنْ قتل آخر، أو زنى بامرأة من أبناء طائفته. وأمَّا مَنْ قتل يهُوديّاً، أو زنى بامرأة يهُوديَّة؛ فيستحقّ الموت بدون رحمة.

عابودة زاره: [2]

ص 35 يُقتَل أبناء نُوح إذا سرقوا، ولو شيئاً يساوي فلساً واحداً؛ لأنَّهم خالفوا إحدى الوصايا التي أعطاها الله لهم، ولا يُعفى من القتل مَنْ ردَّ منهم الأشياء المسروقة؛ لأن الله لا يغفر بالرّدّ سوى ذنب الإسرائيليِّين. [3]

## الدّليل الثّالث:

ومـا أورده أ. د عابد توفيق الهاشمي في كتاب فضيحة التّلمود: (أنَّ أولاد إبراهيم هُم الإسرائيليِّين، بينما أولاد نُوح ليسوا سوى شُعُوب الأرض) ص 76.

وأنَّ أولاد نُوح لم يسيروا على وصاياه، فاستحقّوا جميعاً أنْ يحرمهم اليهُود حقَّ امتلاك أيِّ شيء (سيقوم الرّبُّ، ويقيس الأرض، ويجعل عَبَدَةَ الأصنام تحت يد إسرائيل، إنَّ الله سيرى وصايا أبناء نُوح السّبع، وبما أنَّهم لم يسيروا بموجبها، فسيغضب عليهم، ويسلم جميع ممتلكاتهم إلى اليهُود) ص77.

---

(1) ذكر المُحقّق عبد الوهاب طويلة لكتاب بذل المجهُود في إفحام اليهُود: وجاء في اللاّويّين (24/ 16) (ومن جوف على اسم الرّب فإنَّه يُقتل: يرجمه كلّ الجماعة رجماً. الغريب كالوطني عندما يجدف على الاسم يُقتَل) ص99. السّؤال هُنا مَنْ هُو الغريب؟ ومَنْ هُو الوطني؟ هل الغريب (ولد نُوح) والوطني الإسرائيلي؟!

(2) عابوده زاره: فصل في التّلمود خاصّ بالآباء، (فضح التّلمود).

(3) الكنز المرصود في قواعد التّلمود، ص 152، 154.

## الدّليل الرّابع:

ما أورده صالح محمود صالح:

كومارات كوماه: ص 39

إنَّ الله حلَّل أموال باقي الأمم لبني إسرائيل لمَّا رآهم قد خالفوا السّبع وصايا المختصَّة [1] بعبادة الأوثان والزّنا والقتل والسّرقة وأكل لحم الحيوانات الغير مذبوحة وخصاء الإنسان وإيلاد الحيوانات. [2]

إنَّ هذه الفقرة الأخيرة تُذكِّرنا بقوله تعالى: ﴿ ۞ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ (آل عمران 75).

والأُميُّون عند بني إسرائيل هُم بنو نُوح؛ كما في الفقرة السّابقة.

(1) المقصود الوصايا السّبع لأبناء نُوح.

(2) الإنسانيّة والصّهيونيّة والتّلمود، ص56.

# أدلّة مخطوطات قمران، البحر الميِّت

ورد اسم إسرائيل في مخطوطات البحر الميّت كثيراً، إلّا أنّه ورد في إحدى المخطوطات على أنّـه اسم من أسماء أحد رُؤساء الملائكة:

التّوراة المنحول اخنوخ

4 لمّا كان البشر يهلكون على الأرض، صعد صراخ إلى السّموات، عنـدها ألقـى ميخائيـل Michel وسرائيـل Sariel [E.S.A] [1] أورئيـل. Ouriel] ورفائيل Raphael وجبرائيل Gabriel نضرة من المعبد السّماوي... [2].

القول بأنّ اسم إسرائيل هُو اسم لأحد رُؤساء الملائكة قول لم يرد في العهد القـديم ولا الجديـد ولا حتّى في التّوراة السّامريّة أو إنجيل برنابا، ويُذكّرنا هذا القول بما قاله ابـن منظـور؛ حيثُ قـال في مادّتَي (سرأل) و (سرأن) إسرائيل وإسرائين: زعم يعقُوب أنّه بدل اسم مَلَكٍ.

في هذا النّصّ نجد رواية جديدة عن اسم إسرائيل، وعن مصدر هذا الاسم، ويُفهَـم مـن هـذا النّصُّ أيضاً بأنّ اسم إسرائيل قديم جدّاً جدّاً؛ إذ هُو اسم لأحد الملائكة. وعنـد البحـث والتّـدقيق في مخطوطات البحر الميّت، فإنّنا لا نجد قصّة المصارعة بين يعقُوب والإله مطلقاً؛ أيْ أنّ مخطوطات البحر الميّت تنفي قصّة المصارعة، وهذا عكس ما حاولت إثباته التّوراة السّامريّة وتوراة العهـد القـديم، لكنّنـا نجـد سبباً آخر لتسمية يعقُوب باسم إسرائيل، وهي حادثة بناء بيت إيل.

التّوراة المنحول الخمسينيّات

رُؤيا جديدة لبيت إيل

16 وفي اللّيلة التالية، في اليوم الثّاني والعشرين من هذا الشّهر، قـرّر يعقُـوب أنْ يبني (في) في هـذا الموضـع، وأنْ يُسوِّر المساحة المشكوفة، وأنْ يُقدّسـها، وأنْ

---

(1) E النّسخة الإثيوبيّة، S مقاطع من النّبـل (المخطوط الأسقفي)، A مخطوط أخميم اليوناني.

(2) التّوراة كتابات ما بين العهدَين، ج2، التّوراة المنحول، ص32.

يجعلها مُقدَّسة للأبد، له ولأبنائه من بعده. 17 وظهر له الرَّبُّ في هذه اللَّيلة، وقال له: "اسمكَ لن يكون بعد الآن يعقُوب، بل ستُسمَّى إسرائيل" (1).

مخطوطات البحر الميِّت لم تذكر قصَّة الصِّراع، وذكرتْ هذا السَّبب الوحيد في تسمية يعقُوب بإسرائيل، بينما العهد القديم ذكر قصَّة الصِّراع، ثُمَّ أضاف إليها هذه الحادثة. وأصبح العهد القديم بذلك يذكر لنا سببَيْن في تسميَّة يعقُوب باسم (إسرائيل).

العهد القديم التّكوين 1 صحاح 35

... 6 فأتى يعقُوب إلى لوز التي في أرض كنعان وهي بيت إيل... 9 وظهر الله ليعقُوب أيضاً حين جاء من فران آرام، وباركه. 10 وقال له الله: اسمكَ يعقُوب. لا يُدعى فيها بعد يعقُوب، بل يكون اسمكَ إسرائيل، فدُعي اسمه إسرائيل.

وذكرت مخطوطات البحر الميِّت (مخطوطات قمران) أنَّ هُناك عدَّة أشخاص حملوا اسم إسرائيل قبل وبعد يعقُوب عليه السّلام، منهم مَنْ عاش فيما بين آدم ونُوح، ومنهم فيما بين يعقُوب ومُوسى.

أ ـ كتاب الآثار التّوراتيَّة الشّيوخ من آدم إلى نُوح.

i... 12 وتلكم هي أسماء الرّجال: لايتا Laeta، وماتا Mata، وسشار Cechar، ومليه Melie، وسرئيل Suriel (2).

ب - كتاب الآثار التّوراتيَّة من أبراهام إلى الإقامة في مصر.

viii...11 وتلكم هي أسماء أبناء إسرائيل الذين نزلوا إلى مصر مع يعقُوب...13 وأبناء غات هُم سرئيل وسوا وفيسوي وموفا وسار أختهم (3).

أيْ أنَّ هُناك أشخاصاً كانوا يحملون اسم إسرائيل، ولكنَّنا لا نجد مثل هذه المعلومة في العهد القديم أو العهد الجديد.

---

(1) التّوراة المنحول كتابات ما بين العهدَيْن، ج2، التّوراة المنحول، ص236.

(2) التّوراة كتابات ما بين العهدَيْن، ج 3، التّوراة المنحول، ص 193.

(3) التّوراة كتابات ما بين العهدَيْن، ج 3، التّوراة المنحول، ص 202، 203.

# أدلّة وثائق إيبلا

ممّا كتبته دار الأوائل عن كتاب الحلقة المفقودة في سلسلة الحضارات القديمة للجزيرة العَرَبيَّة التالي:
وثائق إيبلا المُكتشفة في سوريَّة تُبيِّن أنَّ إسرائيل ليس هُو يعقُوب، وأنَّ بني إسرائيل ليسوا هُم أولاده، أو مَنْ تكاثروا عنه، وهذا ما تُشير إليه آيات القُرآن الكريم.

ويُشير مُؤلِّف الكتاب علي سكيف في علاقة إسرائيل بيعقُوب بقوله:... فقد ظهر في النّقوش التي اكتُشفت في إيبلا والتي تعود إلى القرن (24 ق.م) وورود اسمَيْ (اسمع إيل) و (إسرائيل) خلافاً لما ورد في التّوراة (سفْر الخُرُوج)[1] أنَّ هذا الاسم ظاهر في القرن (18 ق.م)، وهُو تاريخ وُجُود يعقُوب.

وقد أكّد ذلك الدّكتور عفيف بهنسي المدير العامّ السّابق لمتحف دمشق[2].

وعند العودة إلى د. عفيف بهنسي في كتابه وثائق إيبلا نجده قد كَتَبَ تحت عُنوان (علاقة وثائق إيبلا بالعهد القديم):

إنَّ علاقة إيبلا بالتّاريخ القديم أساسيَّة، وإنَّ وثائق إيبلا كوثائق ماري وأوغاريت هي الأساس في التّعريف على تاريخ هذه المنطقة. ومن المؤسف أنَّ الرّوايّات والأحداث الهامَّة التي وردت في رَقْم وكتابات هذه المواقع لم يذكرها التّوراة على أهمِّيَّتها، بل إنَّ هذه الممالك الهامَّة لم تُذكَر إطلاقاً، بل ذُكرت مُدُن صغيرة لم تثبت حتَّى الآن أهمِّيَّتها التّاريخيَّة الحضاريَّة.

ومع ذلك؛ فإنَّ كُتَّاب التّوراة قد استوحوا من أحداث وأساطير وأخبار المنطقة واكتشافات إيبلا وماري وأوغاريت.

---

(1) ليس سفْر الخُرُوج، بل التكوين.

(2) الحلقة المفقودة في سلسلة الحضارات القديمة للجزيرة العَرَبية، ص89.

إنَّ ورود أسماء إبراهيم وإسماعيل وإسرائيل يُؤكِّد أنَّ الوحدانيَّة قديمة جدّاً، وسابقة لتاريخ إبراهيم الخليل في القرن 19 ق.م، وأنَّ (إيل) هُو الرّبّ الواحد الذي عُبد مُنْذُ البداية، والدّليل على ذلك اسم اسمع إيل وإسرائيل (عبد الله)، وهذان الاسمان وخلاف لما ورد في التّوراة (سفر الخُرُوج)[1] لم يظهرا في القرن 18 ق.م، بل هما معروفان مُنْذُ القرن (24 ق.م) كما تُؤكِّد ألواح إيبلا[2].

ويُضيف إلى تلك الحقائق فراس السّوّاح؛ حيثُ يقول: وفيما يتعلَّق بمُقارنة أسماء الآباء بنظائرها من الأسماء الآموريَّة في عصر البرونز الوسيط، فقد لاحظ النُّقَّاد ـ أيضاً ـ أنَّ هذه الأسماء وأشباهها كانت شائعة الاستخدام في جميع أنحاء الشّرق القديم، وعلى فترات تتدرَّج من عصر البرونز الوسيط إلى القرن الثّالث قبل الميلاد. فالاسم أبرام مُوثَّق في أرشيف إيبلا، الذي يعود إلى عام (2400 ق.م)؛ أيْ قبل 500 سنة من بداية عصر البرونز الوسيط. وقد ورد بصيغة أبراموا (أب – را – مو)، وإسماعيل (أش – ما – إيل)، وإسرائيل (اش – را – إيل)، وميكائيل (مي – كا – إيل). ويستمرُّ ظُهُور الاسم إبراهيم على شكل أبرام أو أيبر حتَّى نهاية عصر البرونز الأخير عام 1200 ق.م.

أمَّا الأسماء إسحاق ويعقُوب ويُوسُف؛ فإنَّها تنتمي إلى زمرة آموريَّة من الأسماء الواسعة الانتشار في جميع أنحاء الشّرق القديم خلال عصر البرونز الوسيط، كما أنَّنا نجدها مستعملة في أوغاريت خلال عصر البرونز الأخير. وهُناك من الأسماء القريبة إلى يعقُوب، بقي مُتداولاً حتَّى القرن الثّالث قبل الميلاد؛ حيثُ نجده في بعض النّقوش التّدمريَّة.[3]

---

(1) ليس سفر الخُرُوج، بل التكوين.

(2) وثائق إيبلا، ص89ـ91.

(3) آرام دمشق وإسرائيل، ص50.

# أدلّة التّاريخ المصري

لما للتّاريخ من أهمّيّة في الفصل بين الموضوعات الشّائكة فضّلنا أنْ يكون في هذا البحث بعض الأدلّة منه لتكمل ما قد يكون فراغاً في البحث، ولكي تُساند وتُدعّم ما توصّلنا إليه سابقاً.

وكان التّاريخ المصري له نصيب الأسد والنّقطة المحوريّة؛ لأن مصر تُعدُّ من أهمّ محطّات بني إسرائيل، وكُلُّ كُتُب التّاريخ أو كُتُب الدّيانة اليهُوديّة تذكر تاريخ بني إسرائيل وبدايته أنّه كان في مصر. ولقد ذُكرت مصر في القُرآن الكريم 5 مرّات، مرّتَيْن عند الحديث عن يُوسُف عليه السّلام، وثلاث مرّات عند الحديث عن مُوسى وبني إسرائيل. وهذه المواضع هي:

1ـ قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ (يوسف 21).

2ـ قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ (يوسف 99).

3 ـ قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾ (البقرة 61).

4ـ قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس 87).

5ـ قال تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (الزخرف 51).

فإذا أردنا البحث عن تاريخ بني إسرائيل، فيجب البحث عنهم في تاريخ مصر، لكـي نتعـرَّف إليهم وعلى نسبهم وعلاقاتهم. ونُحبُّ أنْ نضيف هذه الملاحظة ألا وهي أنَّه أصـبحت كلمـة عـبراني ويهُودي مُرادفة لبني إسرائيل عند بعض المُؤرِّخين، فإذا ذُكر أحد اللّفظَيْن الـسّابقَيْن فهُـو يُقـصَد بـه جنس مُعيَّن دون غيره.

# مصر وبنو إسرائيل

في البدء؛ نعرض هُنا لأسطورة مصريَّة ذات علاقة بالبحث، ومنها سنبدأ بسرد الإثباتات والبراهين، وهذه الأسطورة تُوافق ما هُو عند أهل الكتاب، وكذلك العقائد الكنعانيَّة وما هُو عندنا بالطَّبع، واختصارها هي أنَّه كان هُناك الأب والأمّ، وقد أنجبا هؤلاء الأخوة (أوزيريس) وأخته (إيزيس) و (ست) وأخته (نفتيس). وبعدما تزوَّج (أوزيريس) من أخته (إيزيس) قام أخوه (ست) بقتله، و(ست) تزوَّج بأخته (نفتيس)، ووُجد بعد ذلك أخوهم (شو) وأخته (تفنوت).

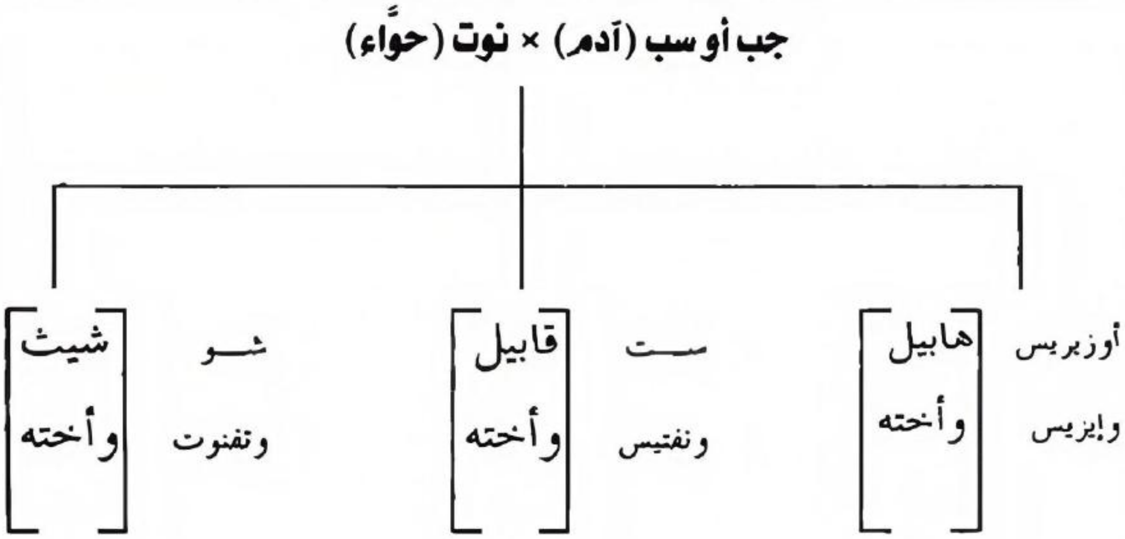


عن الدّيانة الفرعونيَّة، السّير ولس بدج
والدّيانة الفرعونيَّة القديمة، يارسلاف تشرني

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

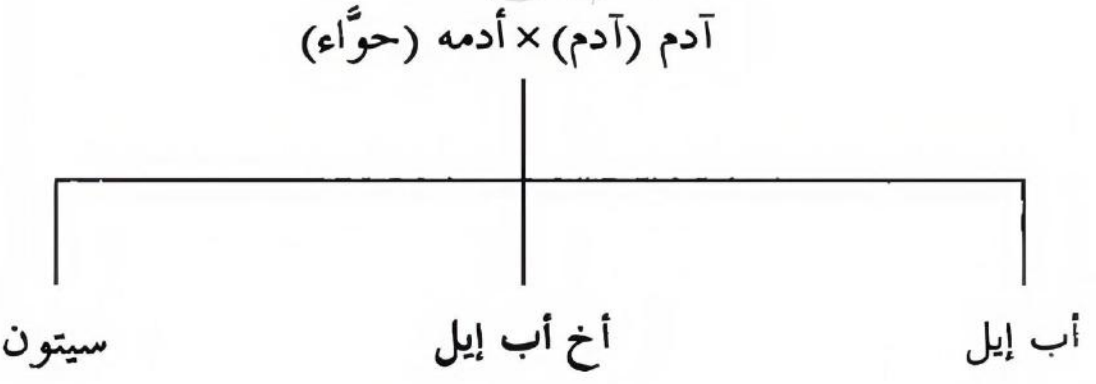


عن المعتقدات الكنعانيَّة، خزعل الماجدي

سنستشهد هُنا ببعض ما قاله المُؤرِّخون عن فترة وُجُود بني إسرائيل في مصر، ومنهم عبد المحسن الخشاب في كتابه تاريخ اليهُود بمصر؛ حيثُ قال:

"... كان اليهُود - فعلاً - في ضيق شديد من أمرهم، فهم - قبل رسالة مُوسى - يخالفون المصريِّيْن في عبادتهم، فبينما المصريُّون يعبدون أوزيرس وإيزيس وحورس كانوا هُم من عبدة (ست)....". [1]

ويُضيف تحت عُنوان أصل اليهُود في التّقاليد المصريّة:

"صدق الله العظيم إذْ يقول لهم السَّيِّد المسيح (يوحنَّا 8/ 44) «أنتم من أب هُو إبليس، وشهوات أبيكم تريدون أنْ تعملوا، ذاك كان قتالاً للناس من البدء، ولم يثبت في الحقِّ؛ لأنَّه ليس فيه حقّ متى يتكلَّم الكذب فإنَّما يتكلَّم بما له؛ لأنَّه كذَّاب وأبو الكذَّابين». هكذا كان (ست) (تيفون)؛ أيْ الشّيطان عند المصريِّيْن. وكان العبرانيُّون الإسرائيليُّون من عَبَدَته المُتعصِّبين، فقد اختاروه إلهاً وجدوا فيه – على خلاف غالبيَّة المصريِّيْن – مَثَلهم الأعلى، ثُمَّ إنهم بسبب ما رآه وعرفه المصريُّون فيهم من خُلُق وطباع اختاروه أباً للعبرانيِّيْن مُنْذُ وُجُودهم بمصر. وظلَّ هؤلاء العبرانيُّون، ثُمَّ اليهُود بعدهم في مصر وأبناؤهم وأحفادهم أجيالاً تلو أجيال، وهم كما عرفهم المصريُّون على خلقهم هذه ماضون، وعلى طبعهم مُحافظون، وعلى تقاليد عُنصُريَّتهم قائمون، وشهدت بذلك الكُتُب السّماويّة. أدخل المصريُّون هؤلاء العبرانيِّيْن واليهُود في ذُرِّيَّة (ست)، وجعلوه أباً لهم في خُرافاتهم الدّينيّة، وهُو الإله الذي يرمز إلى الجدب والقحل والصّحراء والرّمال الحارقة والبحر الذي يبتلع ماء النّيل، ويفسد الأرض، وهُو الذي قتل أخاه أوزيريس رمز المياه المخصبة للأرض، فكان كما ورد في كلام السَّيِّد المسيح "قتالاً للناس" ... فالواقع - إذنْ - أنَّ المصريِّيْن بعد أنْ عرفوا بني إسرائيل (العبرانيِّيْن) في معاملتهم معهم تمام المعرفة، وخبروا أخلاقهم وشذوذ طباعهم وعُنصُريّتهم التي انطوت عليها نُفُوسهم، ألحقوهم بأبناء من أب هُو (ست) إله الشّرّ؛ أيْ الإله العدو في عقيدتهم تماماً كما قال لهم السَّيِّد المسيح بعد أكثر من عشرين قرناً «أنتم من أب هُو إبليس»، ثُمَّ يُضيف إلى إبليس هذا قوله.... «ذاك كان قتالاً للناس، وأنَّه لا يعرف الحقّ وكذّاب أبو الكذّابين»... وأصبح بنو إسرائيل في مصر

---

(1) تاريخ اليهُود القديم بمصر، ص 11.

أولاداً لـ (ست) الذي يُسمِّيه اليونان (تيفون)؛ أيْ أنَّهم ينحدرون بطبيعتهم من أصل شرِّير، فهم كذَّابون، ليسوا على حقّ، أنانيُّون، منطوون بطبيعتهم، عُنصُريُّون في حياتهم المنعزلة، لا يحبُّون خيراً كأبيهم [1]... فالبحر عندهم [المصريُّون] صورة من صورة (ست) إله الشرّ، الذي كان معبود السّاميِّين في هذه المنطقة التي يعيشون فيها شرق مصر، وقد كان ملك الهكسوس يُكنُّ له من التّقديس قدراً عظيماً، وكان حلمه أنْ يفرض عبادته على مصر جمعاء... وهذا الإله هُو أبو اليهُود الذي نسبهم المصريُّون إليه [2]... أنَّ يُوسُف كشخص بارز وله شأن فعَّال في الحُكْم كان في زمرة [عهد] الهكسوس الذين عبدوا (ست).[3]

وممَّن تحدَّث عن (ست) و (أوزيريس) مُراد محمود الدّش، ونأخذ جُزءاً ممَّا قاله:

"... أمَّا التّاريخ المصري؛ فيؤكِّد من خلال اللّوحة التّذكاريَّة بُعيد الأربعمائة السّنة التي مرَّت على تتويج جدِّه الأكبر نبتي ملكاً على دولة الهكسوس الذي بدأ عبادة (ست) في مصر: «... (ست) عظيم القوَّة ابن الشّمس المحبوب نبتي المحبوب من رع حور اختي الذي سيبقى مخلدا». [4]

وممَّن تحدَّث عن (ست) بإسهاب، وكَتَبَ بحثاً قيِّماً فيه د. علي فهمي خشيم في كتابه آلهة مصر العَرَبيَّة، وتحت عُنوان س ت قال:

"..في عصر الهكسوس كان (ست) شيخ الأرباب وزعيمها، وفي عهد الأُسرتَيْن التّاسعة عشرة والعشرين كان راعياً للرعامسة، ومن هُنا؛ كثر لقب (ستي).. إنَّها صفات وتاريخ (الشّيطان) كان ملاكاً، ثُمَّ صار رمزاً للشّرّ. [5]

وفي جميع الدّيانات نجد الواقعة ذاتها: التّحوُّل من النّورانيَّة إلى النّاريَّة.. هذه - إذنْ - وقعة إبليس بذاتها، والذي يُسمَّى (الشّيطان).

---

(1) تاريخ اليهُود القديم بمصر، ص 37، 38.

(2) تاريخ اليهُود القديم بمصر، ص 47.

(3) تاريخ اليهُود القديم بمصر، ص100.

(4) صخور الفيُّوم تكشف معجزات الأنبياء، ص128، 129.

(5) يقصد أنَّ صفاته كانت صفات الملائكة، والكُلُّ يعرف أنَّ إبليس لم يكن من الملائكة: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ ﴾ (الكهف 050).

ويُضيف المُؤلّف في الهامش أحـد ألقاب (ست) المعروفة في المصريّة: (م ر)؛ أيْ الملعون كما ترجمها "بدج في مُعجمه، وفي العَرَبيَّة يُلقَّب [إبليس] بـأبي مـرَّة" [1] "... أليس صواباً أنْ تتعاقب الشّين المصريَّة مع السّين ومبدلاتها، وتتعاقب الطّاء مع التّاء ومبدلاتها، فتكون (س ت) = (ش ط)؟! ويُؤيّد ما نذهب إليه ما يذكره (القدّيس أفرام) من أنَّ عبادة (ست) كانت لا تـزال موجودة في هليوبوليس (مدينة الشّمس = عين شمس) في مصر في القرن الرّابع بعد الميلاد تحت اسم (شيطا) أو (شيضا) أو (شيذا)، حسبما يورده (وينرايت)، ويُسمِّيها (ديانة الشّياطين) ممَّا يُؤكّد أنَّ هذه الصّيغة كلّها ليست سوى العَرَبيَّة (شـط) – (شـاط، يـشيط، شـوط، شـيط) التـي اشـتقّت منهـا (شيطان). وماذا عن النّون التي أُضيفت في آخر اسم الشّيطان؟! لقد علّلت بأنّها على وزن (فعـلان)، وقدّمت أمثلة لـذلك ممَّـا هُـو كثير في العَرَبيَّـة: (نعـم × نعـمان. زيـد × زيـدان. فـيض × فيـضان. طوف × طوفان... إلخ). وهي ليست أصليَّة كـما تبـيَّن... خُلاصـة القـول إنَّ (سـت) معبـود مـصر القديمة، ممثّل الشّرور كلّها بحسب تطوُّره في الأسطورة، وبحـسب التّحليـل اللّغـوي، لـيس سـوى (الشّيطان) في العبريَّة من حيثُ الذّات والصّفات. [2]

"... ونفهم من خلال السّرد التّوراتي أنّه كان لآدم ثلاثة أبناء: (هابيل) و(قابيـل) و (شـيث). أمّا الأوّل؛ فقد قتله (قابيل) « وهُو ما يُذكِّرنا بقتل المعبود (ست) لأخيه (أوزيـريس)، وإن اختلفـت الأدوار»، وأمّا الثّاني؛ فقد نسل له نسل هَلَكَ ـ فيما يظهر ـ في الطّوفان أيّام نُوح، وأمّا الثّالث؛ فهُو جَدُّ نُوح أبي البشر الثّاني، وهُو في التّوراة مُجرَّد ولد لآدم عُوِّض به عن فقـده (هابيـل) ابنـه الأثـير.. وكـما حَدَثَ للآلة المصري (ست) حَدَثَ لـ (شيث) أو (شيث) التّوراتي بطريقة ما، فقد كان الأوّل معبـوداً خيّراً، ثُمَّ تحوَّل إلى رمز للشّرّ، كذلك الثّاني، بدأ أحد أبناء (آدم)، ومنه نسل البشر والأنبياء، ثُمَّ انقلب نسله (أو فريق من نسله على الأقلّ) رمز للشّرّ، فمثلاً في (المؤابيِّيْن) أعداء اليهُود الذين أسموهم (بني شيث) « وفي التّرجمة الإنجليزيَّة Sons of sheth، أمّا في التّرجمة العَرَبيَّة؛ فهم (بنو الوغى)؛ أيْ أولاد الحرب وأصحاب القتال، أو أبناء الشّرّ – ترجمة للعبرانيَّة Sheth). فكان اسـم (شـيث) صـار يعنـي

---

(1) آلهة مصر العَرَبية، ص429، 430 المجلّد الأوّل.

(2) آلهة مصر العَرَبية، ص 436، 137، المجلّد الأوّل.

(الشّرّ) بعد أنْ كان يفيد الخير. وهذا بالضّبط ما جرى للمعبود (ست)... أمّا بالنسبة للتّوراة؛ فإنّ المشكلة تكمن في وُجود أخ ثالث إلى جانب الآخرَيْن المتخاصمَيْن، وهُو (قابيل). ولكنّنا نبدي ملاحظتَيْن: الأُولى أنّ قابيل «عرف امرأته» ووُلد له أولاد ينتهون عند (لامك)، وولد (شيث) أولاداً ينتهون عن (لامك) أيضاً. وبينما ينتهي ذكْر نسل (قابيل) يستمرّ نسل (شيث) في (نُوح) ابن (ملاك) (المُشترك) هذا. والملاحظة الثّانية تكمن في اختلاف رواية التّوراة عن ولادة (شيث)، فهُو مرّة أوّل الأبناء، وأُخرى ثالثهم. فهل كان (قابيل) هُو نفسه (شيث)؟!...[1]

هُنا خَلَطَ د. علي فهمي خشيم قابيل بشيث، وذكر أنّهما شخص واحد، لكنّ الصّورة الأوضح هي ما يلي:

1ـ يقول إريك هورنونج: اوزيريس... وتشير رموزه الخاصّة والعصا المعقوفة والمذبّة إلى روابط قديمة بالملكيّة والرّعي.[2]

إذاً؛ أوزيريس كانت له علاقة بالملكيّة والرّعي، وهذا ما يهمُّنا، فإنّ هابيل كان راعياً، وهذا ما يجعلنا نربط بين الاسمَيْن، بالإضافة لكونه المفعول به؛ أيْ المقتول، فـ(اوزيريس) هُو (هابيل).

2ـ يقول إريك هورنونج: ست... يرتبط بالبلاد الأجنبيّة.[3]

إذاً؛ يرتبط (ست) بالبلاد الأجنبيّة، وهُناك علاقة بين ست والهكسوس، وكذلك بني إسرائيل، وهُو ما سنتناوله بالتّفصيل فيما بعد، لكنْ (ست) هُو قاتل (أوزيريس)، فهُو ـ إذاً ـ (قابيل) قاتل (هابيل).

3ـ يقول مُراد محمود الدّش: «آتوم (آدم) وولده شو (شيث)»[4].

إذاً؛ (شو) هُو (شيث) كما ذكر مُراد محمود الدّش. فإنّ آتوم كما يقول السّير ولس بدج (صانع الآلهة) و (صانع البشر)[5]، فأتوم هُو (آدم) الذي ابنه (شو) = (وشيث) الذي خرج منه البشر.

---

(1) آلهة مصر العَرَبية، ص 446، 447، المجلّد الأوّل.

(2) ديانة مصر الفرعونيّة، ص285.

(3) ديانة مصر الفرعونيّة، ص287.

(4) صخور الفيُّوم تكشف معجزات الأنبياء، ص33.

(5) الدّيانة الفرعونيّة القديمة، ص125.

ممّا سبق نحصل على الآتي:

1- أنَّ (ست) هُو (قابيل) قاتل (أوزيريس) (هابيل).

2- أنَّ (ست) كان معبوداً لبني إسرائيل، ممّا يؤكّد ما توصّلنا إليه سابقاً بأنّهم من ذُرّيّة قابيل.

3- أنَّ (ست) معبود الهكسوس.

ولعلّه من المناسب هنا أنْ نختم من سفر التّكوين الأوني المصري الّذي أورده سيّد محمود القمني في كتابه أوزيريس وعقيدة الخلود في مصر القديمة: (في البدء كان (نون Noun) وُجُوداً وحيداً في الكون... ففتق الأرض قسمَيْن عظيمَيْن، بعد أنْ كانت رتقاً، ورفع القسم الأعلى سماء أصبحت هي الإلهة نوت، ثُمَّ تزاوج نوت وجب؛ ليُنجبا أربعة من الأبناء، اثنَيْن ذكور؛ هما (أوزير [يس]) و(ست)، واثنتَيْن من هما (إيز[يس]) و (نفتيس). رعيلاً أوّل يجمع بين الألوهيّة والبشريّة، كانت مهمّتهم الكبرى التي قدّرها لهم أبوهم رع آتوم [إله مصر] هي تعمير الأرض بالبشريّة، والوسيلة أنْ يتزوّج أوزير [يس] من أخته إيز [يس]، وأنْ يتزوّج ست من أخته نفتيس ليُنجبوا كلّ الخلق... " [1].

وجدنا مَنْ أيّد فكرة أنَّ ست هُو (قابيل)، وأنَّ أوزيريس هُو هابيل، فقد قال هشام كمال عبد الحميد تحت عُنوان قصّة ست (هابيل) وأوزيريس(هابيل) وحورس في النُّصُوص الفرعونيَّة: تحكي القصّة بداية تاريخ البشريّة، وأوّل صراع نشأ على الأرض، فتقول: « إنَّ الإله الأكبر "رع" (الله) أنجب (خلق) الإلهين شو وتفنوت، وهما الهواء والماء (والحقيقة أنّهما الدّخان والماء، الذي خلق الله منهما ـ بعد ذلك ـ السّماوات والأرض والنّجوم والكواكب، ومنها كوكب الارض)، ومن تزاوج شو وتفنوت خُلق كب أو جب إله أو حاكم الأرض (آدم الذي خُلق من آديم الأرض أو ترابها أو مادّة كوكبها، وهُو الكب أو الجب عند الفراعنة القدماء) وزوجته الآلهة نوت أو نوة (حوّاء)، وأنجب جب ونوة أربعة أبناء؛ وهم:

ست وأخته التّوأم التي وُلدت معه في بطن واحدة نفتيس، وبوُجُودهما بدأت البشريّة.

..... وأوعز صدر ست (قابيل) من أوزيريس (هابيل) لسبب ما لم يُذكَر بالنُّصُوص، ....فتحايل ست لقتل أخيه،....ونجح ـ في النّهاية ـ في قتل أخيه أوزيريس [2].

---

(1) أوزيريس وعقيد الخلود في مصر القديمة، 79، 80.

(2) عصر المسيح الدّجّال، ص 42،43.

# ست والهكسوس

(ست) هُو (قابيل) الذي عبده بنـو إسرائيـل فـترة مـن الزّمـان في مـصر، وكـذلك اعتـبرهم المصريُّون من ذُرِّيَّته، لكنْ: ما هي علاقة الهكسوس بالمعبود (ست)؟

نضيف إلى ما ذكره سابقاً كلٌّ من (عبد المحسن الخشَّاب ومراد محمود الدّش وعلي فهمي خشيم) التّالي:

1ـ يقول مترجم كتاب الموتى الفرعوني د. فيليب عطيَّـة في الملحـق تحت عُنـوان: أهـمّ الآلهـة المصريَّة المرتبطة بكتاب الموتى:

(ست... وهُو في كتاب الموتى ـ تارةً ـ إله تنهال عليه اللّعنات، وتارةً إله يجب مداهنته وتجنُّب شرِّه، وهُو ـ في بعض فترات التّاريخ المصري ـ يُحدث انقلاباً كلّ حين ومين، فنجـد إحـدى الأُسرات الفرعونيَّة تتحمس له، وتنتسب إليه... ثُمَّ هُو ـ أخيراً ـ معبود (الهكسوس) المفـضَّل، الـذي أطلقـوا عليه اسم (سوتخ).. [1].

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

2ـ يقول أحمد عبد الحميد يُوسُف: (.. وأكبر الظَّنُّ أنَّهم [بنو إسرائيل] عبدوا مع الهكسبوس المعبود المصري المعروف (ست) أو (سوتخ)؛ إذْ قدَّسه الهكسوس...) [2].

3ـ يقول نيقولا جريمال: (ودشَّن الهكسوس أسلوباً جديداً في الحُكْم... فأقـاموا ديانـة رسـميَّة ــ عـلى الطّريقـة المـصريَّة ـ تمحـورت حـوّل الإلـه (سـت) في [مدينـة] (أواريـس)، وهُـو غـريم (أوزيريس)...[3].

---

(1) كتاب الموتى الفرعوني، ص253، 245.

(2) مصر في القُرآن والسُّنَّة، ص76.

(3) تاريخ مصر القديمة، ص242.

4ـ يقول أحمد فخري:

(أمّا ديانتهم [الهكسوس] ـ أو ديانة الذين لم يعتنقوا ديانة المصريّيْن منهم ـ؛ فإنَّها تركَّزت في عبادة الإله (سوتخ)، وهُو ـ دون شكٍّ ـ أحد مظاهر الإله (ست).. [1].

إذاً؛ (ست) هُو معبود الهكسوس وبني إسرائيل، وقبل الدّخول في تفاصيل العلاقة بينهما سنأخذ نبذة عن تاريخ الهكسوس، ثُمَّ معاصرة الأنبياء لفترة الهكسوس، ثُمَّ التّعرُّف إلى هؤلاء الهكسوس، وذلك بأدلَّة التّاريخ، وكذلك بأدلَّة القول الفَصْل القُرآن الكريم.

---

(1) مصر الفرعونية، ص247.

# نبذة عن تاريخ الهكسوس

الهكسوس هُم مجموعة من الغزاة، احتلُّوا مصر لفترة من الزّمان، اختلف المُؤرِّخون في مداها الزّمني، وممّا ذكر أنّها امتدَّت من 200 سنة إلى 500 سنة، أسّس الهكسوس فيها حُكماً مَلَكيّاً، وكان قبلهم الأُسرات الفرعونيَّة المصريَّة (من الأُسرة الأُولى إلى الثّانية عشر)، وبعدهم جاء - أيضاً - حُكم الأُسرات الفرعونيَّة المصريَّة (من الأُسرة الثّامنة عشرة وما بعدها).

ومن التّعريفات التي ذُكرت لكلمة هكسوس (الملوك الرُّعاة، حُكّام الأراضي الأجنبيَّة، أصحاب الخيل، الكاسيِّيْن)، واتَّخذوا عاصمة لهم مدينة (أواريس - حت عورة - هوارة)، ووُصف احتلالهم لمصر بالعنف والبشاعة. ولكنْ؛ هُناك مَنْ يذكر أنَّه اتَّصفت فترة من حُكْمهم بالأمن والازدهار. وهم أوَّل مَنْ أدخل العَرَبات التي تجرُّها الخيول، واستخدموها كسلاح فعَّال، وكان من أسباب هزيمة المصريِّيْن استخدام العَرَبة والرِّماح والسّهام المُطوَّرة، وكذلك إدخال واستخدام الخيول.

ومُعظم مَنْ كَتَبَ عن الهكسوس يستشهد بما كَتَبَهُ المُؤرِّخ المصري مانيتون، الذي عاش نحو 250 ق.م، وما كتبه المُؤرِّخ اليهُودي يوسيفوس، الذي عاش نحو 70م.

# معاصرة الأنبياء لفترة حُكْم الهكسوس

نقصد بالأنبياء - هُنا - كلاً من إبراهيم ويعقُوب ويُوسُف عليهم السّلام، والذي تـذكره كُتُبُ التّاريخ أنّهم كانوا معاصرين لفترة حُكْم ملوك الهكسوس لمصر:

أ- إبراهيم عليه السّلام: عند أهل الكتاب والمُسلمين أنَّ إبراهيم - عليه السّلام - دخل مصر، ولم تُخبرنا في أيِّ عصر، لكنّنا سنستنتج عصره من خلال المُقارنة:

العهد القديم التّكوين إصحاح 12

10 وحدث جـوع في الأرض، فانحدر أبرام إلى مصر؛ ليتغرَّب هُناك؛ لأنَّ
الجوع في الأرض كان شديداً. 11 وحدث لمّا قرب أنْ يدخل مصر أنّه قال
لساراي امرأته: إنّي قد علمتُ أنّك امرأة حسنة المنظر. 12 فيكون إذا رآك
المصريُّون أنّهم يقولون هذه امرأته. فيقتلونني، ويستقبلونك. 13 قولي إنّك
أختي؛ ليكون لي خير بسببك، وتحيا نفسي من أجلك. 14 فحدث لمّا دخل أبرام
إلى مصر أنَّ المصريِّيْن رأوا المرأة أنّها حسنة جدّاً. 15 ورآها رُؤساء فرعون،
ومدحوها لدى فرعون. فأُخذت المرأة إلى بيت فرعون. 16 فصنع إلى أبرام خيراً
بسببها. وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأُتُن وجمال. 17 فضرب الرّبّ
فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساراي امرأة إبرام. 18 فدعا فرعون إبرام،
وقال: ما هذا الذي صنعتهً بي؟ لماذا لم تخبرني أنّها امرأتك. 19 لماذا قلتَ هي أُختي
حتّى أخذتها لي لتكون زوجتي، والآن؛ هُو ذا امرأتك. خُذها، واذهبْ. 20
فأوصى عليه فرعون رجلاً، فشيَّعوه وامرأته وكلّ ما كان له.

بغضّ النّظر عن تفاصيل القصّة، إلّا أنّ التّوراة تكذب وتُحرِّف في تسمية مَنْ دخل إبراهيم عليه السّلام في عهده؛ حيثُ تقول إنّه (فرعون)، في حين أنّ الحديث وصفه أنّ جبّاراً وملكاً، ولم يقلْ بأنّه (فرعون)، كما ذكر في أحاديث أُخرى مثل حيث ماشطة بنت فرعون.

موسوعة الحديث صحيح البُخاري كتاب البيوع (34) باب شراء المملوك (100)

2217ـ. عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النّبي :"هاجر إبراهيم ـ عليه السّلام ـ بسارة، فدخل بها قرية فيها ملك من الملوك، أو جبّار من الجبابرة، فقيل: دخل إبراهيم بامرأة هي من أحسن النّساء، فأرسل إليه: أنْ ـ يا إبراهيم ـ مَنْ هذه التي معكَ؟ قال: أُختي، ثُمَّ رجع إليها، فقال: لا تُكذّبي حديثي، فإنّي أخبرتهم أنّك أُختي، والله؛ إنْ على الأرض من مُؤمن غيري وغيرك، فأرسل بها إليه، فقام إليها، فقامت تتوضّأ وتُصلّي، فقالت: اللّهُمَّ؛ إنّي كنتُ آمنتُ بكَ وبرسولكَ، وأحصنتُ فرجي إلّا على زوجي، فلا تسلّط عليَّ الكافر، فغطّ، حتّى ركض برجلَيْه، قال الأعرج: قال أبو سلمة ابن عبد الرّحمن: إنّ أبا إبراهيم قال: "اللّهُمَّ إنْ يمتْ يُقال: هي قتلته، فأرسل، ثُمَّ قام إليها، فقامت تتوضّأ وتُصلّي، وتقول: اللّهُمَّ؛ إنّي كنتُ آمنتُ بكَ وبرسولكَ، وأحصنتُ فرجي إلّا على زوجي، فلا تسلّط عليَّ هذا الكافر، فغطّ، حتّى ركض برجلَيْه". قال عبد الرّحمن: قال أبو سلمة: قال أبو هريرة: "فقالت: اللّهُمَّ؛ إنْ يمتْ، فيقال: هي قتلتهُ، فأرسل في الثّانية أو في الثّالثة، فقال: والله ما أرسلتم إليَّ إلّا شيطاناً، أَرْجِعُوها إلى إبراهيم عليه السّلام، وأعطوها آجر [هاجر]. فرجعت إلى إبراهيم عليه السّلام، فقالت: أَشَعَرْتَ أنّ الله كَبَتَ الكافر، وأخدم وليده؟". (انظر: 2635، 3357، 5084، 6950).

في الحديث أنّ إبراهيم ـ عليه السّلام ـ دخل في عهد الملك، وليس كما تذكر التّوراة، ونعلم أنّ الملوك الذين حكموا مصر في فترة يسبقها سلالات فرعونيّة، ويأتي بعدها سلالات فرعونيّة هُم الهكسوس، ومن هذا نعلم أنّ إبراهيم دخل مصر في عهد الهكسوس. ولعلّ هذه الآية تُوضّح بعض الأشياء؛ قال تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (البقرة 258).

إنَّ هذا الملك ليس هُو (النّمرود)، الذي لم يكن ليُجادل إبراهيم، وقد يكون هُو ملك من ملوك الهكسوس، عند دخول إبراهيم لمصر، وقوله تعالى: ﴿ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ ﴾ يفيد بأنّه للتوّ استلم الحُكم، وهُو مثل قوله تعالى: ﴿ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ ﴾ (البقرة 251). وقد يكون هُو أوّل ملوك الهكسوس في مصر.

ومَنْ يؤيّد دخول إبراهيم ـ عليه السّلام ـ في فترة عهد الهكسوس د. مُحَمَّد ضياء الرّحمن الأعظمي؛ حيثُ قال:

"وقد تنقّل [إبراهيم] بين المدن الكنعانيّة داعياً إلى الله مدّه؛ بيد أنّه حدث أنْ انقطع المطر، وأجدبت الأرض، فاضطرَّ كثير من سُكّان أرض كنعان إلى الهجر منها. وكان إبراهيم وأهله ـ أيضاً ـ ممَّنْ هاجروا من تلك الدّيار إلى الدّيار المصريّة، وذلك في عهد "هكسوس"، وكان ملك مصر جبَّاراً قاهراً" (1).

وهذا ما قاله أيضاً د. أحمد شلبي: "لقي إبراهيم [عليه السّلام] من الهكسوس كثيراً من التّرحيب والتّقدير، وبقي إبراهيم [عليه السّلام] فترة في مصر، فآمنت عليه خلالها نعم فرعون [يقصد الملك، ويتّضح هذا بعد قليل]، فنمت ثروته، وتضاعفت ماشيته، ولكنَّ ملك الهكسوس طمع في سارة زوجة إبراهيم [عليه السّلام]." (2)

2ـ يعقُوب ويُوسُف عليهم السّلام.. بما أنَّ يُوسُف ابن يعقُوب ابن إسحاق ابن إبراهيم عليهم السّلام أجمعين، فمن المعقول أنّهم ـ أيضاً ـ دخلوا في عهد الهكسوس، ورغم هذا سنورد مزيداً من الأدلّة:

العهد القديم التّكوين إصحاح 39

1 وأمّا يُوسُف؛ فأنزل إلى مصر، واشتراه فوطيفار خَصِيُّ فرعون...

التّكوين إصحاح 41

1 وحدث من بعد سنتيْن من الزّمان أنَّ فرعون رأى حُلماً... 17 فقال فرعون ليُوسُف...

---

(1) اليهُوديّة والمسيحيّة، ص40.

(2) مُقارنة الأديان (1)، اليهُوديّة، ص64.

إنَّ التّوراة هُنا مازالت تكذب وتُزوِّر لسبب ما؟ فتُسمِّي مَنْ دخل في عهده يُوسُف ويعقُوب عليهم السّلام بـ "فرعون"، بينما القول الفَصْل القُرآن الكريم، فهُو يُسمِّي مَنْ دخل في عهده يعقُوب ويُوسُف بـ "الملك".

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ ...﴾ (يُوسُف 43).

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ... ﴾ (يُوسُف 50) ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ...﴾ (يُوسُف 54) ﴿ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ ﴾ (يُوسُف 72) ﴿ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ.. ﴾ (يُوسُف 76).

فَرَدُّ القُرآن وإيضاحه بأنَّ مَنْ دخل في عهده الأنبياء هُو ملك وليس فرعون يفيدنا في البحث التّاريخي، فمصر حُكِمَتْ من قبَل سلالات فرعونيَّة ما عدا فترة حَكَمَهَا ملوك هُم الهكسوس، ومن هذا نتعرَّف على الفترة الزّمنيَّة.

ونستشهد هُنا ببعض ما قاله المُؤرِّخون على سبيل المثال:

يقول جمال عبد الهادي مسعود: "حينما وصل يُوسُف ـ عليه السّلام ـ إلى أرض مصر وهُو فتىً صغير، كانت مصر محكومة بمَنْ أسماهم كُتّاب التّاريخ "الهكسوس"، وكان على رأس الدّولة ـ حينذاك ـ ملك..." (1)

ويقول مُحَمَّد عزَّة دروزة: "لقد ذكر أحمد كمال ـ فيما ذكره ـ خبر يُوسُف ويعقُوب، فقال: إنَّ يُوسُف بِيْعَ لوزير الملك "أبابي رع كنن" الهكسوسي". (2)

ويقول أحمد عبد الحميد يُوسُف: "كان دخول يُوسُف مصر على المشهور أيّام احتلال الهكسوس مصر". (3)

---

(1) تاريخ الأمّة المُسلمة الواحدة، ص285.

(2) تاريخ الجنس العَربي، ص130.

(3) مصر في القُرآن والسُّنَّة، ص40.

ويقول مُحَمَّد ضياء الرّحمن الأعظمي: "وعُلماء اليهُود والنّصارى يرون أنَّ يُوسُف ـ عليه السّلام ـ وُلد في عام 1906 ق.م، ودخل السّجن في حدود 1890 ق.م، فيكون حُكْم الهكسوسيِّين في مصر قبل ألفَيْ عام من ميلاد المسيح، إلّا أنّهم لم يختلطوا بالمصريِّين، وكان لهم آلهة غير آلهة المصريِّين، استصحبوها من الشّام والعراق، ولذا؛ لم يُسمِّهم القُرآن باسم "فرعون"؛ لأن تسمية فرعون لملوك مصر تسمية دينيّة، ولكنْ؛ أخطأ مُؤلِّف التّوراة، فسمّاهم ـ أيضاً ـ "فرعون". [1]

ويقول هارفي بورتر: "وقد أجمع المُؤرِّخون على أنَّ تغرُّب بني إسرائيل في مصر كان أيّام الرّعاة [الملوك الرّعاة الهكسوس]؛ لأنَّ أحوال مصر في زمانهم كأحوالها حين كان العبرانيُّون فيها، ففي التّكوين أنَّ الملك الذي رحّب بهم كان في مصر السُّفلى، وعيَّن لهم مسكناً أرض جاسان، وهي التّخوم الشّرقيَّة، وفي كتابه على صخر في مصر العُليا على قبر رئيس اسمه "بابا عاش" أيّام الدّولة السّابعة عشرة أنّه صار في أيّامه قحط عدّة سنين متوالية، فتعيَّن هُو لتوزيع القمح على النّاس في مدينته؛ لئلّا يهلكوا جوعاً، ولعل ذلك كان الجوع المذكور في قصّة يُوسُف، والله أعلم". [2]

(1) اليهُوديّة والمسيحيّة، ص44.

(2) موسوعة مختصر التّاريخ القديم، ص18.

# مَنْ هُم الهكسوس؟

هُناك ثلاث نظريَّات عن الهكسوس وأصلهم، نستعرضها، ونناقشها، ومنها نتعرَّف على أصلهم الحقيقي:

أ ـ أنَّ الهكسوس عَرَب: وقد كفانا د. سيِّد القمني مناقشة هذه النّظريَّة ونقدها؛ حيثُ قال: "..... لكنْ؛ أشدّ ما أثار عجبي من بينها، هُو دأب الباحثين العَرَب في تنظيراتهم التّاريخيَّة للقوميَّة العَرَبيَّة الإشارة والإشادة بمملكة عَرَبيَّة قديمة عُظمى، بلغت سمْتَ الإمبراطُوريَّات، وأنَّ هذه المملكة شملت شرقي المتوسِّط كاملاً (بلاد الشّام والرّافدَيْن وجزيرة العَرَب ومصر وبعض جزر المتوسِّط الشّرقيَّة)، وأنَّ عَرَب تلك الإمبراطوريَّة هُم مَنْ جاء ذكرهم عن المُؤرِّخ المصري (مانيتون)، الذي عاش في القرن الثّالث ق.م باسم (الهكسوس).. وكان مصدر دهشتنا من باحثينا القوميّيْن ـ آنذاك ـ هُو إطلاقهم ذلك الزّعم مُرسلاً، دون شواهد أو بيِّنات أو دلائل أركيُولُوجيَّة [آثاريَّة]، أو حتَّى مستخلصات من قراءة للنُّصُوص القديمة، أو عمليَّات تحليل وتركيب لنُصُوص بعينها مُقارنة بأُخرى، ممَّا دفعنا لهاجس أنَّ رجالنا قد أقاموا الأمر برُمَّته على كون (الهكسوس) بدواً رُعاة، وأنَّ العَرَب بدو رُعاة، وكفانا بذلك دليلاً، لكنَّ المأساة الحقيقيَّة تكشَّفتْ لنا بعد قراءة (عصور في فوضى)؛ حيثُ اكتشفت أنَّ ذلك الكتاب ـ الذي يضع النّظريَّة التّاريخيَّة للقوميَّة الإسرائيليَّة ـ كان هُو المدد الأوَّل لأصحاب فكرة إمبراطُوريَّة الهكسوس العَرَبيَّة، وبذلك؛ قدَّم باحثونا ردَّاً على ذات الدّرجة من العُنصُريَّة، وإنْ لم يكن على ذات الدّرجة من الكفاءة والأمانة ونزاهة العلم، وهُو الأمر الذي لا يتَّضح إلَّا بقراءة الكتاب. [1]

---

(1) إسرائيل، ص 161، 162 (والكتاب الذي يقصده هُو كتاب عصور في فوضى من الخُرُوج إلى الملك أخناتون للمُؤلِّف إيمانويل فلايكونسكي، وهُو يهُودي يدَّعي أنَّ الإسرائيليِّين دخلوا مصر قبل الهكسوس، وخرجوا منها مع بدء حُكْم الهكسوس، الذين قال إنَّهم عَرَب، وألصق بهم كلّ نقيصة، ثُمَّ ادَّعى أنَّ الإسرائيليِّين هم مَنْ خلَّص مصر من حُكْم الهكسوس العَرَب بواسطة شاؤل (طالوت)... وأنَّ الإسرائيليِّين هم أحفاد مَنْ بنوا الأهرامات... إلخ).

ثُمَّ يُضيف سيِّد القمني في موضع آخر: "أقام (فليكوفسكي) رؤيته في جنس الهكسوس وموطنهم على إشارة عابرة للمُؤرِّخ المصري (مانيتون)، والتي ساقها (مانيتون) في صيغة عدم اليقين بقوله: "والبعض قالوا: إنهم عَرَباً"، لكنَّ (فليكوفسكي) يُهمل ـ تماماً ـ إشارة (مانيتون) التأكيديَّة في كون الملوك السَّتَّة الأوائل أصحاب الأُسرة الخامسة عشرة ـ فيما يزعم ـ كانوا فينقيِّين، وهُو ما أخذ به بعض المُؤرِّخين، وإنْ ذهب الأكثريَّة إلى قدومهم من مناطق بحر قزوين". (1)

بـ أنَّ أصل الهكسوس كاسي من أرمينيا وبحر قزوين: ومَنْ قال بهذا القول:

جايمس هنري برستد: "إنَّنا لا نعلم شيئاً محقَّقاً عن هؤلاء الهكسوس، لكنَّنا نقول ـ من باب التَّرجيح ـ إنَّ زحفهم إلى مصر كان فاتحة لحركة عظيمة قام بها بعض الشُّعُوب الآسيويَّة، وهي الحركة التي ساقت الكاشيِّين [الكاسيِّين] إلى بابل، والميتانيِّين إلى العراق، وجماعة من الجنس الأوروبي الهندي إلى آسيا الغربيَّة"(2).

ويقول برستد في كتاب آخر له: "ذكر الباحث ـ فيما سبق ـ أنَّ الشُّعُوب الهندوـ أوروبيَّة قد هاجرت إلى منطقة الشَّرق الأدنى القديم بُعيد مطالع الألف الثَّاني قبل الميلاد، وقد أدَّت هجرتها إلى احتلال مصر من قِبَل الهكسوس". (3)

ويقول أحمد فخري: "إنَّهم [الهكسوس] ليسوا من شُعُوب مُتعدِّدة، وأنَّه وإنْ غلبت في أسمائهم الأسماء السَّاميَّة(4) فإنَّنا نجد ـ أيضاً ـ أنَّ فيهم عناصر غير ساميَّة. لا شكَّ أنَّ بعضاً "كاسي" والبعض الآخر "حرى". وكلا الجنسَيْن من أصل هندو ـ أوروبي نزل من أواسط كما سبق القول(5).

ويقول سيِّد القمني: "بل من المرجَّح أنْ يكونوا [الإسرائيليُّون] قد دخلوا زمن الهكسوس، وكحُلفاء لهم، وقد سبق لنا أنْ وصلنا إلى تحديد المنطقة التي قدَّم منها الهكسوس إلى المنطقة...

---

(1) إسرائيل، ص285.

(2) العصور القديمة، ص85.

(3) تاريخ مصر من أقدم العصور، ص122.

(4) يقصد ما وصفه البعض بوُجُود أسماء ساميَّة لدى الهكسوس، فقد قال "جان يويوت" على سبيل المثال: «واتَّخذ بعضهم أسماء مصريَّة، بينما احتفظ البعض الآخر ـ لحُسْن الحظّ ـ بأسمائهم الأصليَّة، ومنها يعقُوب حير ويعقُوبهم وعانات حير، التي تدلُّ دلالة قاطعة على ولاء أصحابها لآلهة ساميَّة»، مصر الفرعونيَّة للمُؤلِّف جان يويوت، ص101.

(5) مصر الفرعونيَّة، ص245.

وسجَّلنا مجموعة من القرائن كافية تشير إلى أنَّهم يعودون بأصولهم إلى المنطقة الكاسيَّة شمالي بلاد الشّام والرّافدَيْن، في أراضي (أرمينيا) جنوب بحر قزوين... وكان أكبر هذه الهجرات وأخطرها الموجه الكاسيَّة التي دوَّنت أخبارَهَا نُصُوصُ الرّافدين، بعد أنْ هبط الكاسيُّون في غزو كاسح على دُول بابل الأُولى حوالي 1600 ق.م، وقد ذهبنا إلى أنّه ضمن تلك الموجات جاءت موجة الهكسوس، التي تعدُّ جناحاً للهجرة الكاسيَّة اتَّجه إلى مصر حوالي 1680 ق.م... ومع حذف التّصريف الاسمي في آخر كلمة هكسوس (حرف السّين الأخير) لا تحتاج التّسمية إلى إثارة إشكاليّات؛ حيثُ تصبح (الكاسو) أو (الكاسي)، وهُو ما يلتقي مع مذهبنا في كونهم فرعاً أصليّاً للهكسوس". [1]

لن نناقش هذه النّظريَّة طويلاً، لكنَّ النّظريَّة تقول إنَّ الكاسيِّيْن هُم من منطقة بحر قزوين وحول أرمينيا، وهاجروا واحتلُّوا مصر. فيكفينا القول إنْ هذه المنطقة هي نفسها التي بدأ منها هجرات الخابيرو كما تذكر كُتُبُ التّاريخ، وهم أنفسهم (العبرانيُّون).

ج – أنَّ الهكسوس هُم العبرانيُّون وبني إسرائيل: سنستشهد ببعض ما قاله المُؤرِّخون، ثُمَّ نرجع إلى القول الفَصْل القُرآن الكريم، ونحبُّ أنْ ننوِّه للأمانة أنَّ بعض المُؤرِّخين أورد أنَّ الإسرائيليِّيْن هُم الهكسوس في سياق نقد هذه النّظريَّة.

يقول مُحَمَّدعزَّة دروزة: "وقد أورد [سليم حسن] ما نقله يوسيفوس المُؤرِّخ اليهُودي ومانيتون من أقوال في صدد طروئهم وسيرتهم وخُرُوجهم [الهكسوس] جاء فيه فيما جاء «لقد نزل بنا صاعقة من غضب الله، فتجرَّأ قوم من أصل وضيع من الشّرق على غزو بلادنا، وكان مجيؤهم أمراً مُفاجئاً. وقد تسلَّطوا علينا بدون صعوبة وحروب... ثُمَّ قام ملوك طيبة وسائر البلاد المصريَّة بثورة عليهم، وشبَّت حرب عظيمة، وطُردوا من كلِّ مصر، وحُوصروا في مكان يُدعى أواريس، ولمّا يئس الملك من استسلامهم، عقد معهم معاهدة بجلائهم عن مصر، وذهابهم حيثُ شاؤوا من دون تضييق، فغادر منهم ما لا يقلّ عن (24000)، حاملين متاعهم إلى سورية، وأقاموا مدينة في الإقليم الذي يُدعى يودا كانت صالحة لإيواء جمعهم الهائل، وأطلقوا عليها اسم أورشليم». [2]

---

(1) إسرائيل، ص288، 289.

(2) تاريخ الجنس العَرَبي، 119، 120، الجُزء الثّاني.

ويُضيف مُحَمَّد دروزة في الحاشيَّة: (2)... ونُنبِّه في هذا المقام على أنَّ رسائل تلّ العمارنة التي اكتُشفت حديثاً، والتي سوف نذكرها ببيان أو في سيرة الأُسرة الثّامنة عشرة، ذكرت غارات قبائل الخبيروعلى فلسطين. فهذا قد يُسوّغ القول حقّاً أنَّ الخبيرو والعبيرو اسم واحد لجماعة من السّاميِّيْن كانوا في فلسطين في القرن التّاسع عشر قبل الميلاد، أو قبله، زحفوا إلى مصر مع الزّحف الهكسوسي، أو زحف فريق منهم، وإنَّ جماعة منهم خرجوا مع الهكسوس حينما قُوِّض حُكْم هؤلاء. وأجلى حُكّامهم وجيوشهم في زمن الأُسرتَيْن السّابعة عشرة والثّامنة عشرة على ما سوف نذكره بعد، فكان هؤلاء هُم الذين ذكرت رسالة تلّ العمارنة خبر غاراتهم وعبثهم، وقد بقي جماعة منهم في مصر فيمن بقي أيضاً، فكان هؤلاء هُم بنو إسرائيل، الذين خرجوا من مصر في القرن الثّالث عشر بقيادة مُوسى على ما سوف نذكره بعد، وقد كان هؤلاء يُسمّون في مصر بالعبري على ما تفيده وثائق أثريّة مصريّة عائدة إلى القرن الرّابع عشر قبل الميلاد". [1]

ويُضيف مُحَمَّد دروزة في مواضع أُخرى: "وقد أوردنا قبلُ بعض أقوال لسليم حسن عن مساهمة الخبيرو في هجرة الهكسوس.. واحتمال أنْ يكونوا هُم العبرانيِّيْن، الذين يربط بين اسمهم والعبرو والعبرانيِّيْن جماعة كبيرة، في حين أنَّ سفْر التّكوين ذكر نزوح يعقُوب وذُرِّيَّته كأُسرة أو عشيرة صغيرة، وليس ما يمنع صحَّة اندماج جماعات من الخبيرو في زحف الهكسوس، وأنْ يكون يعقُوب وذُرِّيَّته ممَّنْ تخلَّفوا في فلسطين وبلاد الشّام من الخبيرو وغيرهم... ولقد نمت هذه العشيرة وتكاثرت في مصر، وصار اسم العبرو والعبرانيِّيْن عُنواناً لهم، ثُمَّ خرجوا منها بقيادة مُوسى بعد الهكسوس بمُدَّة" [2].

"ولقد ذكر سليم حسن أنَّ الخبيرو في سياق سيرة الهكسوس وزحفهم، وخمَّن أنَّهم العبرو والعبرانيِّيْن، الذين منهم إبراهيم وذُرِّيَّته، وعلَّقنا على ذلك مُرجِّحين أنَّهم الآرميُّون، الذين منهم إبراهيم وذُرِّيَّته، وما جاء عنهم في هذه الرّسائل يُؤيِّد تعليقنا فيما نرى؛ لأنَّ المعروف من تاريخ العبرانيِّيْن - بني إسرائيل - أنَّ زحفهم على فلسطين جرى بعد خُرُوجهم من مصر بقيادة مُوسى في القرن الثّالث عشر،

---

(1) تاريخ الجنس العَرَبِي، ص121، الجُزء الثّاني.

(2) تاريخ الجنس العَرَبِي، ص130، الجُزء الثّاني.

وهذه الحركات حركات قبائل عظيمة متموِّجة في بلاد الشّام، وقد اندمج جماعات منها في حركة زحف الذين سُمُّوا بالهكسوس على مصر، وبقي باقيهم، أو بالأحرى أكثرهم يتموَّجون في بلاد الشّام". (1)

ويقول عبد المجيد همُّو نقلاً عن مُحَمَّد عزَّة دروزة: "تسلَّل منهم مَنْ دخل إلى مصر، وبقي منهم مَنْ بقي منهم في فلسطين وخُرُوج جماعة من أنسال المتسلِّلين منهم من مصر مع مَنْ خرج بعد انهيار حُكْم الهكسوس، فكان العائشون في الأمن في عهد أخناتون منهم، وبقي منهم جماعات في مصر في جملة مَنْ بقي بعد ذلك الانهيار ممَّا سُمُّوا بالهكسوس على ما هُو مُتَّفق عليه عند الباحثين، استناداً إلى الآثار، وإنَّ بني إسرائيل الذين خرجوا من مصر بقيادة مُوسى كانوا هُم الباقين في مصر أو منهم". (2)

ويقول - أيضاً - عبد المجيد همُّو عن برستد: "يُؤيِّد بروستد أنَّ أبناء يعقُوب كانوا - على الأصحّ - عَرَباً تابعين لإمبراطوريَّة الهكسوس، مُؤيِّداً - بذلك - نظريَّة يوسيفوس القائلة بأنَّ بني إسرائيل قوم من الهكسوس". (3)

يقول جايمس هنري برستد: "انحطَّت - بغتة - قُوَّة الفراعنة في العصر الإقطاعي، وانقرضت سلالتهم؛ بسبب زحف قبائل رُحَّل آسيويَّة على مصر، أُطلق عليها الهكسوس، ورُبَّما كان الإسرائيليُّون الذين يُظنُّ أنَّهم دخلوا مصر في هذا الزّمان فروعاً منهم. (4)

يقول سيِّد القمني: "ويبدأ [فلايكوفسي] بأقدم نظريَّة قُدِّمَتْ عن حَدَثِ الخُرُوج، وقد وردت عند المُؤرِّخ المصري (مانيتون). وتقرن تلك النّظريَّة بين ظُهُور الهكسوس وبين ظُهُور الإسرائيليِّيْن، كما تقرن الهكسوس بخُرُوج الإسرائيليِّيْن؛ حيثُ سجَّل (مانيتون) أنَّ الهكسوس - بعد طردهم من مصر - اتَّجهوا إلى فلسطين؛ حيثُ أنشؤوا هُناك مملكة (أُورشليم)، وقد أخذ المُؤرِّخ اليهُودي (يوسيفوس) بكلام (مانيتون). وذهب المذهب نفسه - من القدماء - الأب (يوليوس الأفريقي)،

---

(1) تاريخ الجنس العَرَبي، ص157، الجُزء الثّاني.

(2) حقيقة إسرائيل، ص182.

(3) حقيقة إسرائيل، ص186.

(4) العصور القديمة، ص85.

والذي روى أنَّ اليهُود تمرَّدوا في مصر بقيادة (مُوسى) على ملك باسم (احمس) وحتَّى الآن، وبعد مضي أكثر من تسعة عشر قرناً على تلك النّظريَّة، لم يزل هُناك مَنْ يأخذ بها إلى اليوم". [1]

ويقول إيمانويل فلايكوفسكي عند الحديث حول أصل الهكسوس: ".. ويبقى غيرهم وعلى مدى ألفَيْ عام يفترضون أنَّ الهكسوس هُم الإسرائيليُّون الذين تحكي التّوراة تاريخ إقامتهم في مصر بقصَّة مُختلفة عن ذلك تماماً". [2]

ويقول علي فهمي خشيم: "... لكنَّ "يُوسُفوس" بزعم أنَّه ورد في نسخة أُخرى من تاريخ "مانيتون" المفقود أنَّ huk و hak في المصريَّة تعني "أسير" / "أسرى"، ولا يُقدِّم دليلاً على ما يقول، وهُو لعلَّه أتى بهذا التّفسير ليُوائم ما يورده بعدئذٍ من حديث عن قصَّة يُوسُف حسب التّراث اليهُودي، ومن ادِّعائه أنَّ "الهكسوس" كانوا هُم بني إسرائيل، الذين غزوا مصر، واحتلّوها مُدَّة طويلة من الزّمان". [3]

ويقول جودت السّعد: "يُلخِّص (هيربرت ماي) مُجمل الأفكار أو النّظريَّات هذه، رُبَّما كانت توجد علاقة بين "الإسرائيليِّين" والهكسوس من نوع ما، بناءً على ما ورد في سفْر التّكوين من قَصَص يعقُوب ويُوسُف، فمن المحتمل إذنْ ـ كما يقول ماي ـ أنَّ هجرة يعقُوب تتطابق مع حركة الهكسوس".

ويُضيف ـ أيضاً ـ جودت السّعد: "... ومن الأفكار والآراء المطروحة أنَّ يعقُوب ويُوسُف من العبريِّين، وهؤلاء من الهكسوس، وقد تمَّ استنتاج ذلك بناءً على ما ورد بالتّوراة". [4]

أمَّا مراد الدّش؛ فيقول في كتابه صخور الفيُّوم تكشف معجزات الأنبياء: "والهكسوس هُم بنو إسرائيل ملوك العبرانيِّين" [5]، "وساعدوا [بني إسرائيل] يُوسُف (عليه السّلام)، لاحقاً في أعمال حفظ خزائن مصر. وفي عهد امنحات الثّالث جلبوا العمالة الآسيويَّة لإنجاز المشاريع الضّخمة

---

(1) إسرائيل، ص170، 171.

(2) عصور في فوضى، ص87.

(3) آلهة مصر العَرَبيَّة، ص86.

(4) أوهام التّاريخ اليهُودي، ص48 ـ 49.

(5) صخور الفيُّوم، ص8.

واستصلاح الأراضي مع سيطرة بني إسرائيل على الاقتصاد المصري، ساعدوا الهكسوس لما يربطهم من علاقات قرابة على السّيطرة على البلاد، والهكسوس استوطنوا منطقة شرق الدّلتا، وحكموا منها. بل يمكن القول بأنَّ اليهُود أنفسهم بما لهم من نفوذ اقتصادي قد أصبحت لهم السّيطرة الاقتصاديَّة على الجُزء الشّمالي من البلاد. وكان يُوسُفوس يعتقد أنَّ الهكسوس هُم أنفسهم بنو إسرائيل، واعتبر خُرُوجهم من مصر قبل بدء حُكْم الأُسرة 18 التي طردتهم. والواقع أنَّ خُرُوجهم بدأ من هذا التّاريخ... ممَّا يؤكِّد أنَّهم في المرَّة الأُولى قد ملكوا مصر، وسيطروا عليها، ومالت لهم السّلطة مُنْذُ عهد سنوسرت الثّاني حتَّى طرد الهكسوس من مصر عندما قام أحمس الأوَّل بطردهم، وبالتّالي؛ اضطهد اليهُود اضطهاداً شديداً خوفاً من تكرار ما حدث". (1)

"... لم يدخل يُوسُف ويعقُوب مصر في عهد الهكسوس، بل بني إسرائيل وعشائرهم من العبرانيِّين هُم الهكسوس. وكان يُوسُفوس يعتقد أنَّ الهكسوس هُم أنفسهم بنو إسرائيل". (2)

بعد هذا السّرد نلجأ إلى كلام الله القُرآن الكريم، ونجد فيه القول الفَصْل:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ (إبراهيم 5- 6).

في هذه الآيات عند إرسال مُوسى عليه السّلام يأمره الله بأنْ يُذكِّر قومه بأيَّام الله فيهم، وبالطّبع؛ كانت أيّام الله فيهم هذه قبل مُوسى ورسالته. فما هي أيّام الله في بني إسرائيل؟

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (المائدة 20)، يقول عبد المجيد همُّو عند ذكر هذه الآية "فأين الأنبياء الذين جعلهم الله في بني إسرائيل؟! يبقى الجواب مُحيِّراً وغامضاً، فهُناك كثير

(1) صخور الفيُّوم، ص82، 83.

(2) صخور الفيُّوم، ص95.

من الأنبياء الذين لم يتكلّم عنهم القُرآن، ولا أخبرنا بهم... والسُّؤال الثّاني: أين الملوك الذين كانوا من بني إسرائيل قبل مُوسى؟! هذا السّؤال تعجز التّوراة عن الإجابة عنه". [1]

نُجيب على تساؤلات عبد المجيد همُّو التي لم يجد لها إجابات بواسطة النّقاط السّابقة بالتالي:

الأنبياء الذين جُعلوا في بني إسرائيل هُم إبراهيم ويعقُوب ويُوسُف عليهم السّلام، والملوك الذين كانوا من بني إسرائيل قبل مُوسى - عليه السّلام - هُم مَنْ أَسْماهم كُتّاب التّاريخ الهكسوس؛ أيْ أنَّ الأنبياء دخلوا مصر في العهد الذي احتلَّ فيه بنو إسرائيل مصر، وأسَّسوا مملكة لهم.

(1) حقيقة إسرائيل، ص13.

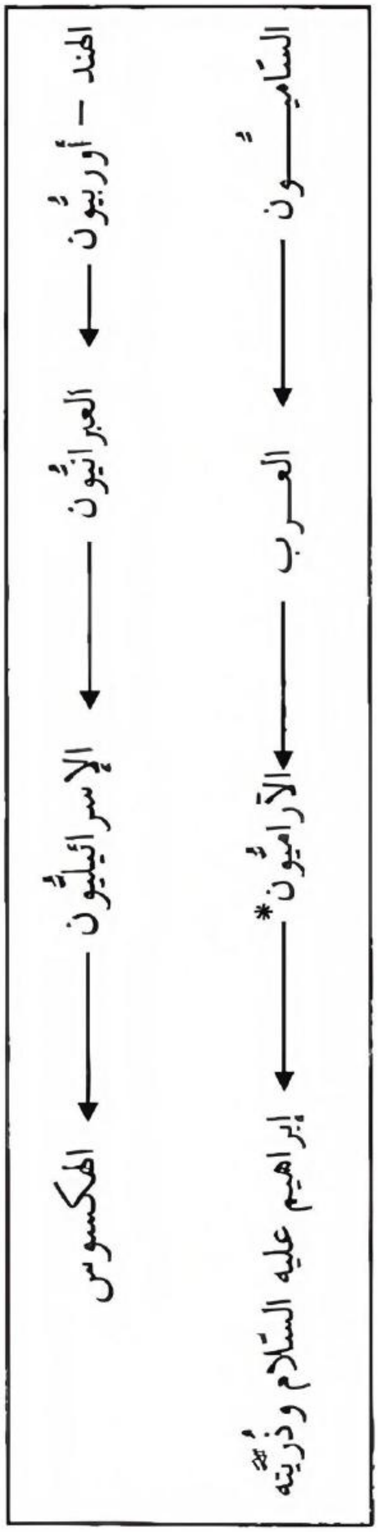


علاقات بين النقاط التي سبق ذكرها

❊ في العهد القديم التّثنيَة إصحاح 26

5...آراميّاً تائهاً كان أبي، فانحدر إلى مصر، وتغرَّب هُناك في نفر قليل، فصار هُناك أُمَة عظيمة وكثيرة.

في النّصّ يقول مُوسى إنَّ أباه كان آراميّاً، ولم يقلْ بأنّه كان عبرانيّاً.

أمّا قول مُحمَّد عبد الواحد حجازي؛ "ولو كان هذا صحيحاً تاريخيّاً [أيْ أنَّ الهكسوس هُم بنو إسرائيل]؛ لهلَّل له اليهُود، وكبَّروا، واتّخذوها من مفاخرهم أنّهم احتلُّوا مصر في يوم من الأيّام" [1]. نردُّ عليه بأنَّ المُؤرّخ اليهُودي يُوسيفُوس قال هذا الكلام بأنَّ الهكسوس هُم بنو إسرائيل، لكنَّ التّوراة تُنكر هذا الخبر، وتحاول أنْ تخفيه، ومن هذه الأمثلة الصّارخة ما ورد في:

العهد القديم الخُرُوج 1

8 ثُمَّ قام ملك [2] جديد على مصر لم يكن يعرف يُوسُف،

فكان ردّ القُرآن الكريم قوله تعالى:

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَـٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ

(1) العسكريّة المصريّة من طرد الهكسوس إلى طرد اليهُود، ص47.

(2) الملك يقصد فرعون من السّياق، هُناك العديد من الأقوال حول اسم فرعون: هل هُو لقب يُطلَق على حُكّام السّلالات المصريّة القديمة؟ أم هُو للسّلالات المتأخّرة جدّاً. ولكنَّ ما تعارف عليه العَرَب هُو أنَّ حُكّام الفُرس كان يُطلَق عليهم الأكاسرة، وحُكّام الرّوم القياصرة، وكذلك كان يُطلَق على حُكّام النّيل الفراعنة.

﴿جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ (غافر 28-34).

في هذه الآيات يُبيِّن لنا تعالى أنَّ فرعون وقومه كانوا يعرفون يُوسُف عليه السّلام، وكان سبب اضطهاد بني إسرائيل مع آل يعقُوب لأنَّهم كانوا مُحتلِّين مصر (الإسرائيليِّيْن)، وكانوا يشاركونهم في حُكْمهم (آل يعقُوب). فيما كانت تحاول التّوراة أنْ تُخفي ذلك، ففي المرَّة الأُولى ادَّعت أنَّ إبراهيم ويعقُوب ويُوسُف ـ عليهم السّلام ـ دخلوا مصر في عهد الفراعنة، وفي المرَّة الثّانية حاولت تعليل سبب اضطهاد الفراعنة لبني إسرائيل بأنَّ الحاكم الجديد لم يكن يعرف يُوسُف عليه السّلام فقط، وكلا التّحريفَيْن والتّزويرَيْن ردَّ عليها القُرآن الكريم.

وعن اضطهاد بني إسرائيل يقول أحمد فخري: "كانت هذه كلُّ معلوماتنا عن حرب كامس مع الهكسوس [1]، حتَّى شهر يوليه 1954؛ إذْ شاء الحظُّ الحسن أنْ يعثر رجال مصلحة الآثار ـ أثناء ترميمهم لبعض آثار الكرنك ـ على لوحة... ونعرف ـ الآن ـ أنَّ النّصَّ الذي أمر كامس بكتابته تسجيلاً لانتصاره لم يكن على لوحة واحدة، وإنَّما كان على لوحتَيْن.. والنّصّ الذي على اللّوحة الجديدة يُكمل ما سبقه على اللّوحة الأُخرى، وينحي باللّائمة على ملك الهكسوس، ويذكر هزيمته أمامه، وخوف الآسيويِّيْن من جيش مصر، و«أنَّ نساء أواريس [عاصمة الهكسوس الإسرائيليِّيْن] لن يلدنَ بعد ذلك»[2].

في هذا النَّصّ لكامس ـ الفرعون الذي لم يُكمل نجاحه في طَرْد الهكسوس، وإنَّما أخوه أحمس ـ يتوعَّد فيه الهكسوس الإسرائيليِّيْن بالانتقام، وبأنَّه سوف يقطع نسلهم، وأنَّ النّساء لن يلدنَ، ونفَّذ هذه السّياسة مَنْ جاء بعده؛ فأخذ بقَتْل الذّكور واستبقاء الإناث؛ حيثُ قال تعالى ذلك في عدَّة آيات، منها: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (البقرة 49)، هذه بالنسبة لبني إسرائيل، وأشرك آل يعقُوب في ذلك، على اعتبار أنَّهم من مُؤيِّدي حُكْمهم ومن رجالهم من بعد تولِّي يُوسُف عليه السّلام خزائن مصر، وبهذا

---

(1) كامس أحد ملوك طيبة، حارب الهكسوس حتَّى مات، وخلفه أخوه أحمس، الذي انتصر عليهم.

(2) مصر الفرعونيَّة، ص 254، 255.

السّبب؛ تعرَّضوا ـ أيضاً ـ للاضطهاد، وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (القصص 4). ففي الآية "شيعاً" ومعناها طوائف، والمقصود بهم بنو إسرائيل وآل يعقُوب.

ذكرنا ـ فيما سبق ـ أنَّ يعقُوب ويُوسُف دخلا مصر في عهد النّظام الملكي الإسرائيلي، وبعد أنْ قضى الفراعنة على هذه الملكيَّة الإسرائيليَّة، واضطُهد بنو إسرائيل وآل يعقُوب، ظهر مُوسى عليه السّلام. ونحبُّ أنْ نشير ـ هُنا ـ إلى أنَّ اسم فرعون ورد في القُرآن 72 مرَّة، كلّها عند الحديث عن مُوسى عليه السّلام، أو عن بني إسرائيل، أو عند ذكْر المُفسدين في الأرض، وقد قال في نفس هذا المعنى د. جمال عبد الهادي مسعود وزوجته د. وفاء مُحَمَّد رفعت في أحد كُتُبهما:

"... ومشاهد القصة القُرآنيَّة تشير إلى آثار باهتة للعقيدة الإسلاميَّة، التي عرف المصريُّون و [الملوك] الرّعاة شيئاً عندها في أوّل القصّة، كما تشير إلى انتشار هذه العقيدة ووضوحها بعد دعوة يُوسُف لها... وإذا اتّضح أنَّ ديانة التّوحيد ـ على هذا المستوى ـ كانت قد عُرفَتْ قبل تولّي يُوسُف مقاليد الحُكْم في مصر، فلابُدَّ وأنْ تكون قد انتشرت بعد ذلك، واستقرَّت على نطاق واسع في أثناء تولّيه الحُكْم، ثُمَّ من بعد ذلك في عهد أُسر [الملوك] الرّعاة، فلمّا استردَّ الفراعنة زمام الأُمُور في الأُسرة الثّامنة عشرة أخذوا يقاومون ديانة التّوحيد؛ مُمثّلة في ذُرِّيَّة يعقُوب التي تكاثرت في مصر، لإعادة حُكْم الطّاغوت، الذي تقوم عليها الفراعنة. وهذا يكشف لنا سبباً أصيلاً من أسباب اضطهاد الفراعنة بعد ذلك لبني يعقُوب، إلى جانب السّبب السّياسي، وهُو أنّهم جاؤوا واستوطنوا وحكموا واستقرّوا في عهد الملوك الرّعاة الوافدين، فلمّا طَرَدَ المصريُّون ملوكَ الرّعاة، طاردوا حلفاءهم من بني يعقُوب أيضاً، وإنْ كان اختلاف العقيدتَيْن ينبغي أنْ يكون هُو التّفسير الأقوى لذلك الاضطهاد الفظيع، ذلك أنَّ انتشار عقيدة التّوحيد الصّحيحة يُحطّم القاعدة التي يقوم عليها ملك الفراعنة، فهي العود الأصيل للطّواغيت وحُكْم الطّواغيت ورُبُوبيَّة الطّواغيت". (1)

ونحبُّ فيما يلي أنْ نضع مُقارنة بين بعض الآيات؛ لنُثبت ونُؤكّد على ما توصَّلنا إليه سابقاً:

---

(1) ذُرِّيَّة إبراهيم عليه السّلام والمسجد الأقصى، ص 79 – 80.

وقال تعالى: ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ (طه 57).

وقال تعالى: ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ۝ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ (الشعراء 34-35).

وقال تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ۝ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ (الأعراف 109-110).

وقال تعالى: ﴿ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ۝ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴾ (طه 62-63).

لنقارن الآيات السّابقة بهذه الآيات:

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (ابراهيم 13).

قال تعالى: ﴿ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴾ (الأعراف 88).

قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾ (محمد 13).

عند المُقارنة بين مجموعتَيْ الآيات.نجد أنَّ جميع الأنبياء - بمَنْ فيهم مُحَمَّد ﷺ - يُتمُّ تهديدهم بأنَّهم سوف يُخرَجُون من أرضهم، وقد نُفِّذ في حالة مُحَمَّد. والاستثناء كان مُوسى عليه السّلام، فقد اتُّهم بأنَّه يُريد إخراج فرعون وقومه المصريِّيْن من مصر. فما سبب هذا الاختلاف، وهذا الاتِّهام، وهذه الحالة الخاصَّة بمُوسى عليه السّلام؟! والتّعليل في هذه الآيات هُو أنَّ جميع الأنبياء هُدِّدوا بالإخراج، ولكنْ؛ في حالة مُوسى - عليه السّلام - كان هُناك خلفيَّات سياسيَّة لهذا الاتِّهام؛ حيثُ اعتبر فرعون وقومه أنَّ بني إسرائيل كانوا مُحتلِّين لأرض مصر، وأن آل يعقُوب شاركوهم في الحُكم، ولذا؛ اعتقدوا أنَّ دعوتهم ورسالة مُوسى هي من باب المُحاولة لإعادة مُلكهم. ولهذا - أيضاً - استكبر فرعون عن اتِّباع رسالة مُوسى عليه السّلام.

ونتساءل هُنا: لماذا أَخْفَت التّوراة قصَّة حُكْم الإسرائيليّيْن لمصر قبل مُوسى عليه السّلام؟!
ونجيب: لأنَّها لو أظهرت الحقيقة لانتفت علاقتهم بإبراهيم ويعقُوب عليهم السّلام؛ لأنَّهم دخلوا مصر أثناء حُكْمهم، وكان هذا سبباً في هدم مُعتقداتهم وديانتهم، وأنَّهم شعب الله المختار، وأنَّهم من سُلالة الأنبياء، وانتهى وعدهم بوراثة الأرض. لهذه الأسباب أخفت وزوَّرت التّوراة الحقائق لكي تنسب بني إسرائيل إلى يعقُوب وإبراهيم عليهما السّلام.

# التّاريخ والسّامريُّون

نناقش في هذا الموضع جُزئيَّة قد ذكرنا بعضاً منها في أدلَّة الحديث الشّريف عند الحديث عن الخضر، وسنكمل هذه الجُزئيَّة مع بعض الشّرح والاستشهاد، والسّبب هُو وضوح هذه النّقطة.

العهد القديم الخُرُوج إصحاح 32

1 ولمّا رأى الشّعب أنَّ مُوسى أبطأ في النّزول من الجبل، اجتمع الشّعب على
هارون، وقالوا له: قُمْ، اصنعْ لنا آلهة تسير أمامنا ؛ لأنَّ هذا مُوسى الرّجل الذي
أَصْعَدَنَا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه. 2 فقال لهم هارون: انزعوا أقراط
الذّهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم. 3 فنزع كلُّ الشّعب أقراط
الذّهب التي في آذانهم، وأتوا بها إلى هارون. 4 فأخذ ذلك من أيديهم، وصوّره
بالإزميل، وصنعه عجلاً مسبوكاً. فقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أَصْعَدَتْك
من أرض مصر. 5 فلمَّا نظر هارون بنى مذبحاً أمامه. ونادى هارون، وقال: غداً
عيد للرّبّ. 6 فبكّروا في الغد، وأصعدوا محرقات، وقدّموا ذبائح سلامة.
وجلس الشّعب للأكل والشّرب، ثُمَّ قامو للّعب. 7 فقال الرّبّ لمُوسى: اذهبْ،
انزلْ ؛ لأنّه قد فسد شعبكَ الذي أصعدتَهُ من أرض مصر. 8 زاغوا سريعاً عن
الطّريق الذي أوصيتُهُم به. صنعوا لهم عجلاً مسبوكاً، وسجدوا له، وذبحوا له،
وقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر... 20 ثُمَّ أخذ
العجل الذي صنعوا، وأحرقه بالنّار، وطحنه، حتّى صار ناعماً، وذراه على وجه
الماء، وسقى بني إسرائيل. 21 وقال مُوسى لهارون: ماذا صنع بك هذا الشّعب
حتّى جلبت عليه خطيَّة عظيمة. 22 فقال هارون: لا يحم غضب سيِّدي. أنت
تعرف الشّعب أنّه في شرّ. 23 فقالوا لي: اصنع لنا آلهة تسير أمامنا ؛ لأن هذا

مُوسى الرّجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه. 24 فقلتُ لهم: مَنْ له ذهب فلينزعه، ويعطيني. فطرحته في النّار، فخرج هذا العجل...

إنّ ما يهمّنا في هذه الفقرات من التّوراة أنّها نجحت في ضرب عصفورَيْن بحجر واحد، فهي -من ناحية - نجحت في إخفاء شخصيَّة تاريخيَّة مهما كان لسبب إخفائها من مغزى وهدف معيَّن، ومن ناحية أُخرى؛ نجحت في تشويه صورة هارون عليه السّلام. فكان ردُّ القُرآن الكريم صريحاً، فبرَّأَ الله - تعالى - هارون عليه السّلام، وفضح إخفاء التّوراة للفاعل الحقيقي صانع العجل الذي من خلاله سنتعرَّف على حقيقة مهمَّة جدّاً.

قال تعالى: ﴿ ۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ۝ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ۝ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ۝ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ۝ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ۝ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ۝ وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ۝ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ۝ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ۝ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ۝ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ۝ قَالَ فَمَا خَطۡبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ۝ قَالَ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذۡتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي ۝ قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا ۝ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا ﴾ (طه 83-98).

في الآيات السّابقة ورد اسم السّامري: الذي صنع العجل، وحرف الياء في نهاية الاسم هُو حرف نَسَب؛ أيْ أنَّ هذا الشّخص ينتسب إلى قبيلة أو طائفة مهما تكن، فإنَّها من مكوِّن شعب بني

إسرائيل، وقد تكون التّسمية لأحد الأسباط. ويكفينا أنْ نستشهد هُنا بأفضل مَنْ كَتَبَ في موضوع السّامريّيْن ومن أحدثهم بحثاً فيه، وممّا قاله إياد هشام الصّاحب حين استعرض الآراء في أصل تسمية مدينة السّامرة بهذا الاسم وعن أصل السّامريّيْن: "الرّأي الثّاني يرى أصحابه أنَّ التّسمية جاءت نسبة إلى عشيرة من عشائر بني إسرائيل كانت تسكن في تلك المنطقة... ولذلك يقول د. سيّد فرج راشد: «وعلى هذا النّحو، فإنّنا نُرجع اسم شمرون إلى أنّه رُبّما كان مشتقّاً من اسم قبيلة كانت واسعة الانتشار بين القبائل الإسرائيليّة». وممّا يؤيّد ذلك ما جاء عن بعض المفسّرين المُسلمين قديماً من أنَّ قبيلة معروفة في بني إسرائيل كان يُطلَق عليها اسم قبيلة السّامرة، وهي القبيلة التي كان ينتمي إليها السّامري صاحب العجل، مُحتجّين على ذلك بأنَّ الياء في السّامري، ياء نسبة، وأنَّ النّسبة في الكلام العَرَبي إنّما تكون إلى القبائل والعشائر والأقوام، وعليه؛ يكون السّامري نسبة إلى قبيلة من قبائل بني إسرائيل، ويُقارب اسمه لفظ سامر، وقد كان من الأسماء القديمة (شومر) و (شامر)، وهما يُقاربان اسم سامر، لا سيما بعد التّعريب. ولذلك قالوا إنَّ السّامري كان عظيماً من عظماء بني إسرائيل من قبيلة يقال لها السّامرة. ممّا يُرجّح أنْ تكون المنطقة التي كانت تسكن فيها تلك القبيلة نُسبت إليها، وسُمّيَتْ باسمها". (1)

"إلّا أنَّ السّامريّيْن يعتقدون أنّهم من بني إسرائيل، بل يقولون عن أنفسهم إنّهم هُم الإسرائيليُّون الأصليُّون... ويعتقد السّامريُّون أنَّ اليهُود انشقّوا عنهم، وخالطوا الأمم الأُخرى، ويقولون إنَّ اسمهم ليس (السّامريّيْن) بل (شومريم)، وهي لفظة معناها "المُحافظون"، ويقصدون أنّهم مُحافظون على الدّيانة القديمة؛ لأنّهم بقوا أُمناء عليها من سائر بني إسرائيل. وممّا يدعم هذا الرّأي ويُقوّيه عدّة أُمور أهمّها:

1- ما جاء في دائرة المعارف اليهُوديّة على لسان مونتجمري ج.أ. الذي يقول: «إنَّ الاعتقاد السّائد حتّى منتصف القرن العشرين بأنَّ السّامريّيْن نشؤوا ـ أصلاً ـ من مزيج من الشُّعوب التي سكنت السّامرة، ليس صحيحاً، وأنَّ هُناك إشارات إلى أنَّ السّامريّيْن هُم من بني إسرائيل بما فهيم

(1) السّامريُّون، ص 22، 23.

كبير الكَهَنَة»، وهذا الرّأي ـ الذي أوردته دائرة المعارف اليهُوديَّة ـ مصادم لما ورد في أسفار العهد القديم (التّناخ)، ممّا يُظهر أنَّ هُناك تحوُّلاً في وجهة النّظر اليهُوديَّة الحديثة حول أصل السّامريِّيْن.

2ـ ما جاء في التّوراة عن وُجُود قبيلة بهذا الاسم في الأوساط الإسرائيليَّة، وأنّها كانت قبيلة واسعة الانتشار في الأوساط الإسرائيليَّة؛ حيثُ جاء في سفر أخبار الأيّام الأوّل ما نصّه «وبنو شامر: آخي ورهجة ويحبه وآرام» [7/ 35]، وجاء في نصّ آخر «وبنو الفعل: عابر ومشعام وشامر» [8/ 12]، فقول النّصّ (بنو شامر) فيه دلالة واضحة على وُجُود قبيلة تحمل هذا الاسم في الأوساط الإسرائيليّة القديمة. وكذلك ما ذكره البيضاوي والشّنقيطي من المفسّرين المُسلمين عند قوله: ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴾ (طه 85) ، من أنَّ السّامري كان عظيماً من عظماء بني إسرائيل، من قبيلة تُعرَف بالسّامرة..... ". [(1)]

ممّا سبق يمكننا الإيجاز والشّرح في أربع نقاط:

1-أنَّ مُوسى هُو ابن عمران بن قاهت بن لاوي بن يعقُوب عليه السّلام، بينما السّامريّ هُو شخصيَّة تنتمي إلى قبيلة عُظمى هي قبيلة السّامرة.

2- أنَّ ما بين مُوسى ـ عليه السّلام ـ وبين لاوي ابن يعقُوب ـ عليه السّلام ـ وقت قصير، لا يُؤدِّي إلى تناسل، مهما كان يمكنه من تشكُّل قبيلة أو عدّة قبائل من الأخوة الآخرين للاوي.

3- أنَّ التّوراة أخفت شخصيَّة السّامريّ، كما أخفت شخصيَّة الخضر، وهذا له سبب وعلاقة بنسبهما، فهما ينتميان لبني إسرائيل، فأحدهما من قبيلة السّامرة، والآخرون من أشراف بني إسرائيل، ولأنَّ هذا لم يكن معقولاً في عهد مُوسى ابن عمران ابن قاهت ابن لاوي ابن يعقُوب عليه السّلام، لذلك أخفت التّوراة هاتَيْن الشّخصيَّتَيْن؛ لكي يصبح الأمر مقبولاً ومُمكناً، ومن المعقول أنْ ينتمي بنو إسرائيل إلى يعقُوب عليه السّلام.

4- من النّقاط السّابقة يمكننا أنْ نضع حدّاً فاصلاً بين السّامريّ، وكذلك الخضر من جهة، ومُوسى عليه السّلام من جهة أُخرى.

---

(1) السّامريون، ص25، 26

* مع الأخذ بعين الاعتبار أنَّ تقسيم الأسباط كان في عهد مُوسى عليه السّلام، والسّامريّ والخضر كانا معاصرَيْن له عليه السّلام، ولكُلٍّ منهما نسب. ولقد نجحت التّوراة في إخفاء هاتَيْن الشّخصيّتَيْن مع ما لهما من أهمّيّة كُبرى، وقد ذكرهما القُرآن الكريم.

# تحليل لمدلولات لُغويَّة

استكمالاً لما سبق؛ نورد ـ هُنا ـ تحليلاً لُغويّاً يُؤكِّد ويُوضِّح لنا نُقطة في غاية الأهمِّيَّة، وهي كشف لمدلولات تسميات لُغويَّة، تُعرِّفنا وتُخبرنا على أصل مَنْ أطلق هذه التَّسميات، وهي لقب يُوسُف عليه السّلام، واسم مُوسى عليه السّلام.

## التّسمية الأُولى: لقب يُوسُف عليه السّلام:

ورد في التّوراة لقب ليُوسُف لقَّبه به الملك؛ وهُو صفنات فعنيح.

العهد القديم: التّكوين إصحاح 41

45 ودعا فرعون اسم يُوسُف صفنات فعنيح.

في البداية؛ معنى اسم يُوسُف في اللُّغة العبريَّة (يزيد)، وقد لقَّبه الملك بهذا اللّقب، بعد أنْ عبَّر وفسَّر له رُؤياه المعروفة، ومعنى اللّقب ـ حسب تفسيري له من اللُّغة العبريَّة ـ هُو أنَّ اللّقب مُكوَّن من مقطعَيْن؛ الأوَّل هُو صفنات ومعناه في قاموس سجيف للُّغة العبريَّة (سرّ مكتوم، مكنون)، وما إلى ذلك من معانٍ.

أمَّا المقطع الثّاني فعنيح، والأصل في نطقها بعنيح، لأنَّ الفاء في بداية الكلمة في اللُّغة العبريَّة تُنطَق باء، ومعناها (فسّر أمراً غامضاً، وفكَّ المغالق)، وما إلى ذلك من معانٍ؛ فمعنى الكلمتَيْن واضح لا لبس فيه.

فيكون المعنى العامّ للَّقب حسب سياق القصَّة هُو «مُعبِّر الرُّؤيا»؛ أيْ أنَّ الملك لقَّب يُوسُف عليه السّلام بمُعبِّر الرّؤيا؛ لأنّه استطاع أنْ يُعبِّر رُؤياه المشهورة. ونجد أنَّ هذا اللّقب كان يُعرَف ما اصطلح عليه اليوم باللُّغة العبريَّة.

## التّسمية الثّانية: اسم مُوسى عليه السّلام:

يقول د. عبد المحسن الخشّاب عند الحديث عن التّسمية: "ما تصوَّره مونتيه من أنَّ السّيِّدة [ابنة فرعون حسب الرّوايَة التّوراتيَّة] أطلقت اسم مُوسى على الطّفل حيثما اتَّفق كأوَّل اسم ورد على

خاطرها... [و] أنَّ السّيدة لم تُفكِّر مطلقاً في كلّ ذلك، وأنَّ مُوسى أو mesy أو messo هُو المقطع الثّاني من الأسماء المصريَّة المُركَّبة، التي كان يتسمَّى بها المصريُّون... إذْ إنَّ مونتيه قد تناول اسم مُوسى كمقطع واحد كما ذكر بالعبريَّة، واعتبره مقطعاً واحداً بمعنى mes (مس) بمعنى وليد أو طفل". (1)

ويقول د. أحمد عبد الحميد يُوسُف: "ويحمل الطّفل اسماً مصريّاً شاع في مصر تلك الأيّام هُو "مُوسى"، وهُو لفظ مشتقّ من مصدر الولادة بمعنى الولد أو الوليد، كان يُطلَق على المصريَّيْن أحياناً مُجرَّداً بهذه الصّورة، أو مقروناً بأسماء آلهتهم في أسماء مُركَّبة... ومهما يكن من شيء، فالذي لا شكَّ فيه أنَّ كاتب التّوراة حسب أنَّ امرأة فرعون إنَّما كانت مصريَّة تتكلَّم المصريَّة، وتُفكِّر بها، وما كان لها أنْ تتحدَّث في حياتها في وطنها بالعبريَّة، حتَّى تتَّخذ للطفل - مع كراهة شائعة للعبريَّيْن يومئذ - اسماً عبريّاً". (2)

ويقول د. علي فهمي خشيم في مبحث قيِّم طويل نقتبس منه: "ينقل الهمداني عن مُحمَّد بن إسحاق (صاحب السّيرة) وهُو يتحدَّث عن أولاد سام بن نُوح قوله: "ومن ولد دان: الفراعنة بمصر. والمشهور أنَّهم العمالق، منهم الرّيَّان بن الوليد، ويُقال الوليد بن الرّيَّان، وهُو الملك في عهد يُوسُف، والوليد بن مصعب الذي كان في عهد مُوسى، وإليه أُرسل" ويذكر ابن منظور أنَّه: "في الحديث أنَّه (أيْ النّبي) دخل على أُمّ سلمة وعندها غلام يُسمَّى الوليد، فقال (النّبي): «اتَّخذتم الوليد حناناً. غيِّروا اسمه»؛ أيْ تتخطَّفون على هذا الاسم، فتحبُّونه. وفي رواية أنَّه من أسماء الفراعنة"، (اللّسان، مادَّة: حنن).

"في هذَيْن النّصَّيْن، وفي مواطن أُخرى كثيرة عند الإخباريِّيْن والمُؤرِّخين العَرَب والمُسلمين، يتردَّد اسم "الوليد" باعتباره من أسماء الفراعنة. فلماذا "الوليد" بالذّات؟! الجواب يكمن في أنَّ هذه الكلمة ليست إلَّا المرادف العَرَبِي لكلمتَيْن أخريَيْن تدخلان في ألقاب ملوك مصر الأقدمين بشكل يكاد يكون متواتر، حتَّى لا يكاد يخلو لقب أيِّ فرعون من أحدهما ... باعتبار الفرعون ابناً لآله من الآلهة ... وقد ظلَّت هذه "النُّبوَّة" الإلهيَّة في ذاكرة الأجيال حتَّى بلغت الإخباريِّيْن العَرَب،

(1) تاريخ اليهُود القديم بمصر، ص 19، 20.

(2) مصر في القُرآن والسُّنَّة، ص89، 91.

فسجّلوها. وكُلُّ ما في الأمر أنّهم استعملوا مرادفاً لـ "ذو" و "م س" هُو "وليد"؛ أيْ ولد صغير= بن... على أنَّ صلة "م س" بـ "وليد" تبدو أكثر جلاءً في موضع آخر؛ إذْ نجد في مادَّة "ولد" في (اللّسان): «وفي الحديث: واقيعةٌ كواقية الوليد، هُو الطّفل، فعيل بمعنى مفعول، أيْ كلاءةً وحفظاً كما يكلأ الطّفل. وقيل: أراد بالوليد مُوسى، على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام، لقوله ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا ﴾ (الشّعراء 18) »، "وليد" إذنْ = "مُوسى"، جذرها "م س".

.... يستشهد ["سيجموند فرويد، في كتابة المشهور (مُوسى والتّوحيد)] باقتباس طويل من عالم المصريَّات المعروف "بريستد". الذي يُؤكّد فيه أنَّ اسم مُوسى... ببساطة هُو الكلمة المصري "م س" التي تعني: طفل (أيْ: وليد)... فإذا قال ابن منظور «إنَّ النّبي ﷺ أراد بالوليد مُوسى»، فهل قول صواب؟! وإذا خاطب فرعون مُوسى: ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا ﴾ (الشّعراء 18) فلا جدال في أنّه كان يُكلّمه بالمصريّة "م س" (أو لنحرّكها: مُوسى، وليس "ولد" أو "وليد"...). [1]

ويمكننا الاستشهاد بقوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾ (القصص 9).

وقوله تعالى: ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ (الشّعراء 16-18).

ونستطيع أنْ نقارن ونُقابل "ولداً / وليداً = مُوسى"، كما فعلنا سابقاً مع أسماء إسحاق ويعقُوب وإسماعيل.

وإنَّ الخلاصة ممّا سبق هي أنَّ مَنْ أطلق اللّقب على يُوسُف عليه هُو ملك من أصل عبراني، وأنَّ مَنْ أطلق الاسم على مُوسى هُو فرعونِي من أصل مصري.

1ـ عبراني ⟵ الملـــك ⟵ صفنات فعنيح "يُوسُف" عليه السّلام.

2ـ مصري ⟵ امرأة فرعون ⟵ مُوسى عليه السّلام.

---

(1) آلهة مصر العَرَبيّة، ص95ـ99.

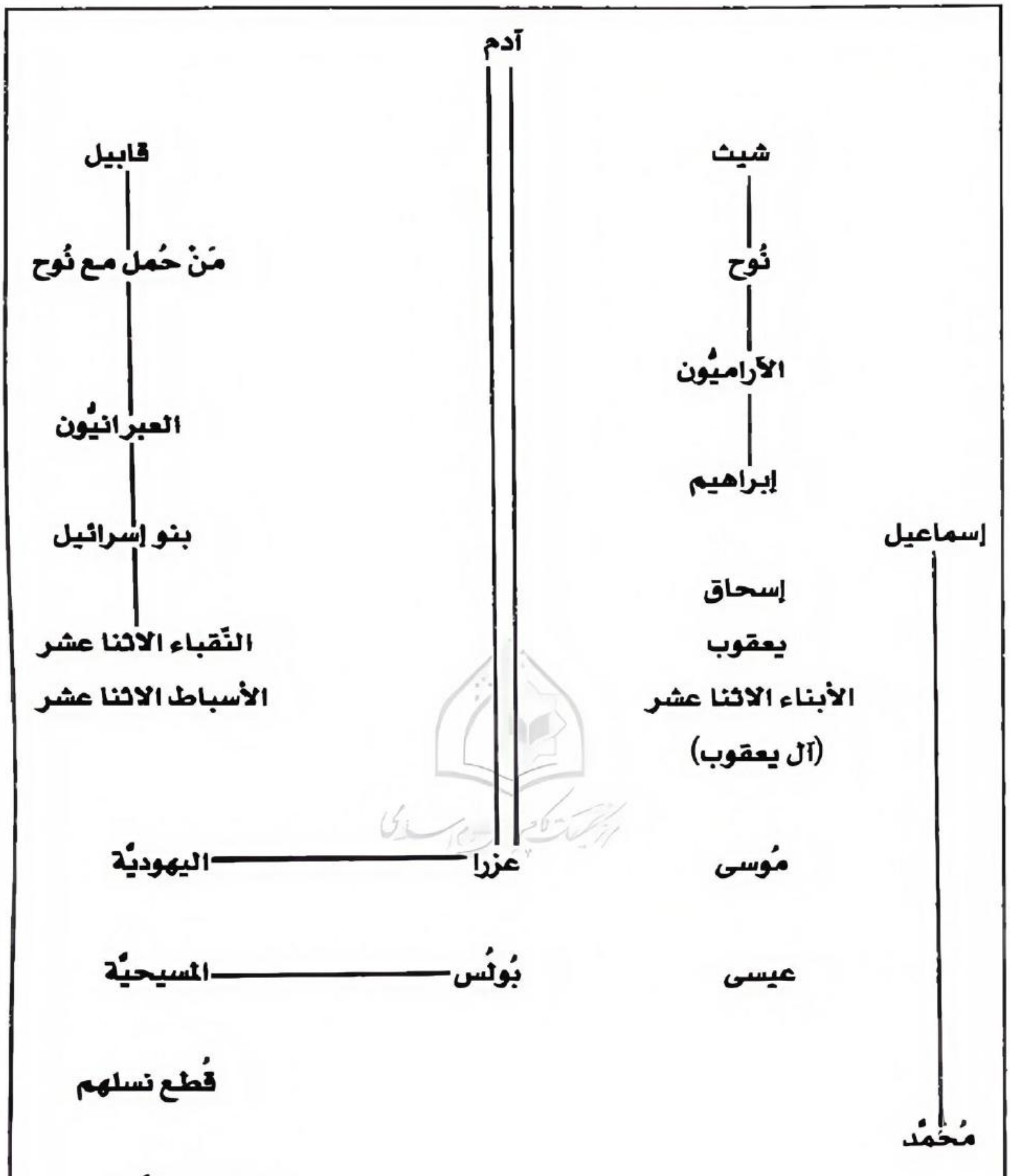


شكل (11): بنو إسرائيل

# شهادات الباحثين والمُؤرِّخين وعُلماء الآثار

في هذا الفصل سوف نستقي ما كَتَبَهُ الباحثون والمُؤرِّخون وعُلماء الآثار من ذكْر أنَّ هُناك فرقاً بين يعقُوب وإسرائيل، أو ألمح على ذلك، وانتقد التّوراة بشكل لاذع لتحريفها في الأُمُور التّاريخيَّة. ولن نُعلِّق كثيراً على ما يُكتَب، ونترك الحُكْم للقارئ:

**1ـ كيث وايتلام:** قال نقلاً عن أُولبرايت "السُّكَّان الإسرائيليُّون الأوائل في فلسطين كانوا مكوَّنَيْن بشكل رئيسي من ثلاث مجموعات: العبرانيِّين قبل الإسرائيليِّيْن، والإسرائيليِّيْن الحقيقيِّيْن، و الكنعانيِّيْن المنتمين إلى أُصُول مُختلفة. اندمج العبرانيُّون بسُرعة هائلة مع أشقَّائهم الإسرائيليِّيْن، حتَّى إنَّ الكتابات التّوراتيَّة بالكاد أشارت إلى أيّ اختلاف بينهم، أمَّا الفوارق القليلة الظّاهرة؛ فكان مشكوكاً فيها. لقد تمَّت السّيطرة الإسرائيليَّة إمَّا عن طريق المعاهدات، أو الغزو، والاندماج التّدريجي". (1)

يذكر أُولبرايت أنَّ الإسرائيليِّيْن لم يكونوا من أصل واحد، وهذا ما ينفي أنَّهم كلّهم لا ينتسبون إلى يعقُوب عليه السّلام. والعبرانيُّون مصطلح لم يُستخدم في المصادر الإسلاميَّة ، وإنْ استُخدم كان مُرادفاً للإسرائيليِّيْن، وإنْ ذُكر بأنَّ العبرانيِّيْن قبل الإسرائيليِّيْن كان المقصود به أنَّ الإسرائيليِّيْن كانوا قبل يعقُوب عليه السّلام.

**2ـ هـ. ا. ديل ميديكو:** "لكنْ؛ مَنْ هُم العبرانيُّون؟ ومن أين جاءوا؟ أسئلة جرى الكثير من النّقاش حولها، وأصبح اليوم بالإمكان الإجابة عنها: لقد دخل العبرانيُّون فلسطين في زمن تلّ العمارنة (حوالي عامّ 1400 ق. م) وهم الهابرو، الذين كانوا يناوشون باستمرار حُكَّام الكنعانيِّيْن. هذا؛ ويتبيَّن من بعض نُصُوص رأس شمرا أنَّهم تحالفوا مع عبدي ـ اشيرتا، الذي أعلن العصيان على الحُكْم المصري، علماً أنَّ المدن التي ذُكرت في العهد القديم مذكورة أيضاً في أخبار وقائع أُوغاريت.

---

(1) اختلاق إسرائيل القديمة، ص144.

إنَّ تقاليد العبرانيّيْن في ذلك الزّمن كانت قريبة من المفاهيم الحثّيّة ومفاهيم بلاد ما بين النّهرَيْن، ويُعتقد أنّهم كانوا يتكلّمون لُغة قريبة من الهيفيّة (لُغة الخطوط الهيروغليفيّة النّيو ـ حثيّة). وقد كان اسم إلاههم الأكبر "ياه" أو "يَهْوَه" تماماً كما كان اسمه في تلك اللُّغة، وكانت تجمعهم قرابة عرْقيّة ولُغويّة مع الحثّيّيْن والهيفيّيْن، ويُشكّلون بقايا الحثّيّيْن الذين ذهبوا، حوالي عام (1900) لغزو بابل. غير أنَّ العبرانيّيْن ما لبثوا أنْ هاجروا أمام ضغوط شُعُوب جاءت من الشّمال (الآشوريّيْن على الأرجح)، فاجتازوا الصّحراء السّوريّة، ودخلوا فلسطين عن طريق جرش. اشتبكوا مع السُّكّان بمعارك ضخّمها كثيراً مُؤلّفو العهد القديم، ثُمَّ استقرّوا في البلاد. فأقام بنو إسرائيل بين الكنعانيّيْن والهيثيب والأمُوريّيْن والعزبزيّيْن والحوّيّيْن واليبوسيّيْن، واتّخذوا بناتهم زوجات لهم، وأعطوا بناتهم زوجات لأبنائهم، وعبدوا آلهتم (قُضاة 3/ 5ـ6)، واندمج العبرانيُّون مع السُّكّان المحليّيْن، إلى درجة استطاع معها حزقيال (6/ 38ـ45) أنْ يقول لشعبه: "أمّكم (والمقصود عرْقكم) حثّيّة، وأبوكم أموري". وهكذا رغم احتلال البلاد، فإنَّ التّاريخ الكنعاني يستمرُّ حتّى هيمنة الأشوريّيْن في ظلّ حُكّام يهُودا وإسرائيل، الذين لم يكونوا من العبرانيّيْن في أغلب الأحيان.

إنَّ هذه الحقيقة الهامّة تظهر بنتيجة حلّ الخطوط الهيروغليفيّة ـ الحثّيّة الجديدة (مكتوبة بالهيفيّة)، ومن خلال قراءة نُصُوص رأس شمرا (مكتوبة بالكنعانيّة). وإذا قمنا بمُقارنة هاتَيْن اللُّغتَيْن مع لُغة التّوراة العبريّة تظهر لنا نُقطة على درجة كبيرة من الأهمّيّة: إنَّ اللُّغة الكنعانيّة ـ وهي لُغة ساميّة ـ تتضمّن بعض التّعابير المأخوذة عن المصريّة. وهذا طبيعي؛ لأنَّ الزّمن الذي كُتبت فيه نُصُوص رأس شمرا هُو زمن عرفت فيه البلاد هيمنة مصريّة، وبالتّالي؛ فإنَّ العادات والمُعتقدات المصريّة كانت قد تسرّبت إلى فلسطين، وتحرّرت البلاد من الاحتلال المصري بنتيجة تحالف العبرانيّيْن مع عبدي ـ اشيرتا، غير أنَّ ذلك لم يؤدِّ إلى تغييرات جذريّة على مستوى الحضارة. وفي فترة لاحقة، عندما أخذ العبرانيُّون (وقد اندمجوا بالكنعانيّيْن) يكتبون توراتهم، اختفت التّعابير المصريّة بكاملها تقريباً، لا، بل تمَّ الاستغناء حتّى عن بعض التّعابير السّاميّة. واختفت هذه التّعابير، وحلّت محلّها تعابيرُ أكثر استعمالاً في الحياة اليوميّة، وهي من أصل حثّي وهيفي. لذا؛ يمكن الافتراض ـ دون أنْ نبتعد عن الحقيقة ـ بأنَّ العبرانيّيْن لم يكونوا ساميّيْن أصلاً، بل كانوا أحفاد شُعُوب تتكلّم لُغة هنديّة ـ

أوروبيّة من مجمّعة (كنتوم) كانت قد وقعت تحت تأثير السّومريّيْن أكثر ممّا كانت قد تأثّرت بساميّي بلاد ما بين النّهرَيْن.

ولم يتمّ ذوبان العبرانيّيْن بالسّاميّيْن إلّا بعدما امتصّهم السُّكّان المحلّيّون. وفي فترة لاحقة وبتأثير عامل خارجي سيطر عليهم، اعتبروا أنّ مصر هي عدوّهم التّقليدي، وأخذوا يحتفلون "بالخُرُوج من مصر" كعيد تحريرهم.(1)

3ـ أندريه لومير: "ليست أُصُول الشّعب العبراني متوفّرة للمُؤرِّخ بشكل مباشر: وليس ثمّة من شاهد خارجي يحدّثنا عن إسرائيل... إنّ بعض المُؤرِّخين المُحدثين الذين كتبوا تاريخ إسرائيل القديمة أعادوا (عهد البطاركة)... إنّ في حوزتنا، بالنّسبة إلى فلسطين في فجر هذه المرحلة، شاهداً أساسيّاً هُو رسائل تلّ العمارنة، وهي مُراسلات حُرِّرت باللُّغة الآكاديّة بين أُمراء أو أسياد سوريا ـ فلسطين والفراعنة... وقد وصلتنا أسماء ملوك عدّة حواضر (مدن ـ دولة) في فلسطين، وهم: لابايو في شكيم، وعبدي هبة في أُورشليم، وملكيو في جازر. وكان هؤلاء الملوك ـ طلباً للمعونة ـ يتحالفون مع الحابيرو (أو الهابيرو).

الهابيرو (أبر بالأبجديّة الأوغاريتيّة وعابيرو بالمصريّة)، كان هؤلاء ـ على ما يبدو ـ منتشرين ـ حينئذٍ ـ على أطراف الهلال الخصيب كشعب غير مستقرّ وفوضوي يقوم بخدمة مَنْ يدفع له أكثر، سواء كأيد عاملة في الأعمال المدنيّة الكُبرى، أو كمرتزقة في الجيش ؛ إذْ التّعبير التّوراتي (عبري) كالتّعبير (عابيرو) المُستخدَم في النُّصُوص التي تعود إلى المرحلة ما قبل الملكيّة، يعني ـ أحياناً ـ عرْقاً، وأحياناً تسمية اجتماعيّة. ومن المُستحيل عدم تقريب التّعبيرَيْن أحدهما عن الآخر. ويبدو أنّ أصول الشّعب العبير توضع في الإطار العامّ لحركة الهابيرو ـ العابيرو ـ في النّصف الثّاني من الألف الثّاني ق.م.

والواقع أنّ التّقاليد التّوراتيّة تُقدّم البطاركة كغُرباء بالنسبة إلى الشّعب المحلّي (سفر التكوين 23/ 4)، كنصف رُحّل على طريق الاستقرار، يقودون قطعانهم، وينصبون خيامهم حيثُ يجدون مرعى

---

(1) التّوراة الكنعانيّة، ص25ـ27.

لقطيعهم الصّغير. ويقودون قطعانهم غالباً قرب المدن التي يزورون معابدها الخارجيّة. وكثيراً ما كانوا يجهدون في إقامة علاقات طيبة مع السّلطات المحلّيّة، ولم يكن ذلك يعفيهم - أحياناً - من استخدام الحيلة والعُنف. وكانت هذه الجماعات لا تختلط بالشُّعُوب المحلّيّة، كما كانت ترفض الزّواج من الفتيّات الكنعانيّات (تكوين 24/ 3). وكانت الخليّة الأساسيّة لحياتهم الاجتماعيّة والاقتصاديّة هي العائلة الموسّعة (بيت الأب) أو العشيرة التي تعيش، إلى حَدٍّ ما، في نظام التقاء ذاتي، وكانت هذه العائلات البطريركيّة تصرُّ على المُحافظة على هُويّتها وتقاليدها الخاصّة، وخاصّة عبادة إله آبائها.

ويُتيح لنا تحليل التّقاليد التّوراتيّة أنْ نُميِّز، في بداية الاتّحاد الإسرائيلي، أربع فئات أساسيّة تمت إلى البطارقة إبراهيم وإسحاق ويعقُوب وإسرائيل. الفئتان الأوّليّان هما أصل "بيت يهوذا" والفئتان الأُخريَتان هما في أصل "بيت إسرائيل".

ويُضيف أندريه لومير تحت عُنوان إسرائيل - يُوسُف: "واتّحد وجه البطريرك يعقُوب بوجه إسرائيل (تكوين 32/ 29) على أثر معاهدة بني إسرائيل مع بني يعقُوب. وكانت جماعة بني إسرائيل متميِّزة عن بني يعقُوب. إنَّ اسم "إسرائيل" مشتقّ - على الأرجح - استناداً إلى معطيات الطّبوغرافيّة التّاريخيّة من عشيرة تُسمَّى - أيضاً - "إسرائيل" استوطنت جبل إفرايم في مكان لا يبعد كثيراً عن معبد شيلو. والعشيرة والمعبد ينتميان إلى الجماعة التي عاشت محنة الخُرُوج من مصر بقيادة مُوسى، ثُمَّ يشوع. وكان جبل إفرائيم - في إحدى الفترات التّاريخيّة - مُنظّماً بطريقة يتمتّع فيها باستقلال ذاتي، ويُعرَف "ببيت يُوسُف" (قُضاة 1/ 22)، ويُوسُف هذا هُو الذي اعتُبر الجدّ الرّمز لهذه الجماعة التي لعبت دوراً مركزيّاً في تشكيل الاتّحاد الإسرائيلي.

أقامت جماعة آل يُوسُف / آل إسرائيل العبرانيّة بعض الوقت في مصر بلاد غوشن.[1] على الحدود الشّرقيّة لدلتا النّيل، وسُخِّرت - بنوع خاصّ - في أشغال بناء مدينتَيْ الخزن المصريّتَيْن فيتوم ورعمسيس (خُرُوج 1/ 11)، واستطاعت هذه الجماعة بقيادة مُوسى، وهُو عبري تلقّي ثقافة مصريّة، أنْ تغادر مصر في ظلّ حُكْم الفرعون رعمسيس الثّاني....

---

(1) وهُو ما ذكرنا سابقاً بأنَّ نقطة التقاء آل يعقُوب مع بني إسرائيل كانت مصر.

ويُضيف ـ أيضاً ـ أندريه لومير في موضع آخر تحت عُنوان الاتِّحاد الإسرائيلي:

"اصطدم بنو إسرائيل ـ أثناء توسُّعهم نحو الشّمال ـ بجماعة بني يعقُوب المقيمين إلى الشّمال والشّمال الشّرقي من شكيم، وأدّى هذا التّصادم إلى إقامة عهد بينهم هُو "عهد شكيم" الذي تُسمع له أصداء كثيرة في التّوراة، وخاصّة في سفْر يشوع 24... وأدّى هذه العهد إلى اتِّحاد بقيادة بني إسرائيل: اعتبَرَ يشوع أنَّ يَهْوَى هُو الإله الوحيد لهذا الاتِّحاد، بعد أنْ استبعد كلّ إله "غريب". رُبّما كان هذا الإله الغريب فاحاد[1] "إله آباء بني يعقُوب" (يشوع 24 / 23)، تكوين 35/ 2)... وكانت الوحدة ـ قبل كلّ شيء ـ وحدة دينيّة: الاعتراف بيَهْوَى كإله وحيد واحترام أعياده (أيّام السّبت)، ولا يُلمَح إلى أيّة بنيَة أو مُؤسّسة اتِّحاديّة". [2]

4ـ تُوماس ل. طومسون، وهُو من أشدّ المُشكِّكين في التّاريخ التّوراتي الإسرائيلي، قال المترجم صالح علي سوداح عن المُؤلِّف وعن كتابه: "ويأتي كتاب تُوماس طومسون "التّاريخ القديم لشعب إسرائيل" لينقض ـ بشكل جذري وقاطع ـ تاريخيّة هذه المرويّات. صدر الكتاب عن دار جريل الهولنديّة سنة 1992، وحتى تاريخ صُدُور الكتاب كان طومسون أُستاذ علم الآثار في جامعة "ماركويت" في ميلواكي ـ الولايات المتّحدة الأمريكيّة. أمّا بعد صدور الكتاب؛ فقد جرى طرده من الجامعة، ولم تشفع له مكانته العمليّة ولا منهجيته الصّارمة في البحث التّاريخي...".

وممّا ذكره تُوماس ل. طومسون في كتابه: "... رغم أنَّ نظريّة ألت حول أصول إسرائيل لا تعتمد على مفهوم التّحالف القبلي أو "الجماعة الدّينيّة" فقد قال باتِّحاد القبائل الاثنتيْ عشر حوْل معبد مركزي على أساس المُقارنة مع يد أيوالد، وتطوّرت إلى شكلها الكامل على يد نوث، وقد خدمت ألت إذْ قدّمت له الوحدة التي احتاجها لشرح تشكُّل المجتمع القومي في عصر القُضاة قبل نشوء الملكيّة السّياسية المركزيّة على يد شاول وداود وسليمان. توسّع نوث في شروحه عن التّحالف القبلي شكّل عُنصُراً أساسيّاً في جهُود ألت الرّامية إلى إثبات تاريخانيّة (تاريخيّة) عصر القُضاة كحقبة في تاريخ إسرائيل القديمة. هذه النّظريّة أيّدها ويبرت خلال السّنوات الأخيرة، وبشكلها المُعدَّل،

---

(1) فاحاد في اللُّغة العبريّة معناها واحد.

(2) تاريخ الشّعب العبري، ص9ـ16.

لعبت دوراً هامّاً في نظريّات غوتولد حول أُصول إسرائيل كثورة لفُقراء مُـدُن كنعـان. كـما واجهـت انتقادات مُدمِّرة من عدَّة اتّجاهات.

إحدى الصّعوبات الأساسيَّة التي يواجهها الدّارسون في مجال تقييم نظريَّة الجماعة الدّينيَّة التـي قال بها ألت، وتوسّع بشرحها نوث، هي أنّه لم يوجد تعريف واضح أو فَهْـم مُـشترك لمفهـوم الجماعـة الدّينيَّة. ولذلك، فـإنَّ نقـد أو رفـض مظـاهر التّـشابه (كالعـدد 12 والـشّبه مـع التّقاليـد الإغريقيّـة وعلاقات الشُّعُوب البدويَّة) يمكن قبوله من دون نفي فائدة هذا التّصوُّر كأساس للمُقارنة مع وحدة إسرائيل القديمة؛ لأنّه كمُجرَّد تشابه بصعب تزويره، وحتّى سـمَّته بــ "الحـرب المُقدَّسـة". وفي أيّ حال، فإنَّ رأي سمند القائل بأنَّ "الإشارات التّوراتيَّة إلى تحالف قبلي هي عناصر ثانويَّة في الرّوايـات المتعلّقة بالحرب المُقدَّسة"، ورأي مايبس القائل بأنَّ اثنَيْ عشريَّة القبائل الإسرائيليَّة تعود بأصـلها إلى تصوُّر لاحق للنّظام الإقليمي في عهد سليمان، تُضعف كثيراً استنتاج نـوث القائـل بإمكانيَّـة اعتبـار عصر القُضاة مرحلة تاريخيَّة. الحلف ـ وهُو السّبب الوحيد الذي يجعلنا نتحدَّث عن إسرائيل في هـذه الفترة ـ هُو رابط توحيدي بين القبائل الاثنَيْ عشر. وبالإضافة لذلك، فإنَّ وُجود معبد مركزي لكـلّ الجماعات الدّينيَّة في فلسطين يستند على مزاعم غير مؤكّدة ومشكوك بها تقول بتاريخ سـابق للملكيَّـة للروايات ذات الأسلوب الثّنائي في يشوع 24 والقُضاة 19. وأخيراً، إنَّ ميثاقاً اجتماعيّاً يُوحِّد القبائـل التي تُشكّل إسرائيل ـ حتّى ولو افترضنا للحظة أنّها وُجدت كحقـائق تاريخيَّـة ـ والمتباعـدة جغرافيّاً والمُنفصلة عن بعضها البعض كما زعموا أنّها كانت ـ يصعب تصوُّره تاريخيّاً، مهـما كانـت المُقارنـات التي نُجريها. (1)

وممّا ذكره طومسون أيضاً: تحت عُنوان إسرائيل ككيان قومي: "عندما يُنسب هذا البناء المُعـاد تركيبه إلى نُصُوص الآشوريَّة والمرويَّات التّوراتيَّـة والبيانـات اللُّغويَّـة، يـصبح مـن الـصّعب تجنُّـب استنتاج أنّه بالنّظر لاستقلال أُصُول دولتَيْ إسرائيل ويهُودا، في القرن السّابع، تماماً عن بعضهما، فمـن غير المحتمل أنْ تكون لهما قاعدة إثنيَّة مُشتركة، أكثر ممّا لأيّ دولتَـيْن متجـاورتَيْن في المـشرق الجنـوبي. إسرائيل نشأت عن اقتلاع السُّكّان الزّراعيّيْن في الأراضي المُنخفضة بتـأثير القَحْـط الميسيني الكبـير،

---

(1) التّاريخ القديم للشّعب الإسرائيلي، ص35، 36.

ونشأت يهُودا عن التّوسُّع في صناعة الزّيتون، التي دعمتها التّجارة الدّوليّة، وأدت إلى إجبار التّاسع إلى القرن السّابع، في أفضل الفُرُوض، دُويلتَيْن فقيرتَيْن في منطقة المُرتفعات. ورغم أنّ إسرائيل قد لعبت دوراً في الصّراع على النّفوذ قبل دخول الآشوريّيْن إلى المنطقة، فإنّ أيّاً منهما لم تكن مسيطرة على فلسطين. وُجُود "المملكيّة الموحّدة" التّوراتيّة، خلال القرن التّاسع، ليس غير ممكن فقط؛ لأنّ السُّكّان لم يكونوا قد استقرّوا بعد، بل ـ وأيضاً ـ لأنّه لم تكون قد وُجدَتْ ـ بعدُ ـ قاعة سياسيّة أو اقتصاديّة غير إقليميّة في فلسطين، قبل توسُّع نفوذ الإمبراطوريّة الآشوريّة إلى المشرق الجنوبي....

... تنوُّع سُكّان فلسطين خلال النّصف الأوّل من الألف الأوّل ق.م، تُعزِّزه البيِّنات اللُّغويّة المحدودة المتوفّرة لدنيا. أوّلاً، تدعو الضّرورة إلى فَصْل عبرانيّة المرويّات التّوراتيّة عن هذه المجموعة الواسعة من اللُّغات المتنوِّعة التي تظهر في آثار النّقوش. والتّشويهات الصّرفيّة في المرويّات المازوريتيّة، لا تُوجب علينا أنْ نتعامل مع هذه المصادر بأساليب منهجيّة مُختلفة فحسب، بل وقد قدّم أليندورف وكنوف أسباباً لاعتبار عبرانيّة التّوراة نموذجاً أدبيّاً مصطنعاً، يعود تاريخه إلى منتصف الألف الأوّل. ق.م: إلى منتصف الأوّل ب.م. لدى تحليل تنوُّع اللّهجات في آثار النّقوش في فلسطين الكبرى خلال بدايات الألف الأوّل ق.م، يظهر بين اللّهجات "الكنعانيّة" المُختلفة، والتي تعود جذورها إلى السّاميّة الغربيّة القديمة "الأموريّة" تمايزات وارتباطات مثيرة للاهتمام. "الكنعانيّة الغربيّة" (الفينيقيّة، ولهجتَيْن إسرائيليّة ويهُوديّة أو أكثر)، تميّز نفسها عن "الكعنانيّة الشّرقيّة" (عمونيّة، مؤابيّة، أدوميّة)، كما يمكن تمييزها عن "كنعانيّة الأطراف" (يهُوديّة، عمونيّة، مؤابيّة، أدوميّة)، والمؤكّد هُو أنّ رأي هالبرين القائل بضرورة الاهتمام بالمواقع الجغرافيّة والأوضاع الاجتماعيّة وتحوُّلاتها، لدارسة آثار النّقوش، يقوم على أُسُس جيّدة. التّطوُّرات شبه ـ الإثنيّة في المرتفعات الوسطى تحت الحُكْم المركزي للسّامرة (وهي إسرائيل النُّصُوص الآشوريّة والمؤبيّة) لا تحلّ المسائل المتعلّقة بإثنيّة أو أُصُول إسرائيل التّوراتيّة. ليس هُناك تواصل لا في السُّكّان ولا في الإيديُولُوجيا بين إسرائيل السّامرة وإسرائيل المرويّات. في المرويّات التّوراتيّة، السّامرة إسرائيل زائفة ـ أسباب هذا التّقويم المُختلف لأهمّيّة اسم إسرائيل واضحة ومُفيدة.[1]

(1) التّاريخ القديم للشّعب الإسرائيلي، ص 284، 285، 286.

5ـ كاتلين. م كينون ذكرت في كتابها "الكتاب المُقدَّس والمُكتشفات الآثاريَّة الحديثة" (وهي ابنة مُؤلِّف كتاب التوراة وعلم الآثار: ".... هذه ـ إذنْ ـ خلفيَّة قَصَص الآباء الواردة في سفر التكوين، ويبقى أنْ نُشير ـ باختصار ـ إلى قضيَّة الأساس التّاريخي لهذه الحكايات، فالزّمن الطّويل الذي انقضى على الحوادث قبل تدوينها يجعل من التّعذُّر اعتبارها سجلاً تاريخيّاً، وقد بحث النّاقدون الأدبيُّون والمشتغلون في دراسة النُّصُوص في كيفيَّة تفسيرها. ومن المتَّفق عليه ـ بصورة عامَّة ـ أنَّ الذي قام بتحرير سفْر التّكوين في القرن العاشر ق.م. حاول أنْ يجمع ـ في قصَّة واحدة ـ الحكايات الشّائعة بين القبائل والمجموعات التي اجتمعت ـ فيما بعد ـ لتُكوِّن شعب إسرائيل. وكثير من المختصِّين يتَّفقون على أنَّها قبائل مُتفرِّقة، ومن الأرجح أنْ تكون إحداها قبيلة إبراهيم وإسحق. وقبيلة يعقُوب[1] قبيلة أُخرى، وقد تمَّ ـ فيما بعد ـ إيجاد صلة قرابة بينهما. ولعلَّ عائلة إبراهيم هي من أعالي بلاد ما بين النّهرَيْن، وعائلة يعقُوب من شرقي الأردن. وبعض عناصر القصَّة يمكن أنْ يكون لها أساس تاريخي، ويفتقد بعضها الآخر إلى ذلك، ولكنَّ المختصِّين يختلفون ـ تماماً ـ حوَّل ما يمكن اعتباره تاريخيّاً. ولكنْ؛ من الواضح ـ تماماً ـ أنَّ مجموعات الآباء وقبائلهم كانت دخيلة على فلسطين، ولكنَّ بعض التّقاليد التي تخصُّ شكيم وبتيل وبئر سبع يمكن اعتبارها متَّصلة بدخول المجموعات الإسرائيليَّة القديمة إلى فلسطين، ولكنْ؛ من المرجَّح أنَّه لا توجد علاقة بين قصَّة الآباء وقصَّة الخُرُوج. والانقطاع بين سفْر التكوين وسفْر الخُرُوج تامٌ....

... ومن المرجَّح ـ أيضاً، في ضوء هذه الأحداث ـ أنْ يقبل المرء ببعض من الرّابطة بين (عبيرو ـ خابيرو) في القرن الرّابع عشر ق.م. ليس هُناك من قبول عامٍّ للرابطة بين العبرانيِّين و «الخابيرو» إلّا أنَّ التّفسير الأكثر احتمالاً هُو أنَّ العبرانيِّين كانوا يشكِّلون جزءاً من مجموعة أوسع بكثير؛ وهي الخابيرو، وعندما دخل الإسرائيليُّون الأوائل فلسطين وجدوا هُناك عناصر مستقرَّة من مجموعات الخابيرو المزعجة في القرن الرّابع عشر ق.م، الذين يرتبطون معهم بارتباطات عرْقيَّة وثقافيَّة. والنّتيجة أنَّ هؤلاء المستقرِّين الأوائل تداخلوا فيما بينهم بسهولة كبيرة. وقد تُشكِّل هزيمة (سيمون وليفي) ـ في بلدة شكيم ـ جزءاً من تُراث مُحاولة قديمة غير ناجحة للاستقرار. إنَّ صهر التّقاليد المُختلفة كلّها

---

(1) المُفترض أنْ يكون إسرائيل، ولعدم معرفة الفرْق بين إسرائيل ويعقُوب في التّوراة يكون هذا الخلط.

مُنذُ عصر الآباء فصاعداً بُني على الأهمِّيَّة الكبيرة للرُّؤى التي أوحى بها الرَّبُّ "يَهْوَه" لُموسى كما وُصِفَتْ في سفر الخُرُوج، وحمايَة الرَّبِّ "يَهْوَه" لشعبه في أحداث الخُرُوج. (1)

6ـ زياد عبد الرّحمن كَتَبَ دراسة في صحيفة الحياة السّعوديَّة نُشِرَتْ في جُزءين، وممّا قاله في الجزء الأوَّل منها: "يقول تُوماس تومسون: (هُناك قناعة متنامية لدى الدّراسين بأنَّ قَصَص إبراهيم هي ـ نسبيّاً ـ أحدث إنتاجاً من قَصَص يعقُوب ومُوسى، علماً بأنَّ إبراهيم أقدمهم جميعاً)...

وفي كتابه الأخير (الكتاب المُقدَّس في التّاريخ: كيف يصنع الكُتَّاب ماضياً؟)، يقول تُوماس تومسون في مقدّمته تحت عُنوان «السّجال الأكاديمي»: (اليوم لم يعد لدينا تاريخ عن إسرائيل... وبات بوسعنا القول بثقة لا يُستهان بها إنَّ الكتاب المُقدَّس ليس تاريخاً لماضي أي قوم). وفي هذا الإطار يتحدَّث عمَّا يشبه عمليَّة غسل الدّماغ التّوراتيَّة حول منشأ إسرائيل. فنحن لا نعرف هذا المنشأ إلَّا من خلال التّوراة. لكنَّ هذا لا يمنحنا القُدرة على التّثبُّت من صحَّة هذه الرّوايات التّوراتيَّة كأحداث تاريخيَّة، ما لم يكن لدينا في المقام الأوَّل تاريخ مُنفصل ومستقلٌّ من شأنه أنْ يكون مصدراً لُمقارنة الكتاب المُقدَّس له". (2)

7ـ عبد الوهاب المسيري ذكر في موسوعة اليهُود واليهُوديَّة والصّهيونيَّة تحت عُنوان القبائل العبرانيَّة الاثنتا عشرة: "....وقد انتظمت مجموعة القبائل العبرانيَّة (في العصر التّالي لُموسى) والمُسمَّى (فترة القُضاة) في اثنتَيْ عشرة قبيلة، أو اثنَيْ عشر سبطاً، على ما جرت عادة النّظام الاجتماعي للتجمُّعات الكنعانيَّة في فلسطين في العصور القديمة. وتسمَّتْ هذه القبائل بأسماء أبناء يعقُوب: رؤبين وشمعون ويهوذا ويساكر وزبولون وبينامين وادن ونفتالي وجاد وأشير وإفرايم ومنسي، وتُضاف إليها قبيلة لاوي. وسُمِّيت هذه القبائل معاً "يسرائيل"، فهي من صلب يعقُوب (يسرائيل)....

---

(1) الكتاب المُقدَّس والمُكتشفات الآثاريَّة الحديثة، ص39، 41، 42.

(2) أعتقد أنَّه لدينا نحنُ المُسلمين هذا المصدر ألا وهُو القُرآن الكريم والسُّنَّة المطهَّرة. صحيفة الحياة، 5/ 12/ 1420هـ - 11/ 3/ 2000م، عدد 13514.

وجدير بالذِّكر أنَّ العدد (12) رَقْم مفضَّل في العهد القديم، فهُناك وعد من الرَّبِّ لإبراهيم بأنْ يُخرج من نسل ابنه إسماعيل اثنَيْ عشرة قبيلة (تكوين 17/ 20)، كما أنَّ عدد أبناء يعقُوب كان اثنَيْ عشر أيضاً، وهُو نفسه الرَّقْم الذي يتكوَّن منه اتِّحاد ملوك الحيثيِّين. وربَّما كان لذلك علاقة بعدد البروج والشّهور في التّقاويم الشّهيرة. ومع هذا تختلف الرّوايات في عدد القبائل على وجه الدّقّة. فأُغنيَّة (بورة) (قُضاة:5) تذكر عشر قبائل وحسب، ولا تذكر يهوذا أو شمعون. ويذكر مُوسى (تثنية 33) إحدى عشرة قبيلة؛ إذْ لا يذكر شمعون؟. [1] وهُناك قبائل ورد ذكْرها، ولم يُعرَف مصيرها، كما أنَّ بعض المراجع التي حصرت كلّ الأسماء تذكر أنَّ عدد القبائل يبلغ عشرين". [2]

وقال المسيري ـ قبل ذلك عندما تحدَّث عن العبرانيِّين ـ: "ولم يكن العبرانيُّون جماعة عرْقيَّة مُتجانسة مُنذُ البداية، ولذا؛ يقرنهم بعض المُؤرِّخين بالخابيرو. ومن المعرف أنَّهم ـ عند هجرتهم من مصر، لم يكونوا عُنصُراً عبرانيّاً خالصاً؛ إذْ تقول التّوراة (خُرُوج 12 / 38 – عدد 11/ 4) إنَّهم كانوا يضمُّون في صُفُوفهم لفيفاً كثيراً من غير العبرانيِّين، وبعد تسلُّلهم إلى كنعان، اختلطوا بالعناصر الحوريَّة والحيثيَّة والكنعانيَّة، حتَّى استوعبتهم الحضارة الكنعانيَّة هُناك، فتركوا لهجتهم السّاميَّة القديمة، واتَّخذوا الكنعانيَّة لساناً لهم". [3]

8ـ موسوعة المعرفة ذكرت تحت عُنوان تاريخ اليهُود، وفي عُنوان فرعي يحمل عُنوان اختلاف اليهُود في معرفة أُصُولهم من واقع التّوراة: "وإذا سلَّمنا جدلاً بهذا التّاريخ الأسطوري الذي دوَّنه اليهُود نجد أنَّهم ـ هُم أنفسهم ـ قد اختلفوا وتباينت آراؤهم عند حديثهم عن أُصُولهم الأُولى، فقد جاء في (أشعياء 19/ 18) أنَّ النّبي أشعياء على أيّام السّبي البابلي ينسبهم إلى كنعان، ويُسمِّي اللُّغة العبريَّة نفسها (لسان كنعان)، بينما جاء في التّوراة [التّثنية] (إصحاح 26/ 5) على لسان مُوسى نفسه (كان أبي آراميّاً تائهاً)، وليس كنعانيّاً. أمَّا كنعانيّاً؛ فلأنّه ناصب اليهُود العداء، فقد حظي منهم بنسبة إلى حام بن نُوح أبي العبيد كما يقولون، الذي لا يُولد له من سُلالته الأسود الوجوه.

---

(1) بإمكاننا إضافة هذه الأدلَّة إلى ما توصَّلنا إليه عند الحديث عن الأسباط في تضارب العهد القديم من قضيَّة مَنْ هم الأسباط وعددهم أيضاً.

(2) موسوعة اليهُود، مُجلَّد 4، ص142.

(3) موسوعة اليهُود واليهُوديَّة والصّهيونيَّة، ص112، 113 مُجلَّد 4.

هذا؛ مع العلم بأنّه قد ورد في (سفر التّكوين، إصحاح 10،95) أنَّ كنعان سُلالة ساميَّة لعلَّها أنقى في ساميَّتها من اليهُود أنفسهم.

"وإذا رجعنا إلى التّوراة، كتابهم المُقدَّس، وبحثنا عن أُصُول هذه المجموعة البشريَّة، نجد أنّها سُمِّيَتْ عبر التّاريخ بأسماء مُختلفة، فقد سُمُّوا - أوّلاً - (عبريُّون)، ثُمَّ قيل لهم (بنو إسرائيل) وأخيراً؛ عُرفوا (باليهُود). [1]

9- مُحَمَّد وحيد خيَّاط يذكر في كتابه: "تفترض التّوراة وُجُوداً تاريخيّاً عريقاً في القِدَم لشعب إسرائيل في فلسطين، رغم عدم استطاعة القبائل الإسرائيليَّة دخول الأرض الكنعانيَّة قبل القرن الثّاني عشر قبل الميلاد، ويتجلَّى هذا الافتراض من خلال السّرد التّوراتي لقَصَص الآباء الأوائل لبني إسرائيل في سفر التّكوين، واستعباد المصريِّيْن لبني إسرائيل في أرض مصر، ثُمَّ خُرُوجهم منها على يد محرِّرهم وقائدهم مُوسى، كما يرد في بقيَّة أسفار التّوراة.

والمشكلة التي تُطالعنا في فَهْم الحوادث التّاريخيَّة الواردة في التّوراة هي أنَّ كاتبيها لا يتمتَّعون بالحسِّ الزّمني لترتيب الأحداث، فجاءت متداخلة فيما بينها، متضاربة ومتعارضة في آن واحد، فكثير من العادات والتّقاليد التي كانت سائدة في زمن ما تُنقَل بجرَّة قلم إلى زمن تسود فيه علاقات أُخرى، لا تمتُّ بأيَّة صلة إلى تلك.

وقد رأى الباحثون الألمان بعد دراسات مستفيضة أنَّ إسرائيل لم تظهر كشعب على الأرض الفلسطينيَّة قبل القرن الثّاني عشر .ق.م، وذلك باندماج عدَّة شُعُوب غير متقاربة أو متماثلة عبر حقب زمنيَّة طويلة، تجسَّدت فيما يُسمَّى بنظام اتِّحاد القبائل الإسرائيليَّة الاثنَيْ عشر، الذي يغلب عليه الطّابع الدّيني البحت، والمتمثِّل بوُجُود إله واحد يُدعى يَهْوَه داخل معبد مركزي ظهر لأوّل مرَّة في مدينة شكيم، ثُمَّ انتقل إلى مدينة أُخرى تُدعى بيت إيل، وبعدها إلى مدينة شيلوه.

وتبعاً لآراء الباحثين الألمان لم يكن للقبائل الإسرائيليَّة أيُّ ماضٍ مُشترك قبل هذا التّاريخ؛ أيْ قبل اتِّحاد القبائل الاثنَيْ عشر المتباينة، أمّا الآباء الأُصُول لبني إسرائيل أبراهام وإسحاق ويعقُوب،

---

(1) موسوعة المعرفة، المجلّد الثّالث، ص434.

وهي الشّخصيَّات البارزة في التّاريخ التّوراتي، فما هي ـ في الحقيقة ـ إلّا شخصيَّات مبهمة، ورموزاً استخدمها كُتّاب التّوراة بمزيد من التّبجيل والتّقديس؛ ليُضفوا عليها الطّابع القومي، والأصل المُشترك الذي انحدر منه بنو إسرائيل.

ويؤكّد الباحثون الألمان.. كلّ ما تقرأ عنهم في أسفار التّوراة ما هُو إلّا صدى لعلاقات لم تكن موجودة أصلاً، وإنّما ظهرت في وقت مُتأخّر من عهد القُضاة، أو قد تكون مجرَّد خُرافات ابتدعها خيال كُتّاب التّوراة في عهد السّبي البابلي (انظر كتاب مارتن نوت، تاريخ إسرائيل ص / 54 / باللُّغة الألمانيَّة).[1]

**10**ـ شوقي أبو خليل: "إنَّ مصطلح (العبري)، أو (العبراني) كان يُطلَق في نحو الألف الثّانية قبل الميلاد، وفيما قبل ذلك على طائفة من القبائل العَرَبيَّة في شمال جزيرة العَرَب في بادية الشّام، وعلى غيرهم من الأقوام العَرَبيَّة في المنطقة، حتَّى صارت كلمة (عبري) مرادفة لابن الصّحراء أو البادية بوجه عامٍّ، وبهذا المعنى وردت كلمة (الإبري)، أو (الهبيري)، أو (الخبيرو)، أو (العبيرو)، في المصادر المسماريَّة والفرعونيَّة، ولم يكن للإسرائيليِّيْن والموسويِّيْن واليهُود أيّ وُجُود بعد.

ومصطلح عبري أو عبراني لم يرد في القُرآن الكريم مطلقاً، وإنّما ورد فيه ذكر الإسرائيليّيْن، وقوم مُوسى، ويهُود "الذين هادو"، أمّا كلمة عبري للدّلالة على اليهُود؛ فقد استعملها الحاخامون بهذا المعنى في وقت مُتأخّر في فلسطين.

وأظهرت الاكتشافات الأثريَّة الأخيرة أنَّ كلمة إسرائيل كانت اسماً لموضع في فلسطين، وهي تسمية كنعانيَّة، وبهذا المعنى وردت في الكتابات الفرعونيَّة التي ترجع إلى ما قبل عصر مُوسى، كما أنَّ إبرام (إبراهيم) ويعقُوب ويُوسُف، وردت في الكتابات الفرعونيَّة، وهي تعود إلى ما قبل عصر مُوسى، ممّا يدلُّ على أنّها كنعانيَّة أيضاً.[2]

---

(1) قراءات في التّوراة على ضوء المُكتشفات الأثريّة الحديثة، ص 9ـ11.

(2) أطلس القُرآن، ص45، 46.

11ـ فضل بن عمّار العماري ذكر فيما يتعلّق بنسب بني إسرائيل: "وفيما يتعلّق ببني إسرائيل، فإنَّ القُرآن الكريم يثبت أنَّ نسبهم يمتدُّ إلى بعض ذُرِّيَّة مَنْ كان مع نُوح نسباً متّصلاً، وهُو إشعار بهذه العناية الخاصّة التي أولاها الله ـ سُبحانه ـ لبني إسرائيل، وهُو أمر لا مجال لإنكاره، سواءً جادلنا أم شددنا الجدال، يقول تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ۝ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ (الإسراء 2-3).

أيْ أنَّ مُوسى ـ عليه السّلام ـ هُو ذُرِّيَّة مَن كان مع نُوح. [1]

إنَّ ما قاله د. العماري جميل جدّاً، لكنّه وقع في تناقض وفي خطأ في آن معاً، فالخطأ أنَّ الآية ذكرت أنَّ بني إسرائيل هُم مَنْ كان من ذُرِّيَّة مَنْ حُمل مع نُوح، وليس مُوسى عليه السّلام. والتّناقض هُو أنّه إذا كان بني إسرائيل يمتدُّ نسبهم إلى بعض ذُرِّيَّة مَنْ كان مع نُوح نسباً متّصلاً فما علاقتهم بيعقُوب ـ عليه السّلام ـ بن إسحاق بن إبراهيم، الذي من ذُرِّيَّة نُوح، ونعلم أنَّ مُوسى هُو ابن عمران بن قاهت بن لاوي بن يعقُوب، فكيف يكون مُوسى من ذُرِّيَّة مَنْ مكان مع نُوح؟!

12ـ فضل بن عمار العماري: ذكر نقلاً عن أحمد سوسة في حديثه عن فكرة تقول بفصل مُسمَّى بني إسرائيل عن اليهُود أتباع مُوسى عليه السّلام:

"أحمد سوسة: لذلك يكون مَنْ سُمِّي في التّوراة بني إسرائيل من أتباع مُوسى النّبي لا يمتُّون بأيَّة صلة بمُحيط السّاميِّين العَرَب، الذي عاشه إبراهيم الخليل وحفيده يعقُوب قبل مئات من السّنين، كما أنّهم لا يمتُّون بأيَّة صلة بذُرِّيَّة إسماعيل وإسحاق، الذين بقوا مُحافظين على الدّم السّامي العَرَبي الخالص، الذي يرجع إلى عهد إبراهيم الخليل. وصفوة القول إنَّ عصر إبراهيم الخليل لم يكن له أيّ ارتباط بقوم مُوسى، الذين سمَّتهم التّوراة ببني إسرائيل، للغرض الذي شرحناه، وقد ظهروا بعد سبعمائة عام من دور إبراهيم الخليل، فهُو عصر قائم بذاته، ولا علاقة له بمَنْ سُمُّوا ببني إسرائيل في عهد مُوسى، لا في الثّقافة، ولا في اللُّغة، ولا في العرْق، فدور إبراهيم الخليل مرتبط كما نبَّهنا إليه القُرآن الكريم ببيت الله العتيق؛ أيْ الجزيرة العَرَبيَّة ...

(1) خطر التّوراة، ص91.

وقد أخذت جماعة مُوسى - بعد أنْ استقرَّت في فلسطين - بالحضارة الكنعانيَّة وتقاليدها وعاداتها، كما أخذت بلُغتها الكنعانيَّة، لذلك نجد التّوراة عندما تتحدَّث عن لُغة هذه الجماعة التي تُسمِّي نفسها بني إسرائيل في حين أنَّها أبعد ما تكون عن بني إسرائيل الذين عاشوا قبل حوالي ستُّمائة عام". [1]

13- كمال الصّليبي: [2] "... وجاء وقت انصهر فيه بنو يعقُوب الآراميُّون مع بني إسرائيل العبرانيِّين، وصاروا يُعتبرون شعباً واحداً تسمَّى باسم بني إسرائيل، وأخذ عبادة الرّبّ يَهْوَه... وجاءت الأسطورة تعزِّز العصبيَّة القبليَّة الجديدة المُشتركة بين عُنصُرَيْن من الشّعب الواحد، فوحَّدت بين الأجداد الذين كانوا ينتسبون إليهم... فدمجت بين شخصيَّة يعقُوب الآرامي وشخصيَّة إسرائيل العبراني". [3]

ويُضيف الصّليبي تحت عُنوان يعقُوب الآرامي ينقلب إلى إسرائيل العبراني: "... هذا جلُّ ما يمكننا أنْ نستخلصه من سطور سفْر التّكوين، ومن بين سطوره، عن هُويَّة يعقُوب الآرامي وسيرته، وذلك سواء أكان يعقُوب هذا شخصيَّة تاريخيَّة أم شخصيَّة أسطوريَّة. والخلط السّافر في نصّ التّكوين بين شخصيَّة يعقُوب الآرامي المذكور، وشخصيَّة إسرائيل العبراني. [4]

... ويبدو أنَّ الأصل في تحويل هذه القصَّة عن تحويل اسم يعقُوب الآرامي إلى إسرائيل هُو خُرافة كانت تُروى - في السّابق - عن يعقُوب الإله.. [5]

... المهمّ في الأمر، على كلِّ حال، هُو أنَّ بني يهوذا، من بني يعقُوب الآراميِّين، كانوا - في الأصل - قبيلة... مستقلَّة تمام الاستقلال عن بني إسرائيل العبرانيِّين، إلى أنْ توحَّدت هذه القبيلة مع بني إسرائيل، فصارت جزءاً من شعب إسرائيل في وقت لاحق.

---

(1) خطر التّوراة، ص87، 88.

(2) نستشهد ببعض أقواله التي تخصُّ موضوعنا، ولا تعنينا آراءه ونظريَّاته الأُخرى التي قام بالرّدّ عليه فيها الكثيرون.

(3) خفايا التّوراة وأسرار شعب إسرائيل، ص184.

(4) خفايا التّوراة... ص191.

(5) خفايا.. ص193.

وقال الصّليبي تحت عُنوان الاتّحاد بين بني يعقُوب وبني إسرائيل: "وكان قيام هذا الاتّحاد ـ ولا شكَّ ـ في صالح بني إسرائيل أكثر منه في صالح يعقُوب؛ لأنَّه سمح لبني إسرائيل ـ وهم الدّخلاء على أرض بني يعقُوب ـ بالاستيطان هُناك، أمَّا بنو يعقُوب ـ وهم في الواقع بنو يهوذا، كما قلنا ـ؛ فكانوا قليلي العدد بالنّسبة إلى بني إسرائيل. ولعلَّ قلَّة أعدادهم هذه كانت هي العامل الأساسي الّذي جعلهم يقبلون بمبدأ الاتّحاد مع بني إسرائيل. ويذكر سفْر العدد (1/ 19ـ46) أنَّ مُوسى أحصى عدد رجال شعب إسرائيل من سنِّ العشرين فما فوق، عدا الشّيوخ منهم ، فكان عدد الرّجال من هذه الفئة، من يهوذا (أيْ بني يعقُوب الآراميِّيْن) 47.600، أمَّا الباقون من بني إسرائيل ولفيفهم؛ فكان مجموع العدد بينهم 528.950 ، أضف إلى ذلك بني لاوي، وهم القبيلة التي كان منها الكَهَنَة، وقد أُحْصُوا على حدَّة (4/ 34ـ48)، فكان عدد الرّجال بينهم، ما بين سنِّ الثّلاثين والخمسين، 8.580 رجلاً.[1]

... هذا الاتّحاد بين بني إسرائيل العبرانيِّيْن وبني يعقُوب الآراميِّيْن حدث في أواخر أيَّام مُوسى، على ما يُفهَم من سفْر العدد. وعندما تمَّ هذا الاتّحاد أصبح بإمكان مُوسى أنْ يقف أمام "جميع إسرائيل" (التّثنيَة 1/ 1) ليُكلِّمهم كشعب واحد، وينقل إليهم عن لسان يَهْوَه (التّثنية 1/ 6) "الفرائض والأحكام" التي ارتآها الإله الواحد لهذا الشّعب (التّثنية 4/ 1 وما يلحق). لكنَّ نشوة الوحدة في صُفُوف "جميع إسرائيل" لم تدم طويلاً. وما من اتّحاد قبلي إلَّا ويبدأ بالتصدُّع بعد حين، وتبدأ الفروقات بالظّهور بين العناصر التي كان هذا الاتّحاد قد تكوَّن منها في البداية. وهذا ـ تماماً ـ ما حدث لشعب "جميع إسرائيل"؛ إذْ بقي فيه العُنصُر العبراني المتمثِّل بقبائل "إسرائيل"، والعُنصُر الآرامي المتمثِّل بقبيلة "يهوذا" من بني يعقُوب، كلّ منهما فريق على حدة، لا يجتمعان، ولا يتعاونان، إلَّا في وقت الضّيق، أو عند الحاجة. وحدث بعد ثلاثة قرون من اتّحاد شعب "جميع إسرائيل"... أنَّ هذا الشّعب الواحد صار له مملكة هي مملكة الملك شاول ، من قبيلة بنيامين الإسرائيليَّة، لكنْ؛ سرعان ما ظهر منافس للملك شاول هذا من قبيلة يهوذا، وهُو داود، فأطاح هذا بملك شاول، وحلّ مكانه. وكان شاول يُسمِّي نفسه ملكاً على "إسرائيل"، فجاء داود، وسمَّى نفسه ملكاً على "جميع إسرائيل" (سفر صموئيل الثّاني 5/ 5). وخلَّف داود مملكة "جميع إسرائيل" هذه لابنه سليمان، إلى

(1) خفايا التّوراة وأسرار شعب إسرائيل، ص253، 254.

أنْ زالت بعد وفاته، فانقسمت هذه المملكة الواحدة إلى مملكتَيْن. مملكة "يهوذا" ومملكة "إسرائيل". وعاد الاختلاف في الدِّين إلى الظّهور بين هاتَيْن المملكتَيْن". (1)

14ـ كمال الصّليبي ذكر وكرَّر نفس الفكرة في كتابه الآخر حروب داود، وممَّا جاء فيه: "وكان بنو إسرائيل في زمانهم، في هذه الأرض، يمثّلون ائتلافاً قبليّاً بين مجموعة من "الأسباط" اجتمعت حول عبادة إله واحد اسمه يَهْوَه، وهُو ـ بالنّسبة إليهم ـ "الرّبّ" (بالعبريّة "أدون"). والأسباط هذه من أُصول مُختلفة، ومنها سبط لاوي الذي كان سنة وحدة الكَهَنَة. وما لبث الكهنوت بين اللّاويِّيْن أنْ انحصرت في بيت واحد منهم هُو بيت هارون، من آل عمران (والاسم في شكله التّوراتي "عمرم"). أمّا بقيّة الأسباط؛ فكانوا أحد عشر في العدد. ومن هذه عشرة كانت تُعرَف أصلاً ـ على ما يبدو ـ باسم "إسرائيل"، وتنتسب إلى الشّعب "العبري" أو "العبراني"... ويلاحظ هُنا أنَّ بني إسرائيل ـ حسب العُرْف التّوراتي ـ لم يكونوا وحدهم "العبرانيِّيْن".

... أمّا السّبط الحادي عشر في الائتلاف القبلي لبني إسرائيل؛ فكان سبط يهوذا (بالعبريّة "يهُوده"). والسّبط من أصل إرمي (2). (انظر كتابي "خفايا التّوراة وأسرار شعب إسرائيل"، لندن، 1988).

... بنو يهوذا تحوّلوا من الإرميّة إلى العبريّة بعد دخولهم في الائتلاف الإسرائيلي، حتّى إنَّ اللُّغة العبريّة صارت تُعرَف مع الوقت باسم "اليهُوديّة" (بالعبريّة "يهُوديت" نسبة إليهم) (انظر سفر الملوك الثّاني 18/ 26ـ28، أشعيا 36/ 11ـ13، نحميا 13/ 24، أخبار الأيّام الثّاني 32/ 18).

... وقامت مملكة إسرائيل في أواخر القرن الحادي عشر قبل الميلاد، كما سبق، فكان أوّل ملك عليها إسرائيليّاً عبريّاً من سبط بنيامين اسمه شاول بن قيس (1021 – 1000 ق.م تقريباً)، ويبدو أنَّ هذا الأمر لم يرق بني يهوذا، فقام هؤلاء يناهضون الملك شاول بقيادة زعيم شابّ منهم اسمه داود بن يسي... (3)

15ـ عبد الرّحمن غنيم في كتابه "روان سرّ الأسرار" ذكر أنَّ إسرائيل غير يعقُوب، وذلك استناداً على قوله تعالى: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾، (الإسراء 3).

---

(1) خفايا التّوراة وأسرار شعب إسرائيل، ص262، 263.

(2) يقصد آرامي الذي حوّله إلى إرمي.

(3) حروب داود، ص20، 21.

ثُمَّ انطلق في البحث التّاريخي، وقد اعتمد ـ بشكل كبير في هذا الكتاب ـ على الميثولوجيا (علم الأساطير) لإثبات ذلك، ممَّا ذكر في الكتاب:

"يخرج كوكب من يعقُوب"

ويقوم صولجان من إسرائيل

فيحطِّم صدغي مؤاب

وجمجة جميع بن شيث

... طبعاً، سيُطرح السّؤال: إذا كان لا يوجد على الأرض بعد طوفان نُـوح غـير ذُرِّيَّـة شـيث، فكيف سيقوم صولجان من إسرائيل بتحطيم جمجمة جميع بني شيث دون أنْ تتحطَّم إسرائيل؟!

الدّارسون التّوراتيُّون حتَّى لا يتّهموا بلعام بالهذيان قالوا لابُدَّ يقصد قبائل بدويَّة كانت تحمـل هذا الاسم من زمن بلعام حتَّى اليوم، فلتحذر جميع قبائل البـدو تتـسمَّى بـ "شـيث" حتَّـى لا يقـع عليها ما تنبَّأ به بلعام. والحقيقة غير ما قال الدّارسون التّوراتيُّون.

إنَّ خُرُوج الكوكب من يعقُوب هُـو أفـول يعقُـوب عـدوّ إسرائيـل الأكـبر، وقيـام صـولجان إسرائيل غايته تحطيم جمجمة جميع البشر على أيدي بني إسرائيل. [1]

16ـ عبد الرّحمن غنيم ذكر في كتابه الآخـر (اليهُود بين القُرآن والتّـوراة ومعطيـات التّـاريخ القديم) إضافات جديدة، كما يحمل الكتاب عُنواناً فرعيَّاً وهُو (بلوغ المراد في الكشف عـن الفرعـون ذي الأوتاد)، وقد قام حسين نصر الله بتعريف لهذا الكتاب نُشر في صـحيفة الـوطن الـسّعوديَّة، وممَّـا جاء فيه:

"... يعتبر *الباب الأوّل* بمثابة دراسة دينيَّة مُقارنة، يخلص ـ من خلالها ـ المؤلِّف إلى نتيجة محدَّدة، وهي أنَّ الدّيانة اليهُوديَّة التّقليديَّة شكَّلت انحرافاً عن الدّيانة الأساسيَّة وهي الإسلام. فاليهُوديَّة تشكِّل خُرُوجاً على ديانة إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقُوب والأسباط ومُوسى وداود

---

(1) روان سرّ الأسرار، ص6.

وسليمان، التي كانت هي الإسلام. ويقدِّم غنيم الشّواهد التّاريخيّة والقُرآنيّة على هذا الاستنتاج. مؤكّداً أنَّ القُرآن الكريم يؤكّد أو ينقض أو يصحِّح ما ورد في الكتاب المُقدَّس، في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (النمل 76).

في *الباب الثّاني*: اليهُود مَنْ هُم؟ يحاول المؤلّف ـ من خلال دراسة تاريخيّة مكثّفة تستعرض مُختلف وجهات النّظر والوثائق والدّلالات ـ الوصول إلى معرفة أجداد اليهُود. فيتناول ـ أوّلاً ـ العبرانيِّين، ثُمَّ يتناول حقيقة العلاقة بين بني إسرائيل وبيت يعقُوب، رافضاً الادّعاء التّوراتي بأنَّ إسرائيل هُو اسم ثان ليعقُوب. ثُمَّ يناقش أسماء أُخرى وردت في السّياق مثل "يشورون"، ويتعقّب التّاريخ الزّمني لظُهُور الأسماء والمسمَّيات، فالذين خرجوا مع مُوسى من مصر القديم يُعرَفون "بالأونتيو"، الذين أُخرجوا مع مصر في أواخر عصر الأُسرة الأُولى حوالي عام 2000 قبل الميلاد".

ويُضيف حسين نصر الله تحت عُنوان الحدث التّوراتي: "*الباب الثّالث* يتناول موقع الحدث التّوراتي من التّاريخ القديم، فيستعرض عدداً من المؤشّرات إلى زمن الأحداث، وتجاوزت الشّواهد العشر، وكلّها تنأى بتاريخ خُرُوج بني إسرائيل من مصر؛ لتُعيده إلى ما قبل 1700 سنة من التّاريخ التّوراتي. ويستعرض الباحث عدداً من الأساطير المصريّة القديمة التي تتحدَّث عن وجهة نظر الكَهَنَة المصريِّين عن واقعة الخُرُوج وغرق الفرعون. ويستخلص منها أنْ فرعون الخُرُوج هُو "قاعا" آخر ملوك الأُسرة الأُولى. وكانت المفاجأة التي وصل إليها المؤلّف أنَّ ترجمة الاسم الشّخصي. لقاعا هُو بينخيوس تعني ـ حرفيّاً ـ "ذو الأوتاد"، وهُو الاسم الوارد ذكره في القُرآن الكريم، ممَّا يؤكّد صحَّة الاستنتاجات التي توصَّل إليها الباحث غنيم، التي يترتَّب عليها نتائج عديدة بالغة الأهمِّيَّة بالنّسبة للبحث التّاريخي، وأهمّها: أنَّ سيِّدنا إبراهيم (عليه السّلام) باعتباره جدّاً لمُوسى، لابُدَّ وأنْ يكون قد وُجد حوالي عام 3200 قبل الميلاد؛ أيْ مع بدء عهد الأُسرات المبكّر في مصر، ومع بدء العصر التّاريخي في بلاد ما بين النّهرَيْن، وعلينا أنْ نبحث عن قصَّته الحقيقيّة وموقعه في تاريخ المنطقة ضمن تلك الفترة الزّمنيّة المبكّرة، وليس في حوالي القرن التّاسع عشر قبل الميلاد. كما يستخلص من رواية التّوراة المُتداولة أنَّ تحديد زمن الخُرُوج في حوالي عام 3000 قبل الميلاد من شأنه أنْ يؤكّد استنتاجات الباحث غنيم التي توصَّل إليها حول شخصيّة سيِّدنا يُوسُف (عليه السّلام) في كونه قد وُجد في عهد

الملك دن (وديمو) من ملوك الأُسرة الأُولى في مصر حوالي عام3100 قبل الميلاد. ومن ثَمَّ؛ فلا شكَّ أنَّه هُو الشّخصيَّة الهامَّة التي عُرفَتْ في تاريخ مصر القديم باسم (حماكا).

إنَّ الفترة الزّمنيَّة البالغة حوالي 200 سنة بين وُجُود سيِّدنا إبراهيم وخُرُوج مُوسى من مصر هي فترة جدُّ منطقيَّة، وهي أكثر منطقيَّة من رواية التّوراة، التي تزعم أنَّ بني يعقُوب أمضوا 400 عام في مصر قبل الخُرُوج. إنَّ قصَّة الغزو المباشر لفلسطين بعد التّيه بقيادة يوشع بن نون هي قصَّة مشكوك فيها؛ إذْ لا شيء في القُرآن الكريم يدلُّ على خوفهم القتال في زمن داود. إنَّ المسرح الجغرافي الفعلي لوُجُود بني إسرائيل بعد الخُرُوج يظلُّ مجهولاً. إنَّ القُرآن الكريم يشير إلى مسرح بعيد كان فيه أجداد مَنْ اعتنقوا الدّيانة اليهُوديَّة لاحقاً وهُو "القرية التي كانت حاضرة البحر"، ويرجِّح المؤلِّف أنَّ هذه القرية كانت هي كريت في اليونان، وأنَّ قدوم العبرانيِّيْن منها إلى فلسطين تمَّ حوالي عام 1350 قبل الميلاد، وبمساعدة المدن الفلسطينيَّة. يثبت المؤلِّف ـ بشكل يقيني ـ أنَّ بني إسرائيل ليسوا بيت يعقُوب، فبنو إسرائيل هُم من ذُرِّيَّة مَنْ حُملوا مع نُوح كما يؤكِّد القُرآن الكريم، بينما آل إبراهيم وآل عمران هُم من ذُرِّيَّة نُوح، ومن ثَمَّ؛ فإنَّ المطابقة بين اسمَيْ يعقُوب وإسرائيل هي عمليَّة تزوير مقصودة". (1)

أمّا ممَّا أورده عبد الرّحمن غنيم في الكتاب (اليهُود بين القُرآن والتّوراة ومعطيات التّاريخ القديم) نقلاً عن الأب فويتوس خليل "أنَّ الآيات الإنجيليَّة الأخيرة تُؤكِّد بالبرهان السّاطع أنَّ اليهُود هُم وَرَثَةُ قايِّيْن ـ قابيل الشّرِّير ـ ابن آدم الذي قتل أخاه هابيل البريء والصّدِّيق".

ويُضيف عبد الرّحمن غنيم قائلاً: "يشير الأب فويتوس خليل هُنا إلى قول الإنجيل المُقدَّس مخاطباً اليهُود: «أيُّها الحيَّات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنَّم؟! من أجل ذلك؛ ها أنا مُرسل إليكم أنبياء وحُكماء وكَتَبَة، فمنهم تقتلون وتصلبون، ومنهم مَنْ تجلدون في مجامعكم، ومَنْ تطردون من مدينة إلى أُخرى؛ لكي يأتي عليكم كلّ دم سُفك على الأرض من دم هابيل الصّدِّيق، إلى زخريَّا بن برخيا، الذي قتلتموه بين المذبح والهيكل» (متَّى 23، لوقا 1)".

---

(1) صحيفة الوطن السّعوديَّة، العدد 136، بتاريخ 18/ 11/ 1421هـ.

وأضاف أيضاً: "ويؤكِّد إنجيل يوحنًا هذا الاستنتاج؛ حيثُ يرد فيه مخاطباً «أنتم من أب واحد هُو إبليس، وشهوات أبيكم تبتغون أنْ تعملوا. هذا مُنْذُ البدء قتال النّاس، ولم يثبت على الحقّ، إذا تكلَّم فبالكذب يتكلَّم؛ لأنّه كذب وأبو الكذب» (يوحنًا 8/ 24)". (1)

وممَّا جاء على الغلاف تحت عُنوان هذا الكتاب: "تطلَّب الوصول إلى الاستنتاجات الأساسيَّة التي يتضمّنها هذا الكتاب جهداً من المؤلِّف استغرق قرابة عشرين عاماً. وقد اتَّبع فيه منهجاً قائماً على الدّراسة المُقارنة لمُختلف المراجع والمصادر الدّينيَّة منها والوضعيَّة....".

17ـ عبد المجيد همُّو: كَتَبَ تحت عُنوان يعقُوب وإسرائيل: "لا أعتقد أنَّ اليهُود استطاعوا أنْ يشوِّهوا شخصيَّة ويحرِّفوها عن مسارها أكثر ممَّا فعلوا بيعقُوب. فقد استغلُّوا وُجُود اثنَيْ عشر غلاماً عنده، ومطابقته عدد الأسباط، فألصقوا بها شخصيَّة لا يمتُّ إليها بصلة، ألا وهي إسرائيل....

... إنَّ إلصاق اسم إسرائيل تبيَّن، ولسنا بحاجة إلى إظهار هذا الإلصاق، فيعقُوب شخصيَّة تختلف تمام الاختلاف عن إسرائيل. والذي سهَّل الأمر على اليهُود إلصاق هذا الاسم هُو التّشابه في عدد الأولاد والأسباط. كما أنَّ شخصيَّة إسرائيل هذه الشّخصيَّة المجهولة والتي لم يرد لها ذكْر في التّاريخ أرادوا أنْ يُضفوا عليها مسحة من التّعريف، فألقوها تحت عباءة يعقُوب. ويُمسي يعقُوب، ويصبح إسرائيل، أ فبعد هذا سُخرية؟!

... ورد في القُرآن الكريم أنَّ يعقُوب حفيد إبراهيم وإبراهيم من ذُرِّيَّة نُوح عليه السّلام. أمّا إسرائيل؛ فهُو من ذُرِّيَّة مَنْ حملنا مع نُوح، ومن البدهي أنَّ الذين حُملوا مع نُوح في السّفينة ممَّنْ آمن بدعوة نُوح عليه السّلام، وليسوا من ذُرِّيَّته. ولهذا؛ لا أرى أيَّ رابط بين إسرائيل ويعقُوب، وهذا الإلصاق بيِّن لكلِّ ذي بصر وهُو واهي الرّوابط". (2)

ويقول ـ أيضاً ـ عبد المجيد همُّو في كتاب آخر تحت عُنوان يعقُوب ويُوسُف عليهما السّلام:

---

(1) اليهُود بين القُرآن...، ص35، 36.

(2) التّوراة تحريف وتزوير، ص303، 317، 318.

شُهر يعقُوب في التّوراة أكثر من إسحاق كثيراً، ولا أدري لماذا فضَّلوه على والده؟! ولماذا ألصقوا به اسم إسرائيل؟!

... أمّا شُهرة يعقُوب بإسرائيل؛ فإنّني أردُّ تسميته إسرائيل عن يعقُوب للأسباب التالية:

أسَّس اليهُود ديانتهم على يد عزرا كاهنهم المعروف في القُرآن الكريم، وهذا عُرف ـ بدوره ـ أنْ لا ماضي له، ولا أجداد تُشرِّفه، فاتَّكأ على بقايا توراة مُوسى، يستجدي منها الأمل، بما كان بنو إسرائيل بمشاكستهم ومعاندتهم، وغلظ رقابهم، لا يشكِّلون خليفة يعتزُّ بها اليهُود، أراد يعقُوب إسرائيل، أو العكس، فإنَّ إسرائيل في نُصُوص التّوراة كلّها تدلُّ على أنَّهما اسمان مُنفصلان. أضافوا إلى شخصيَّة يعقُوب من الكذب والاحتيال والسّرقة والقتل ممَّا يُبرِّئ يعقُوب عن انتسابهم له، فإنَّهم لا يشرّفون في هذه الجرائم التي نسبوها إليه.

إنَّ إسرائيل هي شخصيَّة مجهولة غير معروفة في القُرآن الكريم، ولا نستطيع إطلاقاً أنْ نقول إنَّ إسرائيل هُو يعقُوب.

إنَّ تسميَّة الأسباط بحار المرء فيها، فالسّبط هُو ابن البنت، والعادة لا تنسب الأسباط إلى الجد، إلَّا إذا كان الأب وضيعاً، ولابان شخصيَّة مجهولة نكرة، ويعقُوب علم، ولا يمكن إهمال يعقُوب، والانتساب إلى لابان.

إنَّ إسرائيل كما قال سُبحانه وتعالى: هُو من ذُرِّيَّة مَنْ حملنا مع نُوح، كما ورد في سورة الإسراء، بينما يعقُوب هُو من ذُرِّيَّة نُوح مباشرة.

إنَّ إسرائيل في الكتاب المُقدَّس قد تزوَّج بأربع نساء، الأختَيْن ليئه وراحيل، ومن جارتَيْها بلهة وزلفة. بينما يعقُوب في القُرآن الكريم لم يتزوَّج إلَّا امرأتَيْن، ولا ندري عنهما شيئاً. كلّ ما في الأمر أنَّ القُرآن أشار إلى أنَّ إحدى النّساء مُتوفَّاة، وهي أمّ عشرة أبناء. أمّا أمّ يُوسُف وأخيه؛ ظلَّت حيَّة، ولهذا؛ قال الله في سورة يُوسُف: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ﴾ ليس هُناك في سورة يُوسُف ذكْر لإسرائيل أو بنيه، خاصَّة بيعقُوب وأبنائه.

من هذه الأسباب كلّها نتأكّد أنّ إسرائيل ليس بعقُوب[1].

كما يُضيف في كتاب آخر.... ألا ترى أنّ الاسم أُلصق إلصاقاً؛ بحيثُ يعرف كلُّ إنسان أنّ يعقُوب غير إسرائيل. وأنا ألاحظ على هذا النّصّ ما يلي:

أ- الحادثة إيلوهيميَّة، وليست يَهْوِيَّة؛ لأنّها لو كانت يَهْوِيَّة لَسَمَّتْ يعقُوب باسم آخر فيه يَهْو (يهو آسر).

ب- ورد اسم إسرائيل ليعقُوب مرَّة أُخرى في التّكوين، وهُو يُعلِّل التّسمية، ويأمره الإله أنْ يُسمِّي نفسه إسرائيل.

ج- ورد اسم يعقُوب بعد ذلك في سفْر التّكوين كلّه، دون أيّة إشارة لاسمه الجديد إسرائيل، بينما نلاحظ أنّ اسم إبراهيم وسارة بعد ـ تغييرهما ـ لم يردا بعد ذلك باسم إبرام وساراي.

د- قال كثير من الكُتّاب إنّ سفْر التّكوين قد تكلّم عن شخصيّتَيْن إبراهيم وإبرام، وأدمجهما في شخصيَّة واحدة، وأُضيف أنّه قد تكلّم عن شخصيّتَيْن (يعقُوب وإسرائيل)، وأدمجهما في شخصيَّة واحدة.

هـ- أمّا الأسباط الاثنا عشر، التي وردت في القُرآن الكريم، والتي وردت بعدد أبناء يعقُوب؛ فلي عليها ملاحظات عديدة:

1. الأسباط لُغويّاً جمع سبط، وهُو ولد الولد، وقال ابن سيده: السّبط ولد الابن أو الابنة. فهل الأسباط أُخذوا نسبة لإسحاق، ولم يكن حيّاً عندما عاد يعقُوب إلى أرضه؛ إذْ إنّ أخاه عيسو (أدوم) هُو الذي استقبله؟ أم أنّهم أسباط للابان، ولابان نكرة، لولا لم تذكره التّوراة لما عُرف، وقد يكون من مفترَيات التّوراة؟!

(1) أنبياء القُرآن، ص99،100.

2. أمَّا تسمية الأسباط في القُرآن الكريم؛ فقد وردت بمعنى قبائل، ولا تدلُّ على أنَّهم أخوة، وقد يكونون متباعدين في النّسب.

3. أمَّا التّشابه بين أبناء يعقُوب، وبين عدد الأسباط؛ فلا أراه إلَّا من قبيل المُصادفة، ومن قبيل سرقة اليهُود لهذه القصَّة [1].

وقال أيضاً في كتاب آخر.... عرض لنا الباحث عبد الرّحمن مُحَمَّد غنيم وجهة نظر عن إسرائيل، فقال: إذا كان إسرائيل هُو قابيل وبنو إسرائيل هُم ذُرّيَّته كما اتَّضح لنا، وسيتَّضح بشكل أكيد، فمعنى ذلك أنَّنا نعود بقصَّة اليهُوديَّة وجذورها إلى الوراء؛ لنصل إلى آدم وبنيه، فهل هذه العودة ممكنة؟ وما ملامحها في المسار؟ [2].

إلَّا أنَّ عبد المجيد همُّو لا يوافق على ما قاله عبد الرّحمن غنيم.

18ـ مراد مُحَمَّد محمود الدّش: "لم يدخل يُوسُف ويعقُوب مصر في عهد الهكسوس، بل بنى إسرائيل وعشائرهم من العبرانيِّيْن هُو الهكسوس..

تأكيد الدّراسة الجيُوهيدرُولُوجيَّة أنَّ يُوسُف عاش في عهد سنوسرت الثّاني، وأنَّ الهكسوس هُم حُكَّام بني إسرائيل، وأنَّ بني إسرائيل عاشوا على بحر يُوسُف بطول مصر، وليس شرق الدّلتا، وأنَّ الصّراع بين مُوسى وفرعون حدث في طيبة، وليس برّ رعمسيس، التي لم تتواجد. وذلك من خلال إثبات جفاف النّيل. فترة حُكم يُوسُف بما فيها الدّلتا والعثور على الأدلة الجيُولُوجيَّة التي تُؤكِّد طريق العبور في التّوراة عبر بحيرة قارون". [3]

ويُضيف تحت عُنوان التّاريخ المصري القديم: "... وتؤكِّد النُّصُوص الفرعونيَّة مراحل وُجُود بعض العبرانيِّيْن في فلسطين في حُكْم أخناتون "مُنْذُ رجوع والدك من صيدون وقعت البلاد في أيدي الخابيري"، وزاد خطرهم في عهد سيتي الأوَّل، لكنَّهم دفعوا الجزية، وتركهم فيها" لقد اتَّحد رُؤساء

---

(1) جذور اليهُود أمام النّقد التاريخي، ص18،18.

(2) حقيقة إسرائيل، ص8.

(3) صخور الفيُّوم تكشف معجزات الأنبياء، ص95، 128.

البدو معاً، وأخذوا بضعون أيديهم على فلسطين وهم الآن يفتكون بالنّاس، ويلعنونهم، ويضربونهم، فصار كلٌّ منهم يقتل جاره، غير مكترثين لقوانين القصر الملكي المصري". وقضى على بني إسرائيل مرنبتاح، مؤكّداً أنّه قضى على بذرتهم "إنَّ الإسرائيليّيْن دُمِّرت، وبذرتها مُحِيَتْ"، وفي نفس الوقت؛ كان هُناك عبرانيُّون في مصر حتَّى عهد رمسيس الرّابع، كما تدلُّ آثار مدينة الحرفيّيْن. لقد كان بنو إسرائيل قادة العبرانيّيْن وسادتهم وملوك الهكسوس، وكان يُطلَق عليهم اسم العابيرو، ولمَّا دخلوا فلسطين وبدؤوا يُكوِّنون دولة ذات سيادة تحت اسم إسرائيل، قضى عليهم مرنبتاح، وأخضعهم لسُلطته. ولم تكن لهم دولة إلَّا في عهد داود وسليمان. (1)

19ـ يقول جودت السّعد: "... كما وُجدت مسلَّة أسطوانيَّة في وادي الرّافدَيْن، تعود إلى فترة (نارام – سن) (2260 – 2223 ق.م) تحمل اسم شخص يُدعَى (إسرـ إيل) il_isre ، ممَّا يدلُّ على استعمال الاسم قبل فترة طويلة من وُجُود التّوراة وشخوصها وأحداثها، فهذا التّاريخ يسبق (إبراهيم، [عليه السّلام] إذا راعينا معاصرته لحمورابي ـ حسب ما تقوله التّوراة ـ بحوالي 700 سنة". (2)

20ـ يقول يعقُوب يُوسُف كوريَّة تحت عُنوان تاريخ اليهُود في العراق: "يدَّعي اليهُود أنَّ تاريخهم يرجع إلى عهد إبراهيم الخليل (ع) إلى ما قبل 400 ق.م. وأنَّهم كانوا بصحبته مهاجرين من بلاد الرّافدَيْن إلى فلسطين، ولم يكن عددهم في تلك الهجرة الجماعيَّة يزيد على أربعة آلاف نسمة..."(3)

وفي نفس المعنى السّابق يقول يُوسُف رزق الله غنيمة: "إلى هُنا نقف في البحث عن صلات العبريّيْن والبابليّيْن، فلنرجع إلى إبراهيم والمهاجرين. كان المهاجرون العبريُّون من بين النّهرَيْن يذكرون وطنهم، ويصبون إلى ديار مولدهم، ويخطبون أزواجاً لأولادهم من بنات بين النّهرَيْن. وكانوا يعدُّونهنَّ أشرف نسباً وأعرق حسباً من بنات يهُود كنعان. وصل إبراهيم أرض كنعان، ومن

(1) صخور القيُّوم تكشف معجزات الأنبياء، ص129.

(2) أوهام التّاريخ اليهُودي، ص177.

(3) يهُود العراق تاريخهم أحوالهم هجرتهم، ص5.

هُناك سافر إلى مصر، وبقي العبريُّون فيها نحو أربعمائة سنة يوماً في نعيم ويوماً في بـؤس. فلاقـوا مـن الفراعنة كلّ حفاوة وإكرام، كما أنّهم تحمّلوا منهم مَضَضَ الحيف والجور. حتّى قيض الله لهم مُوسـى كلـيم الله، فأنقـذهم مـن رقّ المـصريِّين، وبعـد تيـه دام أربعـين سـنة في بريَّـة سـيناء حلُّـوا أرض المعياد...."[1]

21ـ وتقول أبكار السَّقّاف في كتابها إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة: "... وكيف يمكننا ألا نستغفر وهذا المؤلِّف اليهودي يحدِّثنا قائلاً: إنَّ الله قد ظهـر ليعقُـوب متجـسِّداً في صـورة إنـسان، وصارعه حتَّى مطلع الفجر، فلمّا غلبه، خلع عليه الله هذا الاسم الجديد....". [2]

... وقد علمنا من سطور "مصدر العقيدة" للدّين اليهُودي الحـالي الـسّبب في اسـتبدال اسـم يعقُوب إلى إسرائيل، نتيجة إلى الأثر الذي تركه اسم "إسرائيـل" في مجـرى الـزّمن غـداة غـدا أبنـاء يعقُوب، ويعقُوب نفسه قد غدا يُسمَّى إسرائيل، يُعرَفون بأبناء إسرائيل، وليغـدو هـذا الاسـم ـ مـن بعد ـ نعتاً أُلصق بسُلالة هؤلاء الأبناء الاثنَيْ عشر، وهذه السّلالة هـي التـي تكوَّنـت ـ بـدورها ـ إلى "بيوت"، غدت تُعرَف ببيوت إسرائيل. هذا هُو المهد التّاريخي، وهكذا بدأ مطلع "أبناء إسرائيـل" و "جماعة إسرائيل" على التّاريخ نسبة إلى إسرائيل هـذا الـذي إذا شـققنا إليـه غيـوم الـزّمن وتتبَّعنـا التّاريخ السّياسي للعصر الذي عاش فه وأحطنا بأطراف الأحـداث التـي تتابعـت في غـضون تلـك الفترات الزّمنيَّة المعروفة بالعصر الهكسوسي لأدركنا ـ تمام الإدراك ـ أيّ العوامل كانت التي قذفت في روع مُؤلِّف هذا الجزء من "التّوراة" إمكان تحقيق "الحلم" الذي كانت قـد حاكتْـهُ نُـصُوص عـلى جبين يعقُـوب أو إسرائيـل، والـذي لم تكـوَّن مادَّتـه إلّا مـن تجمُّعـات غيـوم الهكـسوس في "أرض كعنان"، واتّجاهها عواصف ناحية مصر!

... هؤلاء "الرُّعاة" هُم الذين أصبحوا ملوكاً في مصر الـسُّفلى غـداة احتلّـوا شـمال الـوادي، وتوغَّلوا في أرجائه، حتَّى وصلوا حدود الجنوب.. من خلال الآثار التـي تركتهـا هـذه الإمبراطوريَّـة نستطيع التّغلغل إلى العصر الهكسوسي، وخاصَّة من خلال البرديَّـات التـي ادَّخرتهـا الأيَّـام في صـدر

---

(1) نزهة المشتاق في تاريخ يهُود العراق، ص65.

(2) إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، ص99.

الزّمان؛ إذْ تطالعنا عليها للهكسوس أسماء نرى فيها التّرابط الواضع بين "آباء التّوراة" وبين ما يقصّ مُؤلّف "سفر التّكوين" عن مقدم يعقُوب، أو بالأحرى إسرائيل، مصر، وعن تولّي يُوسُف منصباً في مصر، فإنَّ ممَّا يستدعي الانتباه هُو أنْ نرى في سجلٍّ من سجلّات "تحوت مُوسى" الثّالث ذكْراً لبعض أسماء هؤلاء الرُّعاة، الّذين أصبحوا ملوكاً، وأنْ يشتدّ منّا الانتباه يطلع علينا من هذه الأسماء هذان الأسماء.

"يعقُوب ـ إيلو" و "يُوسُف ـ إيلو"، لا جدال في أنَّ أمام هذَيْن الاسمَيْن الواردَيْن في قائمة "تحوت مُوسى" الثّالث لا يسع الفكر المتأمّل إلّا التّغلغل في أطواء الماضي البعيد؛ لأنّهما نفس أسماء "آباء التّوراة" فحسب، وإنّما لأنّهما يتّفقان ـ تاريخيّاً ـ مع الفترة التي عاش ـ في خلالها ـ يُوسُف ويعقُوب في مصر!

... نستطيع أنْ نتبيَّن من بينها هذه الأسماء: "يُونُس" و "عنتر" و "عزيز"، وأمّا أهمّ ما يسترعينا من بين هذه الأسماء؛ هُو اسم "بن بون" وهذا اسم فيه ـ ولا شكَّ ـ رجع الصّدى من اسم "بن يامين" بن يعقُوب، ممَّا يجعلنا نتساءل: أكان بنيامين ـ أيضاً ـ من بين هؤلاء الهكسوس، ولا سيما أنَّ هذا يتّفق ـ تاريخيّاً ـ مع الفترة التي عاش ـ في خلالها ـ بنيامين في مصر مع سائر أبناء يعقُوب أو إسرائيل، والذين بدأ بهم مُنْذُ العصر الهكسوسي تاريخ "بني إسرائيل" غداة امتدّت يد الزّمن، وسجّلت انشقاق التّربة الزّمنيّة عن نبت هؤلاء "الأبناء الاثنَيْ عشر" واستيطانهم وادي النّيل خلال الاستعمار الهكسوسي للوادي؛ حيثُ ترامت عليهم ألوان العزّة لأجيال؟! (1)

22ـ تقول شادية توفيق: "نجد هابيل مثالاً ناطقاً على العطف على الضّعيف، بينما نجد (قايين) مثالاً للقسوة والجبروت. وكان هابيل يعلن خلاص البشر في العالم، بينما نجد شقيقه (قايين) يُقدّم الخراب للعالم. إنَّ قايين يمثّل الشّعب اليهُودي. الشّعب القاتل لأخيه. أمّا هابيل؛ فيمثّل أولئك الذين التزموا بالرّبّ، واهتمّوا بالأُمُور الدّينيّة، وابتعدوا عن الأُمُور الدّنيويّة. (2)

---

(1) إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، ص100 إلى 103.

(2) دراسات سريانيّة، الفصل الثّاني، ص31.

# إسرائيل الاسم والمعنى والأصل

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله :"إنَّ الله قال: مَنْ عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب....". [1]

قال تعالى بعد الحديث عن قصّة قابيل وهابيل في سياق الحديث عن بني إسرائيل: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ... ﴾ (المائدة 33).

في الحديث أنَّ مَنْ عادى وليّاً لله فإنَّ الله سيحاربه، والفاعل سيكون محارباً لله، وكذلك في الآية فإنَّ المفسد في الأرض هُو محارب لله، من هذا الجانب نجد أنَّ المحارب لله والمقاتل لله هُو المفسد في الأرض، ومَنْ يعادي أولياء الله. ونجد أنَّ جملة (المحارب لله) هُو المعنى العَرَبي للاسم العبري (إسرائيل). وقد أثبتنا سابقاً أنَّ بني إسرائيل هُم من ذُرِّيَّة قابيل. فهل قابيل هُو إسرائيل؟!

قابيل هُو المعادي لهابيل الذي تقبّل الله منه قُربانه: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ (المائدة 27)، وهُو لم يعاده فقط، بل قام بقَتْله. وبما أنَّ القُرآن وَصَفَ هابيل بالمُتّقي، ووصفه الإنجيل بأنّه الصّديق:

العهد الجديد متّى إصحاح 23

35 لكي يأتي عليكم كلّ دم زكي سُفك على الأرض من دم هابيل الصّدّيق إلى دم زكريّا.

إذاً؛ هابيل هُو وليّ لله، ومَنْ يعاديه، فسوف يحاربه الله، وقد عادى قابيلُ هابيلَ، وفوق ذلك قتله، فقابيل هُو محارب الله، ولأنَّ قابيل هُو أوَّل مفسد في الأرض؛ حيثُ إنَّه قام بأوَّل جريمة في الأرض، فهُو محارب لله من جهة الآية أو الحديث. إنَّ هذه الأدلّة كلّها تُؤكّد أنَّ قابيل هُو إسرائيل بما لا يدع مجالاً للشّكّ.

---

(1) الأحاديث القُدسيّة، د.درويش جويدي، ص74، أخرجه البُخاري في باب التّواضع.

إنَّ معرفة المعنى هي المفتاح والسّرّ في معرفة مدى صحَّة كون إسرائيل هُو يعقُوب، نبدأ بمعرفة معنى اسم يعقُوب، فالاسم أتى من العقب، والعاقب، أيْ مَنْ جاء بعد؛ حيثُ إنَّه أتى بعد إسحاق بالنّسبة لإبراهيم وسارة عليهم السّلام، وهُو نبي أعقب نبي وحفيد نبي، أمَّا معنى اسم إسرائيل؛ فهُو مقاتل الله، ومن مترادفات هذا المعنى مقاتلة الله، ومحاربته اسم الشّيطان إبليس عدوّ الله. والسّؤال كيف نقرن ونقابل ونساوي فيما بين وليّ الله النّبي وبين عدوّ الله إبليس، إنَّهما نقيضان وضدَّان، لكنَّنا جعلناهما شيئاً واحداً؟!. ومن معرفة المعنى ـ أيضاً ـ نجد أنَّ عمليَّة المُقارنة والمقابلة بين الأبناء والاثنَيْ عشر والأسباط الاثنَيْ عشر محض مغالطة، وإنْ اتَّفق الرَّقْم والعدد فهُو لا يسوِّغ هذه المساواة، فهُناك كثير من الأسماء تحمل الرَّقْم 12 في التّاريخ: لكنَّ معنى الأبناء مُختلف عن معنى الأسباط، فالسّبط في اللُّغة العَرَبيَّة سواءً كان ابن الابن أو ابن البنت فهُو الحفيد، فكيف تتمُّ المقابلة فيما بين الأبناء والأحفاد؟! وكيف نجعلهم شيئاً واحداً؟! إنَّ الفرق بين معنى يعقُوب والأبناء وبين إسرائيل هُو الفرق بين الثّرى والثُّريَّا.

# الشّجرة الملعونة في القُرآن

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء 60).

ورد في سورة بني إسرائيل جملة (الشّجرة الملعونة في القُرآن). والسّؤال: ما هي هذه الشّجرة الملعونة؟ وما أوصافها؟ ولماذا لُعِنَتْ؟ وأين لُعِنَتْ؟ وماعلاقتها بالسّياق في الآية والسّورة؟

قال جمهور المفسّرين إنّها شجرة الزّقُّوم، لا لشيء، إلّا لأنّها وردت في القُرآن على أنّها من شجر جهنّم، وأنّها مُعدّة للكُفّار، قال تعالى: ﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ۝ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ۝ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ۝ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ (الصّافّات 62-67).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ۝ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴾ (الدُّخان 43-46).

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ۝ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ۝ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ۝ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ۝ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴾ (الواقعة 51-55).

إنّ الآية السّابقة في سورة بني إسرائيل تتحدّث عن الإسراء والمعراج، وأنّه فتنة للناس، وكذلك شجرة الزّقُّوم هي فتنة للناس، فهل يمكننا المقابلة فيما بين الآيات ﴿ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ﴾ ﴿ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ۝ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴾ (الصّافّات 62-63).

أعتقد أنّ هذه المقابلة لا تستقيم؛ حيثُ إنّ بعد لفظ (الشّجرة الملعونة في القُرآن) جاء قوله تعالى: ﴿ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴾ ، فَمَنْ هُم الذين يُخوِّفهم الله تعالى، فما يزيدهم هذا التّخويف إلّا طُغياناً؟! وما علاقتهم بالشّجرة الملعونة في القُرآن؟!

عند البحث في كُتُب التّفاسير نجد القرطبي يقول في تفسيره... وقال ابن عبّاس: هذه الشّجرة بنو أُميَّة، وأنَّ النّبي ﷺ نفى الحكم. وهذا قول ضعيف محدث، والسّورة مكِّيَّة، فيبعد هذا التّأويل، إلّا أنْ تكون هذه الآية مَدَنيَّة، ولم يثبت ذلك. وقد قالت عائشة لمروان: لعن الله أباك في صلبه، فأنت بعض مَنْ لعنه الله. ثُمَّ قال: "والشّجرة الملعونة في القُرآن"، ولم يجر في القُرآن لعن هذه الشّجرة، ولكنَّ الله لَعَنَ الكُفّار وهُم آكلوها.. [1].

وقال ابن كثير... وقيل: المراد بالشّجرة الملعونة بنو أُميَّة، وهُو غريب ضعيف..

ممّا سبق نجد أنَّ هُناك مَنْ فسّر الشّجرة بالعائلة؛ أيْ شجرة النّسب، وإنْ لم يثبت أنَّ المقصود بها بنو أُميَّة. والسّؤال: هل يستقيم تفسير الشّجرة بشجرة النّسب والعائلة؟!

يُخبرنا لسان العَرَب بالتّالي: ويُقال: فلان من شجرة مباركة؛ أيْ من أصل مبارك... ويُخبرنا مُحيط المُحيط بالتّالي:... شجرة النّسب يُبتدَأ فيها من الجَدّ الأعلى إلى أولاده، ثُمَّ أولاد أولادهم، وهَلُمَّ جرًّا.

ويُخبرنا المُعجم الوسيط بالتالي:... ويقال هُو من شجرة طيبة: أي من أصل كريم.

إذاً؛ نجد أنَّه في اللُّغة العَرَبيَّة قد يكون معنى الشّجرة شجرة النّسب والأصل والعائلة، وأنَّ هذا متوافق ومستقيم مع بيان وبلاغة اللُّغة العَرَبيَّة، والسّؤال هُنا: لكنْ؛ هل يستقيم هذا المعنى في القُرآن الكريم؟ أم أنَّ الشّجرة في القُرآن هي الشّجرة المعروفة من النّبات، وأنَّه ليس هُناك معنى آخر؟!

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ (ابراهيم 24-27).

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية:... وقال البُخاري... عن ابن عمر قال: كُنّا عند رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: (أخبروني عن شجرة تُشبه ـ أو ـ كالرّجل المُسلم لا يتحات ورقها صيفاً ولا شتاءً، وتُؤتي

(1) الجامع لأحكام القُرآن، ج10، ص49.

أُكُلها كلّ حين بإذن ربّها)، قال ابن عمر: فوقع في نفسي أنّها النّخلة، ورأيتُ أبا بكر وعمر لا يتكلّمان، فكرهتُ أنْ أتكلّم، فلمّا لم يقولا شيئاً، قال رسول الله ـ ﷺ ـ في نفسي: إنّها النّخلة. قال: ما منعكَ أنْ تتكلّم؟ قلتُ: لم أركم تتكلّمون، فكرهتُ أنْ أتكلّم أو أقول شيئاً، قال عمر: لأنْ تكون قُلتَها أحبّ إليّ من كذا وكذا.

ثُمّ يورد ابن كثير حديث ابن عمر عن أحمد، ثُمّ يُضيف في موقع آخر:... الظّاهر من السّياق أنّ المُؤمن مثله كمثل شجرة لا يزال يوجد منها ثمر في كلّ وقت من صيف أو شتاء أو ليل أو نهار، كذلك المُؤمن لا يزال يُرفَع له عمل صالح آناء اللّيل وأطراف النّهار في كلّ وقت وحين... وقوله تعالى: (مثل كلمة خبيثة كشجرة) هذا مثل كُفر الكافر، لا أصل له، ولا ثبات، مشبَّه بشجرة الحنظل،... ورواه أبو يعلى في مسند... عن أنس أنّ رسول الله ﷺ أتى بقناع عليه بسر، فقال: (مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السّماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها) فقال: (هي النّخلة) (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، قال: (هي الحنظل). قال شُعيب: فأخبرتُ بذلك أبا العالية. فقال: كذلك كُنّا نسمع. وقوله (اجتثّتْ)؛ أيْ استُؤصِلَتْ (من فوق الأرض ما لها من قرار)؛ أيْ لا أصل لها، ولا ثبات، كذلك الكُفْر لا أصل له، ولا فرع، ولا يصعد للكافر عمل، ولا يُتقبّل منه شيء.(1)

أيْ أنّ المُؤمن شُبّه بالشّجرة الطّيّبة، والكافر شُبّه بالشّجرة الخبيثة، ونجد هذا في مقابلة الآيات:

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ ﴿ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ﴿ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾.

أيْ أنّ الله ـ تعالى ـ شبّه ثبات المُؤمنين بالشّجرة الشّامخة، وشبّه ضلال الكُفّار بالشّجرة المُجتثّة من على الأرض. وفي النّهاية؛ نخلص بأنّ تشبيه الشّجرة بالمُؤمنين أو بالكُفّار أمر يستقيم مع بلاغة القُرآن الكريم. بل نجد أكثر من ذلك، حيثُ إنّ القُرآن الكريم أخبرنا بأنّ تشبيه المُؤمنين بالزّرع كان أحد البشارات في الإنجيل بمُحَمّد ﷺ وبالمُسلمين؛ حيثُ قال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ

---

(1) تفسير القُرآن العظيم، ج2، ص 486.

أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ (الفتح 29).

نجد هذه البشارة في أناجيل العهد الجديد كالتَّالي:

العهد الجديد إنجيل متَّى إصحاح 13

3 فكلّمهم كثيراً بأمثال قائلاً: هُو ذا الزّرع قد خرج ليـزرع. 4 وفيـما هُـو يـزرع يسقط بعض على الطّريق، فجاءت الطّيور، وأكلته. 5 وسقط آخر على الأماكن المحجرة؛ حيثُ لم تكن له تربة كثيرة، فنبـت حـالاً؛ إذْ لم يكـن لـه عُمـق أرض. 6 ولكنْ؛ لمّا أشرقت الشّمس احترق. وإذْ لم يكن له أصل جفَّ. 7 وسـقط آخـر على الشّوك. فطلع الشّوك، وخنقه. 8 وسقط آخر على الأرض الجيّـدة، فـأعطى ثمراً...

24 قدَّم لهم مثلاً آخر قائلاً: يشبه ملكوت السّموات إنساناً زرع زرعـاً جيّـداً في حقله. 25 وفيما النّاس نيام جـاء عـدوُّه، وزرع زوانـاً وسـط الحنطـة، ومـضى. 26 فلمّا طلع النّبات، وصنع ثمراً، حينئذ؛ ظهر الـزّوان أيـضاً. 27 فجـاء عبيـد الرّبِّ البيت، وقالوا له: يا سيِّد؛ أليس زرعاً جيِّداً زرعتَ في حقلكَ؟ فمن أيـن له زوان؟ 28 فقال لهم: إنسان عدوٌّ فعل هذا، فقال له العبيد: أتريد أنْ نجمعه؟ 29 فقال: لا. لئلّا تقلعوا الحنطة مع الزّوان وأنتم تجمعونه. 30 دعوهمـا ينميـان كلاهما معاً إلى الحصاد. وفي وقت الحصاد أقول للحاصدين اجمعوا أوّلاً الزّوان، واحزموه حزماً، ليُحرَق. وأمَّا الحنطة؛ فاجمعوها إلى مخزني.

31 قدَّم لهم مثلاً آخر قائلاً: يُشبه ملكوت السّموات حبَّة خردل أخـذها إنـسان وزرعها في حقله. 32 وهي أصغر جميع البذور. ولكنْ؛ متـى نمـت فهـي أكـبر البقول. وتصير شجرة، حتَّى إنَّ طيور السّماء تأتي وتتآوى في أغصانها...

أورد إنجيل مرقس ما أورده إنجيل متَّى، بل إنَّه أضاف أيضاً:

العهد الجديد إنجيل مرقس 1صحاح 4

... 26 وقال هكذا ملكوت الله كان إنساناً يُلقي البذار على الأرض. 27 وينام ويقوم ليلاً ونهاراً والبذار يطلع وينمو وهُو لا يعلم كيف. 28 لأنَّ لأرض من ذاتها تأتي بثمر. أوَّلاً نباتاً، ثُمَّ سنبلاً، ثُمَّ قمحاً في السّنبل. 29 وأمَّا متى أدرك أكثر؛ فللوقت المنجل؛ لأنَّ الحصاد قد حضر...

تكرَّرت هذه الأمثلة في إنجيل لُوقا الإصحاح 8 الفقرات 4 إلى 15 والإصحاح 13 الفقرات 18 إلى 19.

نعود لموضوعنا الأساسي وهُو أنَّ لفظة (شجرة) قد يكون المقصود بها فئة أو طائفة أو عائلة، سواء كان المقصود بها مُؤمنين أو كُفَّاراً. وإنَّ هذا أمراً يستقيم مع اللُّغة العَرَبيَّة ومع بلاغتها وبيانها، وكذلك مع القُرآن الكريم وتشبيهاته وأسلوبه.

قال الشّوكاني عند تفسير آية سورة بني إسرائيل:... وقيل: إنَّ الشّجرة الملعونة هي الشّجرة التي تلتوي على الشّجر، فتقتلها، وهي شجرة الكشوث، وقيل: هي الشّيطان، وقيل: اليهُود، وقيل بني أُميَّة...[1].

نجد في هذا التّفسير بأنَّه هُناك مَنْ فسَّر الشّجرة بالطّائفة أو العائلة حين قال الشّوكاني (قيل: اليهُود، وقيل: بني أُميَّة)، والسّؤال يأتي هُنا: هل ورد لعن هذه الشّجرة في القُرآن الكريم؟!

يقول القرطبي... ولم يجر في القُرآن لعن هذه الشّجرة، ولكنَّ الله لعن الكُفَّار وهم آكلوها...[2].

ويقول الزّجّاج:... فإنْ قال قائل: ليس في القُرآن ذكْر لعنها، فالجواب في ذلك: لعن الكُفَّار وهم آكلوها، وجواب آخر أيضاً: أنَّ العَرَب تقول لكلّ طعام مكروه وضارّ ملعون[3].

---

(1) فتح القدير، ص 974.

(2) الجامع لأحكام القُرآن، ج 10، ص249.

(3) معاني القُرآن وإعرابه، ص248.

قال المفسِّرون بأنَّه لم يجر لعن الشّجرة بعينها، فقاموا بالتأويل والتّخريج، وذلك لأنَّهم فسَّروا لفظة (الشّجرة) بشجرة الزّقوم فقط، وشجرة الزّقوم لم ترد آية في القُرآن الكريم تنصُّ على لعنها مطلقاً.

فإذا أخذنا بقول مَنْ يقول بأنَّ المقصود (الشّجرة) الطّائفة أو العائلة؛ أيْ شجرة النّسب: فهل سنجد في القُرآن الكريم نُصُوصاً على لعنها كما ذكرت الآية: ﴿ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ﴾ :

1- إذا أخذنا القول بأنَّ الشّجرة الملعونة هي شجرة بني أُميَّة، فإنَّنا لا نجد أيَّ نصٍّ في القُرآن يلعنها مطلقاً.

2- إذا أخذنا القول بأنَّ الشّجرة الملعونة هي شجرة بني إسرائيل (وهُو اسم السّورة) واليهُود، فإنَّنا نجد الكثير من آيات القُرآن التي تنصُّ على لعنهم.

ممَّا سبق نجد أنَّ الشّجرة التي لُعنت في القُرآن هي شجرة بني إسرائيل واليهُود.

وبهذا القول قال مُحمَّد مُنيرا إدلبي، وأكَّده.... من المعلوم أنَّ سورة الإسراء تُسمَّى ـ أيضاً ـ سورة بني إسرائيل، تتحدَّث الآية هُنا عن شجرة مُعيَّنة في القُرآن ذاته، وهي: ﴿ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ﴾ إذنْ؛ يجب ـ بحسب هذه الآية الكريمة ـ أنْ نجد ذكْراً لشجرة لعنها الله في القُرآن لعناً يتعلَّق بشجرة (نبات) ملعونة، بل نقرأ فيه لعناً لشجرة من النّاس لعنهم الله بكفرهم، قال تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾ (المائدة 78)، لا شكَّ في أنَّ بني إسرائيل ينتمون إلى شجرة مُعيَّنة من النّاس، ويؤكِّد القُرآن أنَّ الذين كفروا منهم قد لُعنوا على لسان أنبيائهم. وقال تعالى: ﴿ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ﴾ (النساء 47)، إذنْ؛ كُفَّار اليهُود هُم الشّجرة الملعونة في القُرآن الكريم، ولن يجد القارئ للقُرآن أيّ شجرة ملعونة مُعيَّنة غيرها [1].

وتفسير مُحمَّد منير إدلبي هُو التّفسير الأدقُّ لهذه الآية الكريمة، ونخلص إلى أنَّ الشّجرة الملعونة في القُرآن هي شجرة بني إسرائيل، وكذلك اليهُود؛ حيثُ إنَّ اليهُود هُم أتباع بني إسرائيل، ويكون المعنى الإجمالي للآية هُو: أنَّ الإسراء والمعراج هُو فتنة للنّاس، وكذلك بني إسرائيل واليهُود هُم فتنة للنّاس، كما أنَّ الله ـ تعالى ـ كلَّما خوَّفهم بعقابه، ازدادوا طغياناً فوق طغيانهم.

---

(1) أبناء آدم من الجنّ والشياطين، ص 30.

وللجمع بين تفسير المفسّرين العامّ والقول بأنّ الشّجرة الملعونة هي شجرة الزّقُّوم وبين هذا التّفسير القائل بأنّها شجرة نسب إلى بني إسرائيل واليهُود، فكما فُسّرت آية ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ (إبراهيم 24) ، بأنّ الشّجرة الطّيّبة المقصود بها المُؤمن وهي النّخلة، فإنّنا نُفسّر آية ﴿ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ (إبراهيم 26)، بأنّ الشّجرة الخبيثة المقصود بها الكافر وهي الحنضل، فإنّنا نُفسّر آية ﴿ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْءَانِ ﴾ (الإسراء 60) بأنّ الشّجرة الملعونة في القُرآن المقصود بها بني إسرائيل واليهُود، وهي شجرة الزّقُّوم.

لُعنت شجرة بني إسرائيل واليهُود في عدّة مواضع في القُرآن الكريم:

1- ﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ (البقرة 88).

2- ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَـٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ (البقرة 89).

3- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ ﴾ (البقرة 159).

4- ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَـٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (النساء 46).

5- ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ (النساء 47).

6- ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴾ (النساء 51).

7 ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ (المائدة 13).

8- ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ ﴾ (المائدة 60).

9- ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ﴾ (المائدة 64).

10- ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾ (المائدة 78).

11- ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (هود 18).

اعتقد أنَّ من أهمِّ وأبرز نتائج البحث في نظري هُو عمليَّة ما أُسمِّيه ردود القُرآن الكريم على التّوراة المحرَّفة. فإنَّ التّوراة قامت بتحريف الكلام عن مواضعه وتزييف القَصَص التّاريخيَّة للقوميَّة الإسرائيليَّة. فكُلَّما أخفت من حقائق تاريخيَّة وقَصَص وشخصيَّات وأحداث جاء القُرآن الكريم بفضح هذا التّزييف وكشفه. وبالطّبع؛ هُنا اقتصرنا على ماله صلة وعلاقة بموضوع وعُنوان البحث، وإلَّا فإنَّ هُناك ردوداً أُخرى للقُرآن الكريم على ما يُسمَّى الكتاب المُقدَّس بعهدَيْه القديم والجديد. ونحبُّ أنْ نشير إلى هذه الرّدود، والتي تناولناها في ثنايا البحث بقصد التّذكير وبقصد الإخبار بأنَّنا اعتمدنا على ما ذكرناه في البحث على القُرآن الكريم.

ونلخص هذه الرّدود بدون شرح في عدَّة نقاط:

1- قامت التّوراة في أوّل أسفار التّوراة في سفر التكوين بإخفاء أنَّ هُناك مُؤمنين مع نُوح عليه السّلام، فكان ردُّ القُرآن الكريم بأنَّ هُناك مجموعة من المُؤمنين آمنوا مع نُوح عليه السّلام.

2- قامت التّوراة بذكر أنَّه لم ينجُ من الطّوفان وركب السّفينة سوى نُوح عليه السّلام وأبناؤه الثّلاث ونساؤهم، وكان هذا في سبع مواضع، فكان ردُّ القُرآن الكريم بأنَّه ذكر بأنَّ المُؤمنين الذين مع

نُوح قد نجوا، وركبوا السّفينة، وكان هذا في سبع مواضع أيضاً، كما ردَّ القُرآن بأنَّ امرأة نُـوح ـ عليـه السّلام ـ لم تنجُ، وكذلك أحد أبنائه.

3- ترتَّب على النّقطتَيْن السّابقتَيْن أنَّ التّوراة ذكرت أنّه لم يتبقَّ بعد الطّوفان سوى ذُرِّيَّـة نُـوح عليه السّلام فقط لا غير، فكان ردُّ القُرآن الكريم بأنّه كان هُناك ذُرِّيَّات أُخرى لِمَنْ كان مـع نُـوح مـن المُؤمنين، وحُمل في السّفينة.

4- قامت التّوراة بإخفاء نسب بني إسرائيل، وادَّعت أنّهم ينتسبون إلى يعقُوب عليه الـسّلام، فكان ردُّ القُرآن الكريم على أنّهم ينتسبون إلى مَنْ حُمـل مـع نُـوح عليـه الـسّلام، ولـيس يعقُـوب بـن إسحاق بن إبراهيم، الذي من ذُرِّيَّة نُوح، عليهم السّلام أجمعين.

5- قامت التّوراة بإخفاء مَنْ هُم الأسباط، وتخبَّطـتْ في تعـريفهم، فكـان ردُّ القُـرآن الكـريم الذي أُنزل بلسان عَرَبِي بأنّه ذكر الأسباط، ومعنى سبط في اللُّغة العَرَبيَّـة ابـن الابـن؛ أيْ الحفيـد؛ أيْ أنّهم أحفاد مَنْ حُمل مع نُوح عليه السّلام. ونحبُّ أنْ نضيف أنَّ معنى سبط في اللُّغـة العبريَّـة قبيلـة أو جزء من قبيلة، وليس اسماً أو لقباً يُطلَق على الواحد من أبناء يعقُوب عليه السّلام.

6- قامت التّوراة بإخفاء قَصَص الأنبياء فيما بين نُوح وإبراهيم عليهم السّلام، هُـود وصالح وكذلك شعيب، الذي كان بعد إبراهيم عليه السّلام، والسّبب في هذا أنَّ بني إسرائيل لم يحتكّوا بهـم، فَقُصِرَتْ النُّبُوَّة على مَنْ احتكُّوا بهم، وبُعثوا إليهم، فكان ردُّ القُرآن الكريم في ذكْر قَصَصهم.

7- قامت التّوراة بإخفاء شخصيَّات وهُويَّة مَنْ دخل مصر في عهد إبراهيم ويعقُوب ويُونُس عليهم السّلام، وذكرت أنّهم فراعنة؛ أيْ حُكَّام مصريِّيْن من أهل البلاد، فكان ردُّ القُرآن الكـريم بـأنَّ الأنبياء إبراهيم ويعقُوب ويُوسُف ـ عليهم السّلام ـ دخلوا مصر في عهد حُكْم ملـوك؛ أيْ مُؤسِّـسين لنظام ملكي على أرض مصر.

8- قامت التّوراة بإخفـاء أنَّ بنـي إسرائيـل كـانوا ملوكـاً في مـصر، وأن إبـراهيم ويعقُـوب ويُوسُف بُعثوا إليهم، فكان ردُّ القُرآن الكريم بأنّهم كانوا ملوكاً قبـل مُوسـى عليـه الـسّلام؛ أيْ قبل

تحوُّل الحُكْم إلى فراعنة مصر الذين بُعث مُوسى عليه السّلام في عهدهم، وأنَّ إبراهيم ويعقُوب ويُوسُف ـ عليهم السّلام ـ بُعثوا إليهم.

9- قامت التّوراة بتزييف قصَّة اضطهاد بني إسرائيل، وقالت إنَّ ذلك كان بسبب قيام حاكم فرعوني لم يعرف يُوسُف عليه السّلام، فكان ردُّ القُرآن الكريم بأنَّ الفراعنة الذين قضوا على حُكْم الملوك [الإسرائيليّيْن] كانوا يعرفون يُوسُف عليه السّلام جيِّداً.

10- قامت التّوراة بإخفاء السّبب الحقيقي لاضطهاد بني إسرائيل، فكان ردُّ القُرآن الكريم بأنَّ السّبب الحقيقي هُو خوف فرعون وقومه من أنْ يعود بنو إسرائيل إلى حُكْم مصر، وعبَّروا عن ذلك بقولهم إنَّ مُوسى وأتباعه الإسرائيليّيْن يُريدون إخراج الفراعنة من مصر؛ أيْ إعادة الحُكْم الملكي الإسرائيلي، والذي شاركهم فيه آل يعقُوب.

11- قامت التّوراة بإخفاء شخصيَّتَيْن تاريخيَّتَيْن ذاتَيْ قدر من الأهمِّيَّة، والسّبب إخفاء نسبهم إلى بني إسرائيل لكي يصبح من المعقول والمقبول انتساب بني إسرائيل إلى يعقُوب عليه السّلام، فكان ردُّ القُرآن الكريم، فذكر الأوَّل، وهُو الخضر، الذي نسبه الرّسول ﷺ في الحديث الشّريف إلى أشراف بني إسرائيل، وذكر الثّاني، وهُو السّامري، ونسبه إلى قبيلة كبرى في بني إسرائيل.

12- أسَّست التّوراة ووضعت نظريَّة الانتخاب، وذلك بواسطة الاختيار والانتقاء؛ حيثُ إنَّها قامت بذكْر قصَّة من آدم إلى نُوح عليهم السّلام، وأخفت أنَّ هُناك مُؤمنين مع نُوح عليه السّلام، ومن ثمَّ؛ اختارت وانتقت من نسل نُوح عليه السّلام سام، وحقَّرت غيره، فكان ردُّ القُرآن الكريم بأنَّهم من ذُرِّيَّة المُؤمنين الذين حُملوا مع نُوح عليه السّلام. قامت التّوراة باختيار وانتقاء إبراهيم عليه السّلام [لاحتكاكهم به]، وأخفت قَصَص الأنبياء فيما بين نُوح وإبراهيم عليهم السّلام، فكان ردُّ القُرآن الكريم بذكْر قَصَصهم. قامت التّوراة باختيار وانتقاء إسحاق عليه السّلام، ونبذت إسماعيل عليه السّلام، الابن البكر لإبراهيم، عليه السّلام، وجعلت إسحاق هُو الذّبيح، فكان ردُّ القُرآن الكريم بأنَّ الذّبيح هُو إسماعيل عليه السّلام. قامت التّوراة باختراع شخصيَّة عيسو، وجعله هُو الابن البكر لإسحاق عليه السّلام، ومن ذلك نبذتْهُ، واختارت وانتقت يعقُوب عليه السّلام، فكان ردُّ القُرآن الكريم بأنَّ يعقُوب هُو الابن البكر لإسحاق عليهم السّلام. قامت التّوراة باختيار وانتقاء

يعقُوب عليه السّلام، وجعله هُو إسرائيل، وفوق هذا؛ جعلتْ أبناءه الاثنَيْ عشر هُم الأسباط الاثنَيْ عشر، فكان الرّدُّ هذا البحث المستند والمُدعَّم بكلام الله تعالى (القُرآن الكريم)، وهذا أوّلاً، وثانياً؛ سُنَّة رسوله مُحَمَّد، وكذلك إلى كُتُب أهل الكتاب، سواء المعترَف بها [ما يُسمَّى الكتاب المُقدَّس بعهدَيْه والتّلمود] أو الغير معترف بها [التّوراة السّامريَّة وإنجيل برنابا]، بالإضافة إلى التّاريخ وشهادات الباحثين والمُؤرِّخين وعُلماء الآثار.

بعدما ذكرنا سابقاً اعتمادنا على القُرآن الكريم، وأنَّه يدعم هذه النّظريَّة ويُؤيِّدها ويُؤكِّدها، فإنِّي أُحبُّ أنْ أُناقش مسألة وإشكاليَّة، وهي أنَّه قد تمَّ تناول هذه المسألة سابقاً، وبُحثتْ، وتمَّ إبداء رأي فيها، وأنَّ السّلف أو الرّعيل الأوَّل قد قالوا قولهم، وأنهوا ـ بذلك ـ مجال النّطق والكلام بعدهم، وأنَّه لم يتبقَّ للخَلَف المتأخِّرين شيء، وأنَّه قد نضب العلم، وقُطع الفَهْم من بعدهم، وأعتقد أنَّه لا أحد يجزم أبداً وقَطْعاً بأنَّ هُناك شخصاً أو جيلاً أو عصراً واحداً قد ألمَّ أو وعى وعبَّ كاملاً بكلّ ما في القُرآن الكريم من آيات ومعاني وأسرار ومعجزات، لا في سلف كان، ولا حتَّى في خَلَف، فها هُم اليوم عُلماء الشّريعة يستنبطون منه الأدلَّة والأحكام، وها هُم عُلماء التّربية يأخذون منه نظريَّاتهم، وها هُم عُلماء الاجتماع يبحثون فيه عن آرائهم، وها هُم عُلماء التّاريخ يستشهدون بما أثبتته آياته، وها هُم عُلماء العُلُوم يكتشفون فيه الإعجاز العلمي في كلّ المجالات؛ الطّبّيَّة، والرّياضيَّة، والفلكيَّة، والجيولوجيَّة، والجغرافيَّة، وغيرها.

وبما أنَّنا لم نخرج عن آيات القُرآن الكريم، ولكنْ؛ كان خُرُوجنا ـ فقط ـ على أقوال الأوَّلين، فإنَّه قد ورد في الأثر أنَّ جماعة استشهدت بأقوال أحد الصّحابة رضي الله عنهم، فجاء ردُّ صحابي آخر بالقول «سُبحان الله، إنِّي أقول لكم قال الله، قال رسوله، فتقولون قال فلان!!».

ثُمَّ إنَّ الله ـ سُبحانه وتعالى ـ قد أعطى خلقه وعباده مبدأ عظيماً وهُو أنَّه على المخلوق والعبد أنْ يتفكَّر، ويبحث، وأنْ لا يقف عند حدِّ ما قيل له مسبقاً فقط، بل عليه استخدام عقله، فإنَّه إنْ أخذ الخبر الخطأ فإنَّ تدبُّره وعمليَّة غربلة ما تلقَّاه سوف تُصحِّح هذا الخطأ، وإنْ أخذ الخبر الصّحيح من آبائه الأوَّلين فإنَّ تدبُّره وتفكُّره فيما أخذه سوف تجعله يأخذ الخبر على مبدأ اليقين لا التّلقين.

ونستشهد هُنا ببعض الآيات التي أسّست لهذا المبدأ:

قال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا ﴾ (يونس 78).

قال تعالى: ﴿ أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ (المؤمنون 68).

قال تعالى: ﴿ بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ﴾ (الزخرف 22).

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآ ﴾ (لقمان 21).

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴾ (البقرة 170).

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴾ (المائدة 104).

حثّت الآيات السّابقة على عدم اتّخاذ ما وصلنا من الآباء قُرآناً يُتعبَّد باتّباعه، فلا يجوز المساس به وكأنّه كلام من الله جلّ جلاله، أو حديثاً من رسوله ، لذا؛ فلا بأس من تحليل وإخضاع بعض ما وصلنا من السّابقين الأوّلين للبحث في جُزئيّاته أو تفاصيله، فإنّ على هذا الجيل والأجيال القادمة مهمّة إحياء وتجديد التّراث الإسلامي في شتّى فروعه. إنّ انعدام الثّقة بهذه الأجيال سيترتّب عليه عدم الثّقة بهذه الأُمّة، وإذا فُقدت الثّقة بهذه الأمّة فكأنّنا نفقد ثقتنا بما تحمله هذه الأمّة، وهُو إسلامها وعقيدتها وتراثها وحضارتها.

وبما أنّ الإسلام كما نُردّد في جملتنا الشّهيرة وقولتنا المأثورة أنّه صالح لكلّ زمان ومكان، فلماذا نُناقض أنفسنا وجملتنا السّابقة ونكتفي بما قيل وكُتب في زمان ومكان محدّدين لا نحيد عنهما؟! أليس في الإسلام ما هُو أكبر من أنْ يستوعبه زمان وعصر أو مكان وأرض؟! وهذا هُو ما يجعله أهلاً لأنْ يكون صالحاً لكلّ زمان ولكلّ مكان، ففي كلّ وقت وفي كلّ بلد يجد المُسلمون فيه مبتغاهم وما يصلح أمرهم وما يكون عوناً لهم في دينهم ودنياهم وفي عباداتهم ودعوتهم ، أليس هذا هُو معنى جملتنا المعروفة؟!

# الخاتمة

عندما كنتُ أقرأ في الإسرائيليَّات (كُتُب اليهُود) وما كُتب عنهم من ادِّعائهم أنَّهم هُم أبناء الله، وأنَّهم هُم وحدهم من نسل آدم وحوَّاء، أمَّا بقيَّة البشر؛ فهم من نسل الجنِّ الذين ظهروا نتيجة لزنى آدم وحوَّاء مع الجنّ، وأنَّ بقيَّة البشر هُم حيوانات، خَلَقَهُم كهيئة الإنسان إكراماً لليهُود ولخدمتهم، كلُّ هذا عندما كُنتُ أقرؤه كُنتُ أتندَّر، وأستهزئ، وأتساءل: إذا كان بنو إسرائيل من نسل إسرائيل، وإسرائيل هُو يعقُوب عليه السّلام، فكيف يضعون نفسهم في جانب والبشر في جانب، مع أنَّ الكلَّ من نسل نُوح أبي البشر الثّاني كما عرفنا، ودرسنا، ولُقِّنَّا؟! وكيف يكون هذا مقبولاً أو منطقيّاً؟! وكيف يؤمنون به، مع أنَّ التّوراة ـ شكلاً ـ تُناقض هذا الأمر؟!. ولكنْ؛ بعد هذا البحث عرفتُ أشياء كثيرة؛ منها أنَّهم ـ هُم ـ من نسل آخر، نسل وذُرِّيَّة مَنْ حُمل مع نُوح، والبشر ـ هُم ـ من نسل وذُرِّيَّة نُوح عليه السّلام. كان هذا الفاصل وهذا الفرق وهذا الحاجز هُو الذي مكَّنهم من قول هذه الأقاويل. واستطعتُ فَهْم معنى ومدلول (هادوا) و (الأسباط) التي حار فيها الكثير، فهادوا؛ أيْ تابوا وعادوا ورجعوا إلى الطّريق الصّحيح بعد انحرافهم في الفترة الطّويلة فيما بين نُوح ومُوسى عليهما السّلام، والأسباط؛ أيْ الأحفاد، ومفادها أحفاد مَنْ حُمل مع نُوح عليه السّلام.

عندما نفهم هذه الأسرار عن بني إسرائيل، ونعرف أنَّهم ليسوا من ذُرِّيَّة نُوح، وليس لهم أيُّ علاقة بذُرِّيَّة إبراهيم أو يعقُوب عليهما السّلام، نتفهَّم سبب إفسادهم في الأرض، ونتفهَّم سبب حياكتهم للمُؤامرات ضدَّ البشريَّة، ونتفهَّم مُخطَّطاتهم بكُلِّ قذاراتها؛ بما فيها التّلمود (وبرُوتُوكُولات حُكَماء صهيُون؛ إنْ صحَّتْ نسبتها إليهم). فهم ـ أيْ بنو إسرائيل ـ عندما نعرف عنهم أنَّهم من ذُرِّيَّة مُحدَّدة، بينما جميع البشر والشُّعُوب من ذُرِّيَّة أُخرى، نعرف سبب تحريف التّوراة، وسبب تحريف الإنجيل، ونعرف ـ أيضاً ـ سبب تشويه صُورة الأنبياء؛ بمَنْ فيهم الأنبياء الذين بُعثوا للأقوام الأُخرى، ونعرف سبب تطاولهم على الله جلَّ جلاله، تعالى عمَّا يقولون، وكيف ألصقوا به أبشع

التّحريفات، عليهم لعنانه وغضبه عزَّ وجلَّ. ويكفي أنْ نقرأ كتاب د. مُحَمَّد علي البار وهُو بعُنوان: (الله جلَّ جلاله والأنبياء عليهم السّلام في التّوراة والعهد القديم)، وذلك في الجزء الثّاني من سلسلة أباطيل التّوراة والعهد القديم، وممَّا جاء فيه: "الله - جلَّ جلاله - تُصوِّره التّوراة والتّلمود، فهُو (يرتاح - ينام - يلعب - يسير - يكتب بإصبعه - نُزُوله - يخدع - يبكي - يصارع - يعترف بخطيئته - يسكن الضّباب - يندم - يحزن - يسكن في التّابوت - يُشجِّع على السّرقة - يخاف - يعشق اللّحم المشوي"، أمّا نُوح عليه السّلام؛ فقالوا عنه: إنَّه يسكر، ولُوط - عليه السّلام - زنى ببناته، ويعقُوب عليه السّلام - والذي يدَّعون أنَّه أبوهم - قالوا عنه: "ماكر - مخادع - سارق - يصارع الله - يقتل - ابنه زنى بزوجته"، ومُوسى عليه السّلام: "يجادل الرّبَّ، فيغضب عليه - يعاتب الرّبَّ"، وهارون عليه السّلام: "هُو مَنْ صنع العجل"، وداود عليه السّلام: "مُكوِّن لعصابة للإفساد في الأرض - يكذب - يخادع - يزني - ابنه البكر يزني بابنته - ابنه ينكح زوجاته"، وسليمان عليه السّلام: "قتل أخاه - يعبد الأوثان".

إنَّ هذه التّحريفات أبشع من أنْ يتصوَّرها خيال جامح، فكيف وقد أُلصقت بالله تعالى عمَّا يقولون، وبأنبيائه. إنَّنا نفهم - الآن - سبب هذا التّحريف، وهُو محاولة لكي يُتمّ إغواء البشر عن الطّريق الصّحيح، وإغراءهم بالشّرك والكُفْر بالله، وارتكاب الرّذيلة، وترك الفضيلة، ويكفي أنْ نستشهد بقول الحِبْر الأعظم إسرائيل الأُورشليمي بعد أنْ أسلم: "إنَّه - الإسلام - قلع البغضة المزروعة في قلبي بحقِّ الأُمم من النّاس، وهي معي عن آبائي وأجدادي...".[1]

(1) الرّسالة السّبعيّة بإبطال الدّيانة اليهُودية، ص63.

# المصادر والمراجع


1- القُرآن الكريم تفسير وبيان مع أسباب النّزول للسّيوطي مع فهارس كاملة للمواضيع والألفاظ، إعداد مُحَمّد حسن الحمصي، دار الرّشيد.

2- مُعجم ألفاظ القُرآن الكريم، حسّان عبد المنّان، بيت الأفكار الدّوليّة.

3- جامع النّقول في أسباب النّزول، ابن خليفة عليوي، ط 1404.

4- أطلس القُرآن، شوقي أبو خليل، دار الفكر، ط2001.

5- موسوعة الحديث الشّريف للكُتُب السّتّة: (صحيح البُخاري، صحيح مُسلم، سُنن أبو داود، جامع التّرمذي، سُنن النّسائي، سُنن ابن ماجه) بإشراف صالح بن عبد العزيز آل الشّيخ، دار السّلام، ط 2000.

6- مسند الإمام أحمد بن حنبل، بيت الأفكار الدّوليّة، ط 1998.

7- فتح الباري بشرح صحيح البُخاري، الحافظ بن حجر العسقلاني، بيت الأفكار الدّولة.

8- المنهاج في شرح صحيح مُسلم، محيي الدّين أبو زكريّا النّووي، بيت الأفكار الدّوليّة.

9- الأحاديث القُدسيّة، درويش جويدي، المكتبة العصريّة، ط 2001.

10- اليهُود في السُّنّة المُطهّرة، عبد الله بن ناصر الشّقاوي، دار طيبة، ط 1996.

11- جامع التّفسير من كُتُب الأحاديث، خالد بن عبد القادر آل عقدة، دار طيبة.

12- تفسير ابن عبّاس ومروياته في كُتُب السُّنّة، د. عبد العزيز بن عبد الله الحميدي، جامعة أُم القُرى.

13- تفسير الطّبري، تحقيق مُحَمّد وأحمد شاكر، دار المعارف.

14- تفسير القُرآن العظيم، ابن كثير، مكتبة العبيكان، ط 1996.

15- فتح القدير، الشّوكاني، مكتبة الرّشد، ط 2001.

16- الضّوء المنير على التّفسير، ابن القيّم الجوزيّة، دار السّلام.

17- روح المعاني، الألوسي، دار إحياء التّراث العَرَبي، ط1985.

18- أيسر التّفاسير، أبو بكر الجزائري، ط1987.

19- تفسير الشّعراوي.

20- تاريخ الطّبري تاريخ الأُمم والملوك، مُجلَّد 1، دار الكُتُب العلميَّة.
21- البداية والنّهاية، ابن كثير، مُجلَّد 1، دار الرّيَّان للتّراث، ط1988.
22- الكامل في التّاريخ، ابن الأثير، مُجلَّد 1، دار الكُتُب العلميَّة.
23- المُنتظم في تاريخ الملوك والأُمم، ابن الجوزي، مُجلَّد 1، دار الكُتُب العلميَّة.
24- الارتباط الزّمني بين الأنبياء والرُّسُل، د. الحاج مُحَمَّد وصفي، دار ابن حزم.
25- قَصَص الأنبياء، عبد الوهاب النّجّار، دار الكُتُب العلميَّة.
26- أُولُو العَزْم من الرُّسُل، طه وادي، دار الوفاء.
27- معالم قُرآنيَّة في الصّراع مع اليهُوديَّة، أ.د. مصطفى مُسلَّم، دار القلم، ط1999.
28- الرّسالة السّبعينيَّة للحِبْر إسرائيل الأُورشليمي، تحقيق عبد الوهاب طويلة، دار القلم، ط1989.
29- بذل المجهُود في إفحام اليهُود للسّموءل بن يحيى المغربي، تحقيق عبد الوهاب طويلة، دار القلم، ط1989.
30- اليهُوديَّة والمسيحيَّة، مُحَمَّد ضياء الرّحمن الأعظمي، دار المدينة المُنوَّرة.
31- ذُرِّيَّة إبراهيم عليه السّلام والمسجد الأقصى، د. جمال عبد الهادي مسعود و د. وفاء مُحَمَّد رفعت، دار الوفاء، ط1992.
32- تاريخ الأُمَّة المُسلمة الواحدة مُنذُ أقدم عصورها.. في مصر والعراق، د. جمال عبد الهادي مسعود و د. وفاء مُحَمَّد رفعت، دار الوفاء.
33- الأعمال الكاملة لعبد الرّحمن الكواكبي، تحقيق مُحَمَّد عمارة، الهيئة المصريَّة العامَّة، ط1970.
34- الكتاب المُقدَّس، دار الكتاب المُقدَّس في الشّرق الأوسط، ط1995.
35- نُسخة الكتاب المُقدَّس الإنجليزيَّة المعروف بإنجيل البشارة.
Good News Bible.TODAY'S ENGLISH VERSION abe
36- النُّسخة العبريَّة من العهد القديم المعروف بالتّاناخ.
The Bible House, London 1958.
37- التّوراة السّامريَّة، ترجمة الكاهن أبو الحسن الصّوري، تحقيق أحمد حجازي السّقَّا، دار الأنصار، ط1978.
38- إنجيل برنابا، ترجمة خليل سعادة.
39- إنجيل برنابا، تحقيق سيف الله أحمد فاضل، دار القلم، ط1973.

40- الوثيقة الرّسميَّة لإنجيل برنابا، عبد العزيز حسين أبو العلا، دار الوثائق، ط1986.

41- الكنز المرصود في قواعد التّلمود، ترجمة د. يُوسُف نصر الله، دار القلم.

42- فضح التّلمود، ترجمة زهيد الفاتح، دار النّفائس.

43- الإنسانيَّة والصّهيونيَّة، أسعد رزُّوق، دار النّاشر.

44- الله جلَّ جلاله والأنبياء عليهم السّلام في التّوراة والعهد القديم، مُحَمَّد علي البار، دار القلم، 1990.

45- التّوراة تحريف وتزوير، عبد المجيد همُّو، دار الحافظ، ط1998.

46- حقيقة إسرائيل، عبد المجيد همُّو، دار الحافظ، ط2000.

47- اختلاق إسرائيل القديمة، كيث وإيتلام، ترجمة سعد الهنيدي، عالم المعرفة.

48- التّاريخ القديم للشّعب الإسرائيلي، تُوماس ل. طومسون، ترجمة صالح علي سوداح، دار بيسان، ط1995.

49- تاريخ الشّعب العبري، أندريه لومير، ترجمة أنطوان الهاشم، دار عويدات، ط1999.

50- الكتاب المُقدَّس والمُكتشفات الآثاريَّة الحديثة، كاتلين. م كينون، ترجمة شوقي شعث وسليم زيد، دار الجليل، ط1990.

51- قراءات في التّوراة على ضوء المُكتشفات الأثريَّة الحديثة، مُحَمَّد وحيد خيَّاط، دار طلاس، ط1987.

52- اليهُود، المُحامي زكي شنودة، مكتبة النّهضة المصريَّة، ط1974.

53- السّامريُّون، إياد هشام محمود الصّاحب، مكتبة دنديس، ط2000.

54- اليهُود بين القُرآن والتّوراة ومُعطيَات التّاريخ القديم، عبد الرّحمن غينم، دار الجليل، ط2000.

55- روان سرُّ الأسرار، عبد الرّحمن غينم، دار الجليل، ط1991.

56- خفايا التّوراة وأسرار شعب إسرائيل، كمال الصّليبي.

57- حُرُوب داود، كمال الصّليبي، دار الشّرق.

58- خطر التّوراة، فضل بن عمّار العمّاري، مكتبة التّوبة، ط1998.

59- تاريخ العالم لأُورسيُوس، تحقيق عبد الرّحمن بدوي، المُؤسّسة العَرَبيَّة، ط1982.

60- تاريخ مُختصر الدّول، ابن العبري، دار الكُتُب العلميَّة، ط1997.

61- إسرائيل التّوراة.. التّاريخ التّضليل، سعد القمني، دار قباء.

62- أُوزيريس وعقيدة الخُلُود في مصر القديمة، سيِّد محمود القمني، دار الفكر.

63- تاريخ اليهُود القديم بمصر، عبد المُحسن الخشَّاب، مكتبة مدبولي، 1989.
64- آلهة مصر العَرَبيَّة، علي فهمي خشيم، دار الآفاق الجديدة.
65- ديانة مصر الفرعونيَّة الوحدانيَّة والتّعدُّد، إريك هورنونج، ترجمة محمود ماهر طه ومُصطفى أبو الخير، مكتبة مدبولي.
66- صُخُور الفيُّوم تكشف مُعجزات الأنبياء، مُراد محمود الدّش.
67- مصر في القُرآن والسُّنَّة، أحمد عبد الحميد يُوسُف.
68- موسوعة مُختصر التّاريخ القديم، هارفي بورتر، مكتبة مدبولي، ط1991.
69- تاريخ مصر القديمة، نيقولا جريمال، ترجمة ماهر جويجاتي، دار الفكر، ط1991.
70- دراسات في تاريخ مصر الفرعونيَّة، محمود عبد الحميد أحمد، منشورات جامعة دمشق، ط2000.
71- مصر الفرعونيَّة مُوجز تاريخ مصر مُنذُ أقدم عصورها حتَّى عام 332 ق.م، أحمد فخري، مكتبة الأنجلو المصريَّة.
72- مصر الفرعونيَّة، جان يُويُوت، ترجمة سعد زهران، مُؤسَّسة سجلّ العَرَب.
73- تاريخ مصر من أقدم العُصُور إلى الفَتح الفارسي، جيمس هنري برستد، ترجمة حسن كمال، مكتبة مدبولي، ط1990.
74- العُصُور القديمة، جيمس هنري برستد، ترجمة داود قُربان، مُؤسَّسة عزّ الدّين.
75- عصور في فوضى من الخُرُوج إلى الملك أخناتون، إيمانويل فلايكونسكي، ترجمة رفعت السَّيِّد، دار حور، ط2000.
76- العسكريَّة المصريَّة من طَرْد الهكسوس إلى طَرْد اليهُود، مُحَمَّد عبد الواحد حجازي، دار الوفاء.
77- تاريخ الجنس العَرَبي في مُختلف الأطوار والأدوار والأقطار، مُحَمَّد عزَّة دروزة، المطبعة المصريَّة.
78- التّوراة الكنعانيَّة هـا ديل ميديكو، ترجمة جهاد هواش وعبد الهادي عبَّاس، دار دمشق.
79- المُعتقدات الكنعانيَّة، خزعل الماجدي، دار الشّروق، ط2001.
80- مدخل إلى اللُّغة العبريَّة، مُحَمَّد أحمد المراغي، دار العُلُوم العَرَبيَّة.
81- بنو إسرائيل والعبريَّة الحديثة، على رؤوف سيِّد مرسي، مطبوعات جامعة الكُويت، ط1988.
82- قاموس قوجمان عبري ـ عَرَبي، دار الجيل ومكتبة المُحتسب.

83- قاموس سجيف عبري ـ عَرَبي، العبريَّة المُعاصرة.
84- قاموس المورد، مُنير البعلبكي، إنجليزي ـ عَرَبي، دار العلم للملايين، ط1999.
85- مُعجم الحضارات السّاميَّة، هنري س. عبودي، جرُّوس برس.
86- موسوعة المعرفة، المُجلَّد الثّالث.
87- موسوعة اليهُود واليهُوديَّة والصّهيونيَّة، عبد الوهاب المسيري، دار الشّروق، ط1999.
88- صحيفة الحياة، العدد 13514، 5/ 12/ 1420هـ.
89- صحيفة الوطن السُّعُوديَّة، العدد 136، 18/ 11/ 1421هـ.
90- صحيفة رسالة الجامعة (الملك سُعُود)، العدد 729، 23/ 11/ 1421هـ.
91- مُقارنة الأديان (1) اليهُوديَّة، أحمد شلبي، مكتبة النّهضة المصريَّة، ط1997.
92- لسان العَرَب، للإمام العلّامة ابن منظور، تحقيق أمين مُحَمَّد عبد الوهّاب ومُحَمَّد الصّادق العبيدي، دار إحياء التّراث، ط1419.
93- مُختار الصّحاح، زين الدِّين مُحَمَّد الرّازي، ترتيب وتحقيق محمود خاطر وحمزة فتح الله، مُؤسَّسة الرّسالة، ط1418.
94- المِلَل والنِّحَل، أبو الفتح مُحَمَّد الشّهرستاني، تحقيق أمير علي مهنّا وعلي حسن فاعور، دار المعرفة.
95- الفَصْل في المِلَل والأهواء والنِّحَل، للإمام أبي مُحَمَّد علي، المعروف بابن حزم الظّاهري، تحقيق د. مُحَمَّد نصر وَ د. عبد الرّحمن عميرة، شركة عُكاظ.
96- الإسلام دين الله في الأرض وفي السّماء، د. جمال عبد الهادي مسعود ود. وفاء مُحَمَّد رفعت، دار الوفاء، ط1408.
97- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيميَّة، جمع وترتيب المرحوم عبد الرّحمن بن مُحَمَّد ابن قاسم بمُساعدة ابنه، مُجلَّد 11، المطبوع بأمر الملك خالد بن عبد العزيز، مكتبة المعارف.
98- الموسوعة العَرَبيَّة العالميَّة، موسوعة سُلطان بن عبد العزيز، مُجلَّد 27، مُؤسَّسة أعمال الموسوعة.
99- الموسوعة المُيسَّرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المُعاصرة، إشراف ومُراجعة د. مانع ابن حمّاد الجهني، دار النّدوة العالميَّة للشّباب الإسلامي، الطّبعة الرّابعة.
100- يوميَّات قادة العدوّ، جولدا مائير، ترجمة مُنير بهجت حيدر، وسُميَّة أبو الهيجا، دار المسيرة، ط1988.
101- يهُود العراق تاريخهم وأحوالهم وهجرتهم، يعقوب يُوسُف كُوريَّة، الدّار الأهليَّة، ط1998.

102- نُزهة المُشتاق في تاريخ يهُود العراق، يُوسُف رزق الله غنيمة، دار الورَّاق، ط1997.

103- إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، أبكار السّقّاف، مكتبة مدبولي، ط1998.

104- دراسات سريانيّة، شادية توفيق حافظ، نهضة مصر، ط1993.

105- القُرآن والتّوراة أين يتّفقان وأين يفترقان؟ حسن الباش، دار قُتيبة، ط2000.

106- الجواب الصّحيح لَمَنْ بدَّل دين المسيح، لشيخ الإسلام، تحقيق د. علي بن حسن، د. عبد العزيز العسكر، د. حمدان الحمدان، دار العاصمة، ط1414.

107- نقد التّوراة أسفار مُوسى الخمسة، د. أحمد حجازي السّقّا، مكتبة الكُلّيّات الأزهريّة.

108- معاني القُرآن وإعرابه، للزّجّاج أبي إسحاق إبراهيم بن السّري، شرح وتحقيق د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكُتُب، ط 1408هـ.

109- الجامع لأحكام القُرآن، لأبي عبد الله مُحَمَّد بن أحمد الأنصاري القُرطبي، تحقيق عبد الرّزّاق مهدي، دار الكتاب العَرَبي، ط 1421هـ.

110- مُناظرة بين الإسلام والنّصرانيّة، طبع ونشر الرّئاسة العامّة لإدارات البُحُوث العلميّة والإفتاء والدّعوة والإرشاد، الرّياض، المملكة العَرَبيّة السُّعُوديّة، وَقْف لله تعالى.

111- سلسلة الإسلام الذي يجهلون (2)، أبناء آدم من الجنّ والشّياطين، مُحَمَّد مُنير إدلبي، ط 1993م.

112- التّوراة كتابات ما بين العهدَيْن، مخطوطات قمران ـ البحر الميّت، حُقِّقَتْ بإشراف أندريه دوبون ـ سومر مارك فيلوننكو، ترجمة وتقديم مُوسى ديب الغودي، دار الطّليعة الجديدة، ط 1998م.

113- آرام دمشق وإسرائيل، فراس السّوّاح، دار علاء الدّين، ط 1995م.

114- وثائق إيبلا، د. عفيف بهنسي، دمشق، ط 1984م.

115- جُذُور اليهُود أمام النّقد التّاريخي، عبد المجيد همُّو، دار الحافظ، ط 2000م.

116- أنبياء القُرآن، عبد المجيد همُّو، دار الحافظ، ط 2000م.

117- فضيحة التّلمود، أ.د عابد توفيق الهاشمي، مُؤسَّسة الرّسالة، 1420 هـ، 2000م.

118- الحلقة المفقودة في سلسلة الحضارات القديمة للجزيرة العَرَبيّة، علي سكيف، دار الأوائل، 2002م.